العدد (٥٥٣) رمضان ١٤٣٢هـ - أغسطس ٢٠١١م

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

www.alwaei.com

قراءة في دفتر قديم

د. يعقوب يوسف الغنيم

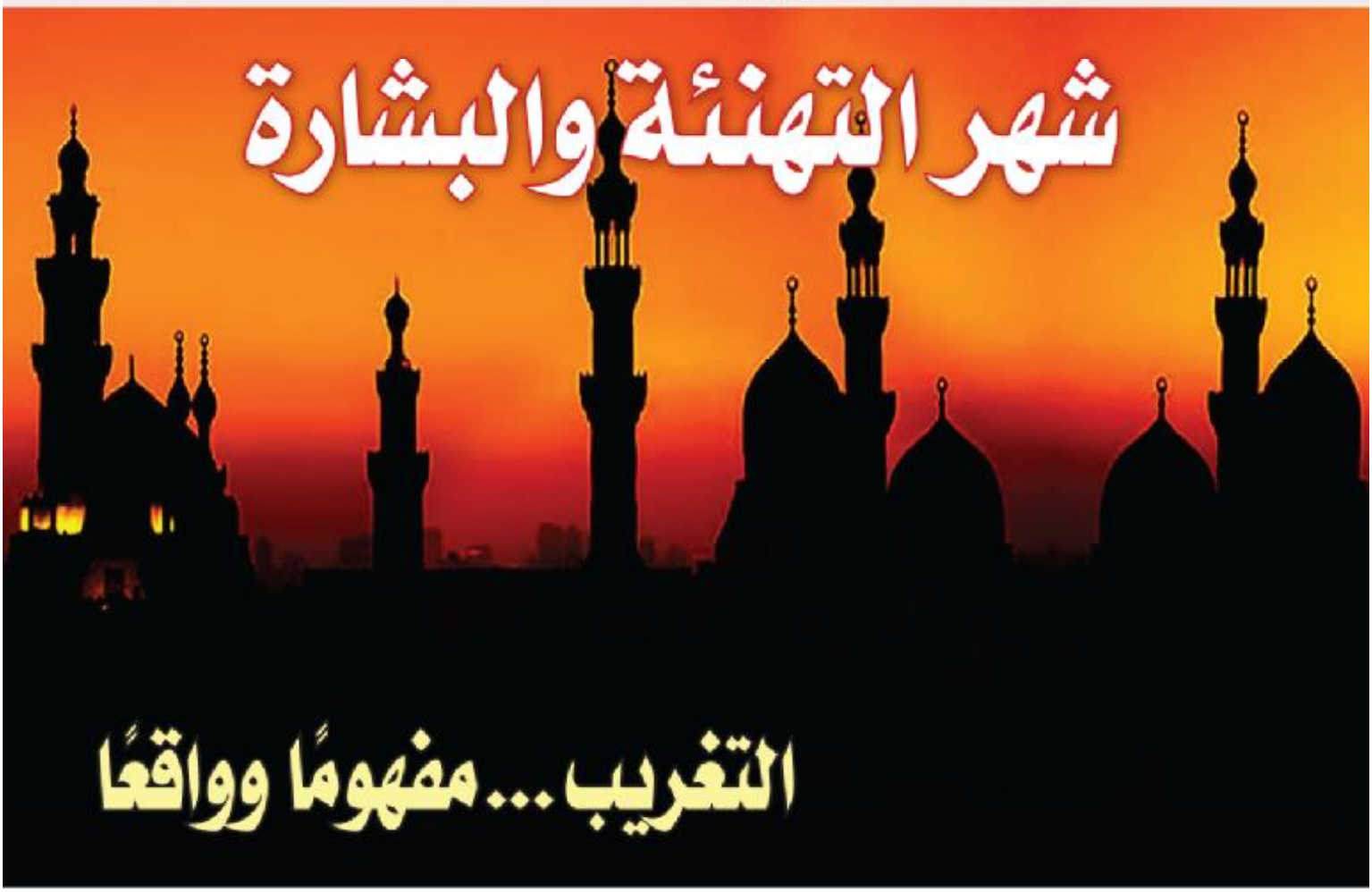

شهر التهنئة والبشارة

التغريب ... مفهومًا وواقعًا

بين دولة الفطرة ودولة الشيطان

حكم التسوق الشبكي في ضوء مقاصد البيوع

جديد

إصدارات الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ ـ الكويت هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

البريد الإلكتروني: info@alwaei.com - manager@alwaei.com

الافتتاحية

التهنئة والبشارة

أسأل الله أن يهله علينا وعلى الأمة بالأمن والإيمان ، والسلامة والإسلام ، وأن يعيده إلينا وإليهم كل عام ، بالصحة والعافية والسلام .

نزل علينا شهر أظهر الله فضله وأبان ، شهر أنزل الله فيه القرآن ، فرض الله فيه الصيام على أهل الإيمان ، وشرع قيامه على لسان من أنزل عليه القرآن ، لنغتنم أوقاته بالطاعة السامية ، ونتدارك ما فرطنا في الأيام الخالية ، فأين المشمر لقراه بالتوبة والإنابة ، والباذل في ضيافته مقدوره من الأعمال المستطابة؟ فقد حذرنا ذلك حديث «من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه» .

ومن روّته مرضعةُ المعاصي
فقد جاءته أيامُ الفطام

فلتعلُ الهمم في هذا الشهر العظيم ، فقد يتفوق المؤمن بهمته العالية كما بيَّن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بقوله «سبق درهم مائة ألف» ، وعالي الهمة يجود بالنفس والنفيس فى سبيل تحصيل غايته ، وتحقيق بغيته ، ولا يرضى بالدون ولا يرضيه إلا معالي الأمور ، واحذر أسباب انحطاط الهمم والوهن ، والفتور ، وإهدار الوقت الثمين في فضول المباحات ، والعجز والكسل ، والغفلة ، والتسويف والتمني .

فمن زرع الحبوب وما سقاها
تأوَّه نادمًا يوم الحصاد

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٥٣

رمضان ١٤٣٢ هـ

العام الثامن والأربعون

أغسطس - ٢٠١١ م.

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

الموقع الالكتروني:

www.alwaei.com

المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة.

في هذا العدد

بين دولة الفطرة ودولة الشيطان ١٢

موضوع الغلاف

شهر رمضان محطة تربوية مفعمة بالزاد الذي يحتاج إليه الفرد المسلم لصناعة مستقبله وأداء دوره الإيجابي الفاعل في المسيرة الحضارية المعاصرة

أوزبكستان وآلية تطوير مؤسسات المجتمع المدني ٦٤

المسجد العُمَري في مدينة درعا السورية ٨٤

التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

- السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت: ١٨٣٤٩٥٧٧٠ (٠٠٢٤٩)
- اليمن - دار القلم للنشر- ف: ٤٦٩٤١٥ (٠٠٩٦٧١)
- لبنان - شركة نعنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩ (٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١ (٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت: ٢٧٧٠٥٠٦٦ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٧٧٠٥٤١٣ - دار الأهرام
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ - ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

- الكويت : ٥٠٠ فلس
- السعودية : ٧ ريالات
- البحرين : ٥٠٠ فلس
- قطر : ٧ ريالات
- الإمارات : ٧ دراهم
- سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة
- الأردن : دينار واحد
- مصر : ٢ جنيه
- السودان : ٥٠٠ جنيه
- موريتانيا : ٢٠٠ أوقية
- تونس : ٢ دينار
- الجزائر : ١٠ دنانير
- اليمن : ٧٠ ريالا
- لبنان : ٢٠٠٠ ليرة
- سورية : ٣٠ ليرة
- المغرب : ١٠دراهم
- ليبيا : دينار واحد
- اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله
- اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

المحتويات

٣	الافتتاحية التهنئة والبشارة	رئيس التحرير
٥	كلمة العدد/ التزموا بثوابت الأمة	التحرير
٦	حوار/ د. محمد سليم العوا: الخلافة الإسلامية ليست نظامًا ملزمًا للحكم ٢/٢	دار الإعلام العربية
٩	فكر/ نعيش لنأكل أم نأكل لنعيش؟	خاشع بن شيخ ابراهيم
١٢	فكر/ بين دولة الفطرة ودولة الشيطان	محمد مسعد ياقوت
١٤	إدارة/ الحسبة والاحتساب نظام إسلامي في الرقابة والجودة	أ. د. بركات مراد
١٨	ملف العدد/ رمضان أهلاً (مقدمة)	التحرير
١٨	ملف العدد/ رمضان عرس إيماني فريد	د. خالد سعد النجار
٢٠	ملف العدد/ سلام رمضان ود وأمان	علاء الدين حسن
٢٢	ملف العدد/ رمضان ركاز الشهور والأيام	منى الشريف
٢٤	ملف العدد/ رمضان شهر الانتصارات	علي عفيفي علي غازي
٢٩	ملف العدد/ ليلة القدر خير من ألف شهر	جاد الله فرحات
٣٢	ملف العدد/ صلة الأرحام أبرز معالمه	دار الإعلام العربية
٣٤	دراسات/ العامل على الزكاة	د. صالح النهام
٣٨	دراسات/ ولاية التعليم في عصر النبوة والرسالة ٢/٢	د. محمد الأنصاري
٤٢	دراسات/ التغريب مفهومًا وواقعًا	د.فريد محمد امعضشو
٤٦	دراسات/ حكم التسوق الشبكي في ضوء مقاصد البيوع	وصفي عاشور ابوزيد
٥٠	أنشطة/ دورة «العربية وطرق اكتسابها»	التحرير
٥١	ملف الأدب/ الأصالة والحداثة (مقدمة)	التحرير
٥٢	ملف الأدب/ أصالة الإعراب في بيان المعنى	أنس بن محمد عزت أغا
٥٤	ملف الأدب/ «يا أبت» وحقيقة حرف التاء	د. رفيق حسن الحليمي
٥٥	ملف الأدب/ ثمرات المطابع	التحرير
٥٦	ملف الأدب/ عكاكيز (قصة)	عبدالصمد الإدريسي
٥٨	ملف الأدب/ صواب مهجور	حياة الياقوت
٥٩	ملف الأدب/ رمضان شهر الخير (شعر)	عبدالغني ناجي
٦٠	أنباء الكتب/ قراءة في دفتر قديم	التحرير
٦٢	حوار/ مع المنسق العام لبرامج معهد المخطوطات العربية فيصل عبدالسلام الحفيان	د. محمد عويس
٦٤	أوزبكستان وآلية تطوير مؤسسات المجتمع المدني	علاء فاروق
٦٦	طالب العلم المنشود من هو؟	د. حسين حسين شحاته
٦٧	ملف الأسرة/ مفهوم الأسرة (مقدمة)	التحرير
٦٨	ملف الأسرة/ الخاطبة أيام زمان والخاطبة مودرن!	علي ابراهيم كشك
٧٠	ملف الأسرة/ التزكية ودورها في تربية أفراد الأسرة	أحمد حسن الخميسي
٧٣	ملف الأسرة/ ما الفرق بين الرجل والمرأة؟	د. مي علي كشك
٧٤	ملف الأسرة/ أسباب الطلاق ونظرة المجتمع للمطلقة	عبدالحميد بن حسن
٧٦	ملف الأسرة/ الأطفال والانفصال	بشرى شاكر
٧٨	ملف الأسرة/ صرخة مراهق.. لا تسخروا من مشاعرنا	هبة محمد أبوالفتوح
٧٩	حوار/آمال العامري: نستهدف بناء جيل من المتخصصين في المالية الإسلامية	رضا عبدالودود
٨٢	أعلام/ العلامة المربي القدوة عبدالرحمن الباني	التحرير
٨٤	منارات/ المسجد العُمَري في درعا- سورية	تركي النصر
٨٧	طب/ الهرمونات والعزف على أوتار الجسد	د.يحيى سنبل
٨٨	فتاوى الوعي	التحرير
٩٠	التميز	خالد خلاوي
٩٢	جديد العلوم	هالة محمد
٩٤	بريد القراء	التحرير
٩٦	ينابيع المعرفة	التحرير
٩٨	مسك الختام/ بيان القرآن	د.محمد حسان الطيان

كلمة العدد

التزموا بثوابت الأمة

مع إطلالة شهر رمضان المبارك تتقدم أسرة تحرير مجلة «الوعي الإسلامي» لكتابها وقرائها والأمة الإسلامية قاطبة بأجمل وأسمى آيات التهنئة والتبريكات، داعين الله سبحانه وتعالى للجميع صيامًا وقيامًا مقبولين، ونود أن نهمس في أذن القائمين على شركات الإنتاج الفني والدرامي التي تقدم للمشاهدين مسلسلات دينية وتاريخية درامية يختلط فيها الحابل بالنابل، ويمتزج فيها السم بالدسم، وتشوه في معظمها الحقائق الدينية والتاريخية وتلوى النصوص.. ألا يكون كل ذلك من أجل التأثير على المشاهد وجني أرباح سريعة على حساب هوية الأمة وثوابتها القائمة على الكتاب والسنة، وإذا كنا لا ننكر دور الدراما التمثيلية في التأثير على إنسان هذا العصر بسبب الخواء الروحي والأخلاقي والقيمي، وبسبب الحياة المادية الجارفة، فإننا نؤكد على أمرين: أولهما، ضرورة انتقاء النصوص الجيدة ذات المضمون والهدف وما أكثرها في تراثنا! وثانيهما، اختيار الممثلين الجيدين الذين لا تعتريهم الشوائب لأداء الأدوار في هذه المسلسلات، وعندها لا يصاب المشاهد بالازدواجية والنفور والتقزز حين يتقمص الممثل الفاسد أدوار شخصيات دينية وتاريخية ذات مثل أعلى في الإخلاص والتجرد والتفاني في سبيل عقيدة الأمة. هذه مجرد ملاحظات مهمة نقدمها للقائمين على شركات الإنتاج الفني من أجل تدارك الخلل الذي تقع فيه سنويًا.

التحرير

الاشتراكات

- **داخل الكويت:** للأفراد ٥ ,٧ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- **الدول العربية:** للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- **دول العالم:** للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- **للمؤسسات:** ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المفكر الإسلامي د.محمد سليم العوا:

الخلافة الإسلامية ليست نظامًا ملزمًا للحكم (٢-٢)

القاهرة - دار الإعلام العربية

في الجزء الثاني من الحوار مع المفكر الإسلامي د.محمد سليم العوا، يواصل فضيلته مناقشة أبرز القضايا المطروحة على الساحة الإسلامية والثقافية العربية، ورؤيته للعلاقة بين الدين والسياسة، وهل تراجعت التيارات الإسلامية عن فكرة الخلافة، وهل عليها أن تعيد ترتيب أفكارها وبرامجها، ولماذا تسعى إلى تشكيل أحزاب بعد أن كانت بعيدة عنها، وكذا الموقف من تولي المرأة وغير المسلم مقاليد الحكم في بلد مسلم.. كما تطرق إلى الاستشراق وحقيقة الخطر الذي يهدد الأمة الإسلامية حاليًا.. تفاصيل أوفى تجدونها عبر الصفحات التالية.

علاقة الدين بالسياسة تبادلية.. وإقصاء أحدهما مفسدة للحياة

من آن لآخر يتجدد الجدل حول ارتباط الدين بالسياسة.. فما الذي يجمع بينهما برأيك؟

يجمع بينهما أن الدين نزل من أجل إصلاح الدنيا، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، فنحن مخلوقون للعبادة، والعبادة سياسة؛ لأنك لابد أن تصلح الأشياء وتنهى عن فسادها، و«ساس يسوس أي حكم يحكم»، فيجب أن يكون العمل الديني هاديا للعمل السياسي، والعلم الديني هاديًا للعلم السياسي، والعمل السياسي لابد أن يكون مهتديا بالحلال والحرام الديني، مهتديا بالمندوب والمباح الديني، فهي علاقة تبادلية، الدين يفيد السياسة والسياسة تستفيد من الدين، وبغير هذه العلاقة التبادلية الدائمة تفسد السياسة، ويخرج الدين من الحياة، وإقصاء أحدهما للآخر يفسد الحياة كلها.

الخلافة ليست ملزمة

التيارات الإسلامية في كل البلدان كانت تعمل وتنادي من أجل عودة الخلافة.. لكن يبدو أن هذه الدعوة خفت صوتها، فهل سقطت الفكرة وأصبحت غير مناسبة.. وفي هذه الحالة ما البديل عنها؟

منذ أكثر من ٣٠ عاما كتبت عن فكرة الخلافة الإسلامية، وقلت إنها نظام اخترعه صحابة النبي ﷺ؛ لكي يستطيعوا الاستمرار في قيادة الدولة على النحو الذي كان عليه النبي ﷺ، وهي ليست نظامًا ملزمًا في الحكم، وليست نظامًا معبرًا عن القيم الإسلامية إلى يوم القيامة.. فالذي يعبر عن هذه القيم هي القيم نفسها، سواء وضعتها في نظام سياسي جمهوري أم برلماني أم رئاسي أم ملكي أو أميري، ضعها في أي نظام شئت، رأسمالي أو اشتراكي، فالقيم الإسلامية المتمثلة في العدل والمساواة والحرية والشورى، إلى غير ذلك... إذا وضعتها في أي

نظام سياسي سيتحول هذا النظام إلى نظام متفق مع الإسلام، ولذلك.. المطالبة بالخلافة لم تكن تثير في نفسي العاطفة الإسلامية، والتوقف عن المطالبة بها لم يؤذِ عاطفتي الإسلامية.

والذي أراه أننا نريد حكمًا راشدًا مهتديًا بأصول الشرع، مطبقًا لتفصيلات أحكامه، إذا وجدنا هذا فهو الحكم الإسلامي، وإذا لم نجده فنقترب منه قدر ما نستطيع، فقد يأتي حاكم ويقول لا أستطيع أن أطبق الحدود في هذا الوقت لضرورة ما، نظل معه في هذه الضرورة حتى تنقضي، ثم نعود إلى أصلنا، لكن لا يأتي حاكم فينكر الأحكام جملة كانت أو تفصيلًا، فهذا لا يجوز.

وما الفكرة التي يمكن جمع الناس عليها الآن؟

الآن الفكرة الجامعة للعرب والمسلمين يجب أن تكون فكرة ثقافية وليست سياسية، فلن يجتمع العرب في القريب المنظور على فكرة سياسية، وأقصى ما يمكن أن نصل إليه هو «منظمة المؤتمر الإسلامي» التي دعا إليها السنهوري باشا، وهو أول من نادى بها وقال عنها إنها خلافة ناقصة تجمع الحكام العرب والمسلمين وتصبح بمنزلة المرجعية السياسية لهم.. لكن حتى هذه الفكرة في الظروف الحالية لا تؤدي ما يطلب منها؛ لأنها محكومة بأهواء البعض، وأرى أن تجتمع الأمة على قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾؛ لذلك يكون الاجتماع ثقافيًا وفكريًا؛ لأن الاجتماع السياسي شبه محال في الظروف الحالية.

يجب أن يجتمع العرب والمسلمون على فكرة ثقافية وليست سياسية

مراجعة

وهل التيار الإسلامي مطالب الآن بإصلاح بنيته الفكرية والتنظيمية في ضوء ما يشهده العالم العربي والإسلامي؟

الفكر والمنهج الذي تتبعه هذه التيارات مستمد من القرآن والسنة، لكن كل منهم يأخذ ويترك، منهم من يفهم ومنهم من لا يفهم، منهم من يقترب من الشرع ومنهم من يبتعد عنه، بحسب ما أعطي من ذكاء وفهم، فالذي يحتاجه التيار الإسلامي من وجهة نظري أن يراجع مواقفه العملية على أصوله الفكرية، ويراجع مواقفه السياسية والاجتماعية على أصوله دون خجل أو تكبر، إذا وجد خطأ فعليه أن يصححه.

إذا كان المنهل المستقى منه الفكر واحدًا.. فلماذا الاختلاف إذن؟

هذا هو الأصل، ولو كان هذا ممكنا لاتفقوا منذ أمد بعيد، لكن كما قال الله تعالى ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾، فالاتفاق شبه محال، وهذا الاختلاف يثري الحياة ويلبي رغبات الأفراد، سواء من ناحية التشدد أو التسامح والاعتدال، وهذا بدلا من وضع الناس في قالب واحد.

ما رأيك في لجوء بعض التيارات الإسلامية إلى تشكيل أحزاب سياسية؟

إلى الآن لا يوجد حزب قائم على الأقل في مصر، كلها مجرد دعايات وتصريحات، ولم تخرج أي برامج سوى برنامج لحزب واحد، وكل ذلك سيثبت أو ينهار بالممارسة السياسية، وأظن أنه لن تثبت أقدام أي حزب في مصر إلا بعد الانتخابات البرلمانية.

وأرى أن تعدد الأحزاب الإسلامية غير مفيد للمجتمع، على عكس تعدد الجماعات، فالعمل السياسي يحتاج إلى قوة واتحاد، والتشرذم والتفرق يضعفه، ويجب على التيار الإسلامي أن يشارك في العمل السياسي لكن بقواعد العمل السياسي.

رئاسة المرأة وغير المسلم

ننتقل إلى قضية تولي المرأة وغير المسلم الرئاسة في دولة عربية أو إسلامية.. ما رأيك؟

لا أؤيد توليهما رئاسة الدولة، إنما أقول إنه من حقهما الترشُّح، والكلمة الفصل للناخبين، وهناك فرق بين حقهم في تولي الرئاسة وحقهم في الترشح، فحقهم في تولي الرئاسة يبدأ بعد الأصوات وحصولهم على أعلى نسبة فيها، وما أتحدث فيه أنا هو حق سابق على ذلك وهو حقهم في الترشح، ولا يجوز لأحد أن يمنع أحدا من حق الترشح، فالدولة القائمة على أساس مدني دستوري يستدعى فيه الدين ليسدد الخطى ويرشد المسيرة ويبين الحلال والحرام، لكن لا يجوز التفرقة بين المواطنين على أساس عرق أو دين.

البعض يرى أن إعطاء حق القوامة للرجل دون المرأة إجحاف لها؟

القوّام في اللغة هو القائم على الشيء بما يصلحه، ليس الطاغية

أو المستبد، وقوامة الرجل على المرأة لها أمران: الأول أن يقوم بشؤونها من إطعام وكساء وتعليم ورعاية وغير ذلك. والثاني أن للرجل درجة، قال تعالى ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾، هذه الدرجة هي درجة فسخ عقد الزواج بالإرادة المنفردة، فالمرأة إذا أرادت أن تخلص من زوجها تذهب إلى القاضي إما بدعوى الضرر أو بدعوى الخلع، وهنا القضاء يقول قولته.

أما الرجل إذا أراد الخلاص من امرأته فقد مكنه الله من فسخ العقد المبرم بكلمة، وبالتالي القوامة ليست انتقاصًا من حقوق المرأة، بالعكس هي رعاية لها، وهي للرجل تكليف وليست تشريفًا.

لكن هناك من يسيء استخدام هذا الحق؟

نعم يحدث ذلك، فتصرفات بعض الرجال هي التي تسيء، وليست الفكرة الإسلامية هي السيئة.

وهل ما يعيشه العرب الآن يمكن أن نطلق عليه الفوضى الخلّاقة؟

الفوضى الخلاقة وهُم وكلمة لا قيمة لها، الفوضى انهيار، ولا يوجد انهيار يخلق صلاحًا، والذي يحدث في بعض الدول هو تعبير للشعوب عن رؤيتها وحقها.

الاستشراق أغلبه سيئ

لجوء الغرب إلى الإسلام وتعلم اللغة العربية.. ما الهدف منه؟

هذا تجديد لعملية الاستشراق القديمة التي قام بها بعض المخلصين لفكرة الكنيسة الغربية، فيدرسون لغتنا وبلادنا ليكونوا جسرًا بين المستعمر والبلاد، وقد نجحت في وقتها لكن لم يدم هذا النجاح

الاختلاف يثري الحياة ويلبي رغبات الأفراد بعيدًا عن القالب الواحد

طويلًا بسبب استقلال البلاد العربية واستعادة الإسلام لمكانته؛ لذلك عادوا مجددًا وبدأوا في دراسة اللغة العربية وتعلم الإسلام؛ لكي يتواصلوا معنا، ويؤدي هذا التواصل على الأمد البعيد إلى هزيمتنا، فيجب أن نكون حريصين في التعامل معهم.

وهل اختلف الاستشراق اليوم عن أمس؟

عملية إعادة الاستشراق تتم الآن على نطاق واسع، ففي الماضي كان يأتي واحد أو اثنان على الأكثر، أما اليوم فيأتي المئات في الجامعات والمنظمات والمؤسسات والجمعيات، وحاليا الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري الأميركيان يعرضان على الأحزاب المصرية تدريب كوادرها، وهذا بالطبع ليس لوجه الله.

هل معنى هذا أن الاستشراق سلبي في كل جوانبه؟

العمل الإيجابي الذي قام به المستشرقون عمل فردي، كمن حقق كتابًا أو وجد مخطوطًا، لكن العمل الجوهري للاستشراق كان سلبيًّا، وهناك فرق بين العمل الجيد الفردي الذي يحمد صاحبه، وبين الخطة التي من أجلها أقيمت نظريات الاستشراق ومدارسه لكي تهدم العمل الإسلامي وتقضي عليه.

الخطر الحقيقي

وهل هناك خطر حقيقي على الهوية العربية والإسلامية.. وما دلالاته؟

نعم هناك خطر حقيقي على المستوى الثقافي، وملامحه تكمن فيمن يطالبون بإبعاد الإسلام عن مناحي الحياة، وعدم إثبات الدين في بطاقة الهوية، بينما يترك من ينادي بحرية الناس على شرط ألا تعبر الآراء عن مرجعية دينية أو أخلاقية، فهي بذلك دعوى للإباحيين واللادينيين أن يقولوا ما شاءوا.. أما في الجذور الدينية فليس هناك خوف أو خطر؛ لأن الناس تعلم أن الدين هو عاصمهم، والتمسك به تمسك بالحياة.

هناك خيط رفيع بين الحجر على الأبناء في آرائهم وبين إعطائهم تجربة الحياة.. فما الفيصل في ذلك؟

الفيصل هو المرونة بين الطرفين، فعلى الكبير ألا يقول للآخرين: هذا هو الصواب والباقي كله خطأ، إنما يقول لهم أنا أدعوكم إلى التفكير في هذا الأمر أو ذاك، ويعرض أفكاره على أنها دعوة للتفكير من جانبهم، وعلى الشباب أن يحترموا خبرة الكبير، وألا يعتقدوا أنه بمجرد انتمائهم إلى حزب أو جماعة أو تنظيم يستطيعون أن يعزلوا من هو أكبر منهم ويلقون بهم في الشارع، فالواجب على الكبير أن يحفظ حق الصغير ومكانته وعقله، والواجب على الصغير أن يحترم سن الكبير، وهذا بعض مقتضيات الحديث الشريف: «ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا».

نعيش لنأكل.. أم نأكل لنعيش؟

خاشع بن شيخ إبراهيم
باحث دراسات إسلامية

عبارة تتردد على الألسنة في بعض المجالس، فما موقعها من الصحة؟ والجواب غالبًا يكون نأكل لنحيا ونستمتع بالطعام لنعيش.

وقد لفت نظري وأنا أتصفح مجلة «الوعي الإسلامي» الكويتية موضوع «اعتكاف أو اعتلاف»، وهو موضوع جيد ولفتة نظر جديرة بالاهتمام، وقد أجاد الكاتب في عرضه -جزاه الله خيرا- ولفتت نظري في ثناياه العبارة التالية: «نأكل لنعيش أم نعيش لنأكل؟»، والجواب الصواب الذي أراه أننا لا نعيش لنأكل ولا نأكل لنعيش للدنيا القريبة الزوال بل نأكل ونستمتع بالطيبات التي خلقها الله لنا في ظل عبادة الخالق جل جلاله قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات: ٥٦)، فالطيبات مخلوقة لنا لنستمتع بها، ونحن مخلوقون لعبادة الله، ومن الخطأ أن ننشغل بما خُلق لنا عما خُلقنا له، فالثقلان (الإنس والجن) مخلوقان لعبادة الله عز وجل وطاعته ومعرفته.

والإنس من بين الثقلين خُص بمزيد من العناية الربانية، إذ جعله ربه سبحانه وتعالى بعد خلقه آدم خليفته في الوجود كما قال تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة...﴾ (البقرة: ٣٠)، والخليفة ينبغي أن يأخذ عن المستخلف أوامره ونواهيه وينفذها بدقة وأمانةَ؛ إذ تحمل هذا الخليفة الأمانة الكبرى وهي «افعل ولا تفعل» عن رضا وطواعية كما قال تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان...﴾ (الأحزاب: ٧٢).

فالإنسان من بين المخلوقات جميعها تميز بحملها، واختار أن يكون كذلك لما في هذه الخلافة من ميزات عظيمة وأهمها رفعته حيث أسجد الله ملائكته له قال تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرًا من طين. فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين...﴾ (الحجر: ٢٨-٢٩)، ثم شرفه الله تعالى بالتكاليف أي بالعبادة أمرًا ونهيًا في حدود طاقته وسعته فقال تعالى: ﴿لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها﴾ (البقرة: ٢٨٦)، فكانت العبادات المفروضة عليه من ربه جل وعلا موجودة في الكتب التي أنزلها الله على رسله من البشر، حتى كان آخرها «القرآن الكريم» على خاتمهم محمد ﷺ وفيه قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾.

والعبادة تعني معرفته سبحانه أولاً، وعبادته ثانيًا، وتتلخص في أركان الإسلام من صلاة وصيام وزكاة وحج، لكنها لا تقتصر عليها بل تتعداها إلى كل عمل صالح يقوم به الإنسان المسلم يبتغي به وجه الله تعالى، سواء في ذلك الأعمال التي تتعلق بالآخرة كالتي ذكرناها، أو تتعلق بالدنيا كالعلم بأنواعه وتخصصاته ومجالاته الواسعة، وأشرفه معرفة الله عز وجل وما يتصل به من أمور العقيدة وفروضها، ثم ما له علاقة بالدنيا كالعلوم الإنسانية والنظرية والتجريبية، وما توصل إليه الإنسان في الوقت المعاصر من اختراعات وصناعات وتقنية واتصالات سريعة حتى غدت الكرة الأرضية قرية صغيرة.

وتعلم هذه العلوم وغيرها مما يستجد مطلوب شرعًا بل هو فريضة، قال تعالى: ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض...﴾ (يونس: ١٠١)، وعلى المسلم أن يسعى إليها ولو كانت في أقاصي المعمورة، كما قيل: «اطلبوا العلم ولو في الصين» (ضعيف الجامع)، لأن الحقائق العلمية لا وطن لها فهي ملك للبشرية جمعاء.

والمسلم بحّاث عن الحكمة فإذا عثر عليها أخذها، ففي الحديث «الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها» (مفتاح دار السعادة لابن القيم)، وعليه فإن الإسلام من بين الأديان جميعها لم يفرق في تعاليمه وتوجيهاته بين العلوم الدنيوية والأخروية ما دامت كلها تصب في قنوات نفع الإنسان ليكون في عبادة دائمة لله، وحتى يدفع المسلم إلى طلبها والتبحر فيها ويشوقه إليها جعلها فريضة وعبادة، فقد قال تعالى مبينًا فضل العلماء ودرجتهم: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ (المجادلة: ١١)، ونفى المساواة بينهم وبين من لا يعلمون فقال تعالى: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ (الزمر: ٩)، وقال ﷺ: «من سلك طريقًا يلتمس علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة» (عارضة الأحوذي).

والعلوم الدنيوية تكون أخروية يؤجر عليها طلابها والسالكون إليها بشرطين: أولهما النية لقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» (صحيح البخاري)، وثانيهما كونها نافعة؛ لحديث «لا ضرر ولا ضرار» (الأربعون النووية)، لذلك كانت الصناعات بأنواعها والمخترعات بأصنافها عبادة، لما فيها من قوة للمسلمين

ونفع لهم قال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة...﴾ (الأنفال: ٦٠)، وكذلك المهن المختلفة كالغراس والزراعة قال ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة» (صحيح البخاري).

ومثل الزراعة التجارة فهي عبادة كما ورد في الأثر: «إن أطيب الكسب كسب التجار، الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا ائتمنوا لم يخونوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يمدحوا، وإذا كان عليهم لم يمطلوا، وإذا كان لهم لم يعسروا» (ضعيف الترغيب). والعمل عبادة فكريًا كان أو يدويًا، فالتفكير عبادة بل فريضة قال تعالى: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ (الحشر:٢١)، وقال تعالى:﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾(آل عمران: ١٩٠)، والعمل اليدوي عبادة قال ﷺ: «من أمسى كالًا من عمل يده أمسى مغفورًا له» (الترغيب والترهيب للمنذري). وهكذا نجد أن الإسلام قد شمل بتعاليمه علوم الدنيا والآخرة من خلال كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، لأنه دين الله قال تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ (آل عمران: ١٩)، وأكمله ورضيه لعباده دينًا، قال تعالى:﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ (المائدة: ٣)، فإذا عرف المسلم هذه الحقيقة عاش لله وسخر طاقاته المادية وملكاته الفكرية والعقلية لإرضاء ربه عز وجل وطاعته، فهو لا يعيش ليأكل ولا يأكل ليعيش عيش البهائم والدواب، إنما يعيش في عبادة الله ليكون عبدًا خالصًا لربه لا لدنياه، وهو بهذا سعيد كل السعادة، لأنه وجد نفسه وعرفها، ومن عرف نفسه

معرفة صحيحة عرف ربه وخالقه، عرف بأنه قبضة من طين الأرض، ونفخة من روح الله. فمن عرف الجانب الطيني منه ولم يعرف نفخة الروح فيه فقد جانب الصواب ولم يعرف حقيقته، ومن أعطى الجزء الطيني فيه غذاءه مما انبتت الأرض ولم يعط الجانب الروحي غذاءه من الإيمان بالله ومعرفته عز وجل وأشواق روحه وسلامة فطرته ولم يعطها حقها بل جهل قدرها وحرمها ما به حياتها وقوامها، فقد ظلم الفطرة الإنسانية.

«كتب أحد الأطباء اللامعين جدولًا لطيبات الحياة المعترف بها كرغائب دنيوية فذكر الآتي: الصحة، الحب، الموهبة، القوة، الثراء، الشهرة، ثم تقدم بها إلى شيخ حكيم فقال الشيخ: جدول بديع وهو موضوع على ترتيب لا بأس به، ولكن يبدو لي أنك أغفلت العنصر المهم الذي يعود جدولك بدونه عبئًا لا يطاق، وضرب بالقلم على الجدول كله وكتب كلمتين سكينة النفس، وقال: هذه هي الهبة التي يدخرها الله لأصفيائه، وانه ليعطي الكثيرين الذكاء والصحة والمال والثراء والشهرة أما سكينة النفس فإنه يمنحها بقدر»(١).

فالذي يعيش ليأكل أو يأكل ليعيش شخص لا يعرف الغاية من وجوده ولا الهدف من حياته، فيعيش للجسد ومتطلباته وشهواته وينسى متطلبات الروح وأشواقها وما به سعادتها وراحتها، ويرحم الله من قال:

يا خادم الجسم كم تشقى لخدمته
تبتغي الربح مما فيه خسران
أقبل على النفس واستكمل فضائلها
فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

ومثل هذا الإنسان لا يدري الغاية من وجوده كما لا يدري لم يعيش؟ وكيف يعيش؟ ومن أين جاء؟ وإلى أي شيء يصير؟ فهو وأمثاله يحيون حياة لا طعم لها وعيشا لا معنى له، كله قلق وحيرة وعلامات استفهام وأسئلة لا تجد عندهم جوابًا، فهم كريشة في مهب الريح طائرة.. لا تستقر على حال من القلق.

تشعر بهذا حين تقرأ مؤلفاتهم وكتاباتهم (نثرًا وشعرًا)، فهذا الشاعر إيليا أبو ماضي يقول في قصيدته التي سماها «الطلاسم»:

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت
ولقد أبصرت قدامي طريقًا فمشيت
وسأبقى سائرًا شئت هذا أم أبيت
كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟ لست أدري

وهي قصيدة طويلة اكتفينا منها بهذين البيتين اللذين تدل كلماتهما على حيرته وضياعه وجهله، فإذا كان هذا الجهل والضياع والحيرة لشاعر كبير طار صيته في الآفاق، وحفظ شعره الأجيال فما بالك بمن دونه!

وهذا ما عليه الإنسان المعاصر اليوم، ضياع في دنياه وجهل بمبدئه ومنتهاه، شقي في ظل الحضارة المادية التعيسة التي تغذيها المفاهيم الغربية والشرقية على حد سواء، حتى أصبح إنسانًا ممسوخًا روحًا وإنسانية وفكرًا وأشواقًا بسبب بعده عن الحقيقة وجهله بنفسه وربه الذي خلقه وقال له: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾، فالعبودية للخالق هي وظيفة

المخلوق، يقول أحد أقطاب الغرب: «إذا لم نكن واعين فإن التاريخ سيذكرنا على أننا الجيل الذي رفع إنسانًا إلى القمر بينما هو غائص إلى ركبتيه في الأوحال والقاذورات»(٢)، فإذا انتشرت في بلادهم وبين أسرهم وشبابهم الأمراض المستعصية النفسية منها والعضوية والجنسية والتي كان آخرها الإيدز، والحالات العصبية من جنون وانتحار بنوعيه، البطيء عن طريق المخدرات والسريع عن طريق إلقاء نفسه من شاهق أو في بحر ليغرق ليتخلص من أزماته الخانقة وأوجاعه الأليمة لفقده العنصر الروحي من حياته، فهذا ليس بعجب ولا مستغرب، والأعجب والأغرب أنهم يحسبون أنهم مهتدون وأنهم يحسنون صنعًا.

وهنا يأتي دور الدعاة من العلماء الأكفاء ليبصّروهم بواقعهم المؤلم وطريقهم المنحرف، وإرشادهم إلى طريق النجاة المؤدية إلى دوحة الإيمان في ظل عبادة الرحمن، حيث يجد الإنسان هناك الراحة الفكرية والسعادة النفسية والطمأنينة القلبية، والنوم العميق الهنيء ملء الجفون بلا حبوب «فوستان وفاليوم» وعياراتهما المختلفة، وبلا «ابر مورفين» ليأخذ قسطًا من الراحة لا تجديه شيئا ولا تنتشله من أمراضه الكثيرة وأزماته الخانقة، بينما المسلم بإيمانه وعبادته لربه وتمسكه بكتابه وسيره على سنة نبيه ﷺ ومحجتها البيضاء في أمن وراحة بال لذا قال تعالى: ﴿واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ (الأنفال: ٤٥).

ثم كانت الصلاة، التي هي أهم عبادة في الإسلام، من أعظم وسائل الإصلاح الفردي والتربية الأخلاقية والترويح عن النفس قال تعالى: ﴿وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾ (العنكبوت: ٤٥)، وكان النبي ﷺ إذا حزبه أمر لجأ إلى الصلاة وقال: «يا بلال، أقم الصلاة، أرحنا بها» (صحيح الجامع).

هكذا يعيش المسلم لربه لا لبطنه، فينتعش ويسعد ويطمئن إلى أن يلقى

من يعيش ليأكل أو يأكل ليعيش لا يعرف الغاية من وجوده ولا الهدف من حياته

ربه عز وجل، وهناك الفرحة الكبرى في الفراديس العالية والرضوان الأكبر من الله جل جلاله.

أما ما عليه الشعوب الغربية والشرقية على حد سواء فإنهم كما قال الله تعالى عنهم: ﴿يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ (الروم: ٧).

يعيش الإنسان في تلك البلاد لنفسه وشهواته العاجلة وملذاته القاتلة التي فيها شقاؤه وتعاسته وضياعه، إذ لا هم له سوى إشباع شهوتي البطن والفرج، عيشة البهائم والدواب غافلًا عن مصيره في الآخرة كما قال تعالى: ﴿والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم﴾ (محمد: ١٢)، ويقال لهم يوم القيامة يوم الحسرة والندامة- تبكيتا-: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾ (الأحقاف:٢٠).

أجل يعيش ذا الإنسان المجانب لهداية السماء والجاحد بالإيمان بالله الواحد، المنكر ليوم المعاد والجزاء، يوم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون، لا يدري لعيشه سببًا سوى المزيد من الطعام والشراب كالبهائم التي لا هم لها سوى إشباع شهواتها، ينكح ويستمتع لكن دون هدف أو غاية في جو خانق مسموم مظلم، ويبقى هكذا يتنقل بين الشقاء والتعاسة والضياع ويبقى كذلك حتى يعثر على الإيمان الذي هو منه قاب قوسين أو أدنى، قال تعالى: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (الذاريات: ٢١)،لكن غروره بعقله وعلومه ومنجزاته المادية يحول بينه وبين ذلك، يقول القرآن عن هؤلاء وهم يصطرخون في النار: ﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير. فاعترفوا بذنبهم فسحقًا لأصحاب السعير﴾ (الملك:١٠-١١)، جاء هذا الاعتراف متأخرًا كثيرًا عن وقته حين كان في الدنيا، وهذه هي نهاية ذلك الإنسان الذي عاش ليأكل أو أكل ليعيش حياته شقاء وتعاسة، ويوم القيامة يرد إلى أشد العذاب.

فعلى الدعاة إلى الله، لاسيما الذين يعيشون بينهم ويلمسون ويرون هذا الضياع والشقاء والجهل بأنفسهم ومستقبلهم، أن يدعوهم إلى الله، أي إلى الأمن والأمان وسكينة النفس واطمئنان القلب، في ندوات ولقاءات وحوارات بأسلوب عصري حكيم جذاب بالدعوة إلى «العالمية» بدلًا من العولمة، وإلى العدل والرحمة والمساواة بدلًا من الديموقراطية، وفي نظري أنهم لو دُعوا إلى الله بهذا الأسلوب المجدي الذي يتلخص في قوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ (النحل: ١٢٥) على أن يكون بالخروج من حظوظ النفس وبالحوار الهادئ الهادف والقول الحسن كما قال تعالى: ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ (البقرة: ٨٣).. لو فعل ذلك الدعاة إلى الله لأثّروا فيهم تأثيرًا كبيرًا، وأزالوا عنهم خيوط الجهل والغرور والغفلة، وأخرجوهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن الجهل بمبدأهم ومنتهاهم إلى معرفة المبدأ والمصير كما قال تعالى: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ (طه: ٥٥).

منها خلقناكم للثواب والعقاب، وفيها نعيدكم للدود والتراب، ومنها نخرجكم للعرض والحساب، وبارك الله في جهود المخلصين من الدعاة والعاملين في حقل الدعوة الإسلامية أينما كانوا.

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الهوامش

١- الإيمان والحياة للقرضاوي.
٢- إنسانية الإنسان، ريينه دوبو.

بين دولة الفطرة ودولة الشيطان

محمد مسعد ياقوت

الإنسان مستخلف في الأرض، وعلمه الله الأسماء كلها، لتحقيق العبودية الكاملة لله فوق كوكب الأرض، أرسل له الرسل يسوسونه بالكتاب الذي أنزله الله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه. فكان الأنبياءُ ساسة البشر، وزعماء النهضة، وقادة الإصلاح.

المترفون- وأصحاب المصالح الخاصة- كانوا في كل مرة ضد منهج الأنبياء، وضد تمكين الحق، وضد أن يكون للإسلام دولة، فالمترفون لا يُقيمون حضارةً فحسب، بل هم عائقٌ في سبيل الحضارات، وقليلٌ منهم من ينهى عن الفساد في الأرض ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (هود: ١١٦).

دومًا كانوا رافضين لسبيل الفطرة على طول الخط، وكانوا هم المتصدين لكل مصلح ولكل مجدد ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ (سبأ: ٣٤).

والمترفون هم أصحاب النفير الإعلامي في كثير من الأحيان بحكم نفوذهم، وهم أرباب التبعية والتقليد الأعمى لكل ضب والج في جحر ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٢٣).

وأمثال هؤلاء ينبغي الحذر منهم، وألا نثق في مقالهم وإن أظهروا الخوف على

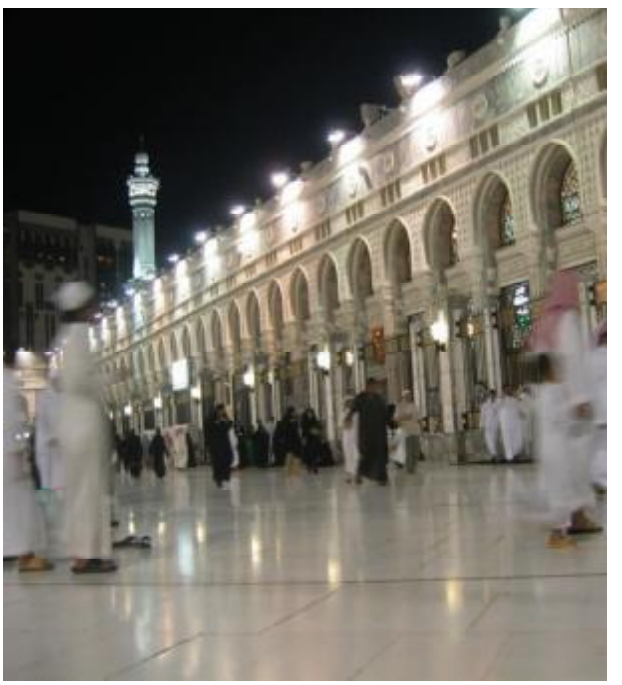

مصالح البلاد والعباد، فحالهم كحال فرعون حينما قال في موسى: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (غافر: ٢٦).

وفي جميع مراحل بناء الدولة، ستراهم يثبطون، ويبطئون، ويُعوقون.

هم أعداء النجاح، الذين يقلّون عند الفزع ويكثرون عند الغنيمة..

والمترفون دومًا هم أداةٌ من أدوات الشيطان لبناء دولته.. منهم مسلمون غافلون، وكثيرٌ منهم فاسقون.

يُؤخرون ويتأخرون، ويثبطون الناس، ويتأخرون عن ركب العمل لدين الله، ويتلكأون.. فإن دخلتم في معركة، وأصابتكم جراحات، وقُتل فيكم مَن قُتل، قال الواحد منهم- شامتًا متشفيا: قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ، إذ جلستُ في بيتي وادعًا، ولم أخرج للجهاد، ولم أكن معهم حاضرًا فأُصاب أو أُقتل!!

وفي أمثالهم قال الله: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٧٢).

كما حدث في يوم أحد، فرح المنافقون بما حدث للمؤمنين، وكما يحدث في كل معركة في أي زمان، فإذا كانت هزيمةٌ شمت المنافقون، وإذا كان نصر تسولوا على هذا النصر، وحاولوا سرقة جهود المؤمنين.

ومثل هذه الآية قولُ الله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الأحزاب: ١٨).

فكما أن إبليس يُعوق بني آدم عن الفطرة، ويصرفُ الإنسان عن المنهج،

باحث دراسات إسلامية

ويريد أن يتحاكم الناسُ إلى الطواغيت، ويضلهم بذلك ضلالاً بعيدًا، فإن أتباعه من شياطين الإنس والجن، يعملون لهذه الغاية في مكر الليل والنهار.

كان الشياطينُ- ولا يزالون- يعملون لهذه الغاية من أجل أن تنحرف البشريةُ عن دولة الفطرة.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام: ١١٢).

فكانت المعركة بين قبيلين، بين منهج الله الذي قام به الأنبياء والربيُّون، ومنهج الشيطان الذي قام عليه أولياؤه من شياطين الجن والإنس.

قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ٢٧).

فلا عجب حينما تسمع عن أناس من أهل النفوذ الآن، وقادة شركات عالمية، ورجال دولة كبار يكشفون عن عبادتهم للشيطان، في طقوس معينة.

وهؤلاء سيُقرّعون يوم القيامة: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَلاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (يس: ٦٠).

ومن الغريب حينما يأتي الحديث عن عبدة الشيطان، فإن الكلام يتجه نحو حفنة من الشباب المنحرف الذي لا يعلم هرًا من بر.. لكن القضيةُ في حقيقتها تتعلق بتنظيم عالمي، يؤدي نفس الطقوس، فالممارسات التي يُعبد فيها الشيطان في مصر هي نفسها التي تتم في أميركا وأوروبا وسائر البلدان .

والقائمون على هذا التنظيم هم من قادة المجتمع سياسيًا واقتصاديًا وإعلاميًا.

والحقيقة أن أتباع ديانة الشيطان إنما يتعبدون إليه من أجل تحقيق النفوذ، والنجاح السياسي والاقتصادي، والوصول من خلال الشيطان إلى طول العمر ومُلك لا يبلى، كما كان الشيطان

الشيطان الذي كان للرحمن عصيًا وللأنبياء معاندًا لم يكن ليهدأ حتى يقيم له في كل عصر دولة

يعدُ من قبلهم ويمنيهم.

ولابد من ممارسة الفحشاء في هذا الطقوس، من أجل أن يرضى الشيطان ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء﴾ (البقرة: ٢٦٨).

والشياطين تحرك الفاسدين وتدفعهم نحو الانحراف عن منهج الله، وتَؤُزُّهُمْ أَزًّا، وتهيجهم نحو الفساد في الأرض ونهب الثروات وهتك الأعراض.. هذه هي الحقيقة.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ (مريم: ٨٣).

الشيطان يوحي إلى هؤلاء زخرف القول، وجميل التنظير، وفن التحليل.. لكنْ لتزيين الشر وتجميله.

عليهم تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ من أجل ألّا تقوم للحق دولةٌ في الأرض، وبحيث يظل هابيل وقابيل متقاتلين.

وبحيث يظل سفكُ الدماء والفسادُ في الأرض.

سفك الدماء والفساد اللذانس كانت تخشاهما الملائكة من خلق آدم، هما أهم نتائج حُكم الشيطان.

ولو ترى إذ الشيطانُ جعل من العالم قابيل وهابيل!

من حرب بين المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي، وحروب عالمية بين قوتين عظميين، وحربٍ بين الغرب والإسلام.

ومن يشكك في حقيقة خضوع المفسدين للشيطان، بشكل مباشر أو غير مباشر، فإنا نرجوه أن يتأمل في وقفة صادقة مع النفس لقصة خلق آدم، وإنزالِ الله لآدم وحواءَ وإبليسَ الأرضَ، وقوله تعالى لهم: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مستقر ومتاعٌ إلى حين﴾ (البقرة: ٣٦)، فهل يُتصور أن تكون العداوة بين الإنسان وإبليس توقفت يومًا، ذلك الشيطان الذي أقسم ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الأعراف: ١٦)، وهل يكون الصراطُ مستقيمًا والدين قيمًا من دون الحُكم بما أنزل الله؟

وهل يُتصور أن تكون هذه العداوة من غير تخطيط، واقتصاد، وإعلام؟

وهل يُعقل أن تكون عداوة الشيطان من دون نشر الحرب على الفطرة، ومحاربة الفضيلة، والسخرية من الشريعة، وتيئيس الناس من دولة الإسلام؟

أم أن عداوة الشيطان- هو وقبيله- مقصورةٌ فقط حينما يأتي إليك في الصلاة، يُوسوس لك، يفسدها عليك؟

وقد علمتَ من حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ عَرْشَ إِبْلِيسَ عَلَى الْبَحْرِ فَيَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَيَفْتِنُونَ النَّاسَ فَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً» (أخرجه مسلم)، وهل من فتنة أعظمُ من تغييب شرع الله في الأرض؟

لقد كان الشيطانُ يفرق بين الإنسان وفطرته، والبشرية والكتاب، والمسلمين ودولتهم كما يفرق بين المرء وزوجه!

إن كان يئس من أن يُعبد في جزيرة العرب، فلا يزال عبّادُه في سائر البلدان، ويُحرشُ بين الموحدين، قال النبي ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ» (أخرجه مسلم).

إن الشيطان الذي كان للرحمن عصيًا وللأنبياء معاندًا، لم يكن ليهدأ حتى يقيم له في كل عصر دولة..

دولة تقع بين قرني شيطان!

لكنّ.. الله غالبٌ على أمره، ودولته غالبة، فهي نظام الفطرة، وخلافة الحق، و﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.

الحسبة والاحتساب.. نظام إسلامي في الرقابة والجودة

أ.د. بركات محمد مراد

كلمة الحسبة في المؤلفات الإسلامية، وبخاصة ما يتعلق منها بالأحكام السلطانية أو السياسة الشرعية، تفيد مدلولا خاصا لا يقتصر على مجرد ما يفيده المعنى اللغوي للكلمة من دلالات تتعلق بالأجر والمثوبة، وإنما يتجاوز ذلك ليدل على نظام إداري وقضائي معين، كان يقوم بدور الرقابة الفعلية لضمان حماية المصالح الشرعية التي يتوجب على السلطة ان تقوم بحمايتها ورعايتها.

كان علماء الفكر الإسلامي يلخصون دور جهاز الحسبة - الذي كان يعتبر ولاية خاضعة لولاية القضاء العامة أو هي نوع من القضاء، بحكم ما يملكه (المحتسب) من صلاحيات قضائية محدودة- بالقيام بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكلمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كلمة شائعة في الفكر الإسلامي، وهي ذات مدلول ديني خاص، بالرغم من سعة ما تشتمل عليه من دلالات اجتماعية وأخلاقية وتشريعية، وأبرز تلك الدلالات أخلاقية الفكر الإسلامي، وتماسك المجتمع الإسلامي وترابطه، في ظل المسؤولية التي يتحملها كل فرد من أبناء ذلك المجتمع. فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعار المجتمع الإسلامي، وكل فرد في هذا المجتمع يمارس دوره في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويعتبر ذلك مسؤولية دينية يثاب عليها فاعلها، ويأثم من يرى المُنكر ولا ينهى عنه، ولو كان ذلك النهي باللسان أو بمجرد الإنكار القلبي (١).

ويمتاز موضوع «الحسبة» بالشمول والسعة والتفصيل الدقيق والمتابعة المستمرة لكل ما يمت بصلة إلى حياة الإنسان منذ ساعة استقراره في المدن والأمصار. وهو باختصار يعمل على مراقبة وتصويب الأقوال والأعمال والسلوك العام للإنسان في المدن والحواضر ونحوها.

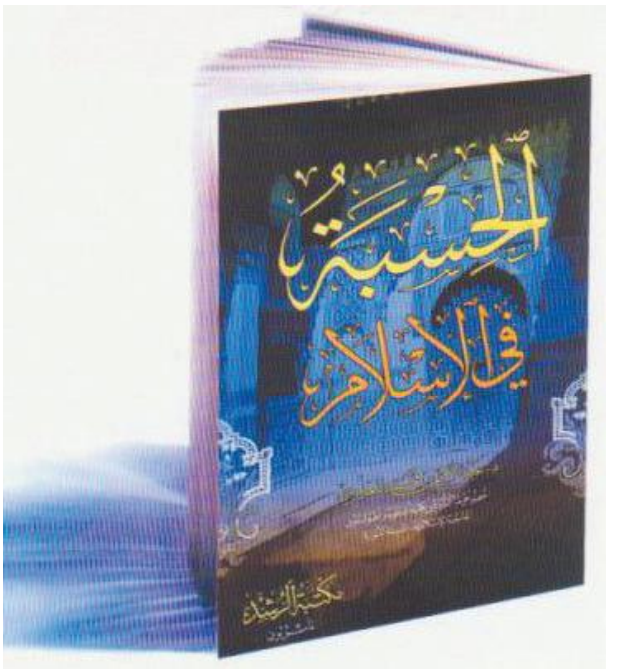

ولقد اختصت المدن في العهد الإسلامي بتبني هذا النظام حيث الضبط العام والإتقان المتناهي للأعمال والأقوال في المدن، والمطّلع على كتب الحسبة سيعرف الدقة المتناهية التي يشترطها المحتسب في الصناعة، وسيفهم السلوك الإنساني المشروع الذي يرضاه الشرع، وسيكتشف السبق الحضاري للمدن العربية والإسلامية في تلك العصور فيما يختص بالرقابة والجودة.

وليس هناك ما يمنع من إقامة هذا النظام الرقابي في مدننا المعاصرة، لأنه متوافق مع حياة الإنسان مع تبدل الحاجات، ولحاجة الإنسان الماسة للضبط العام في المدن التي غالبا ما يشوبها وما يعكرها أحيانا، مما يستدعي وجود المحتسب والحسبة، وما نظام الشرطة والبلدية في زماننا المعاصر، وكذلك الرقابة والجودة في اللحظة الراهنة إلا صورًا من الاحتساب في المدن والحواضر الإسلامية(٢).

تعريف الحسبة: المتأمل لتعاريف الحسبة والاحتساب عند من نظر فيهما وألف من كبار المصنفين يجد أنها متقاربة بوجه عام بل ومتطابقة أحيانا، فالماوردي في «الأحكام السلطانية» وأبويعلى في «الأحكام السلطانية» أيضا، وكذا ابن الإخوة في «معالم القربة» كلهم يرى أن الحسبة «أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله»، ويتقارب معهم أيضا الشيزري في تعريفه للحسبة، قال في «نهاية الرتبة: «لما كانت الحسبة أمرا بمعروف ونهيا عن منكر وإصلاحا بين الناس...إلخ» (٣). وعامة فالحسبة مأخوذة من معنى الأجر

باحث في التراث

والمثوبة، يقال: فعلت هذا الأمر حسبة لوجه الله، أي تطوعا، وأحتسب هذا الأمر عند الله أي جعلت أجري من الله، وتستعمل في مجال القضاء كلمة «الدعوة الحسبية» ويُراد بها الدعوى التي يقيمها صاحبها للدفاع عن مصالح الناس، ولمنفعتهم.

أصل الحسبة ومصدرها: من المؤكد أن فكرة الحسبة قد ابتدأت مع بداية التاريخ الإسلامي، حيث كان مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو المنهج الأول في بناء المجتمع الإسلامي، ونجد الأصول التوجيهية والتشريعية لهذا المنهج الإسلامي في النصوص القرآنية التالية: قال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ (آل عمران: ١٠٤). وقال تعالى أيضا: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ (الحج:٤١). وقال تعالى أيضا: ﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾ (التوبة: ١١٢).

كما نجد أن السنة النبوية قد دعت إلى الاعتماد على هذا المنهج، تأكيدا لروح المسؤولية الجماعية، في الدفاع عن القيم والأخلاق الإسلامية. روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

ويدخل المنكرات ما نهى الله ورسوله عنه، من العقود المحرمة: مثل عقد الربا، وعقد الميسر وبيع الغرر، لأن النبي ﷺ نهى عن بيع الغرر، كبيع السمك في الماء والطير في السماء (٤)، وبيع النجش وهو أن يزيد في السلعة من لا يريد شراءها، وكتصرية الدابة اللبون، وبالجملة سائر أنواع التدليس(٥).

وقد باشر النبي ﷺ الحسبة حين مر بالأسواق، فقد روى مسلم عن أبي هريرة: «أن رسول الله ﷺ مّر علي صبرة طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللا، فقال

الخليفة عمر بن الخطاب كان يقوم بنفسه بالرقابة الفعلية ويمارس دور المحتسب في الأسواق

يا صاحب الطعام ما هذه؟ فقال أصابته السماء يا رسول الله (أي المطر)، قال: أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس؟ ثم قال: من غش فليس منا»(٦).

وروى ابن المنذر عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «أنه وقف على طعام في سوق المدينة، فأعجبه حسنه، فأدخل رسول الله ﷺ يده في جوف الطعام، فأخرج شيئا ليس بالظاهر، فأفف رسول الله ﷺ (أي قال أف ضجرا واستثقالا) بصاحب الطعام، ثم نادى: أيها الناس! لا غش بين المسلمين، من غش فليس منا»(٧).

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إياكم والجلوس في الطرقات، قالوا يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها، قال رسول الله ﷺ فإذا أبيتم إلا المجلس، فأعطوا الطريق حقه، قالوا: وما حقه؟ قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»(٨).

ويخبرنا الدكتور عطية مصطفى مشرفة(٩) ان النبي لم يقصر الحسبة على نفسه، بل أشرك غيره فيها، فقد استعمل رسول الله ﷺ سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية بعد الفتح على سوق مكة، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف خرج معه وبقيت الحسبة بعد وفاة النبي، فقد استعمل عمر بن الخطاب السائب بن يزيد على سوق المدينة مع عبدالله بن عتبة بن مسعود، كما استعمل النساء في هذه الوظيفة أيضا، فولى الخليفة عمر بن الخطاب الشّفاء على سوق المدينة، وكانت لها منزلة كبيرة عنده، حتى إنه كان يقدمها في الرأي، وتولت السيدة سمراء بنت نهيك الأسدية هذا المنصب أيضا، وقد أدركت رسول الله وعمرت طويلا، وكانت في الأسواق تأمر وتنهى عن المنكر، وتضرب الناس على ذلك بسوط معها، فلصاحب الحسبة الحكم على من غش في أسواق المسلمين في خبز أو عسل أو غير ذلك من السلع.

أما «نظام الحسبة» من حيث مباشرة السلطة لدور الرقابة لحماية المصالح الجماعية، فإننا نجد الخلفاء الراشدين قد قاموا بهذا الدور، وبخاصة أن الروايات التاريخية تؤكد لنا أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب كان يقوم بنفسه بالرقابة الفعلية، ويمارس دور المحتسب في الأسواق فيأمر وينهى، ويزجر المخالفين بسوطه.. ولعل ذلك كان يمثل البداية الفعلية لممارسة السلطة لدورها في الرقابة على المصالح العامة، إلا أن طبيعة الحياة في الجزيرة العربية، في ذلك الحين، وبساطة الجهاز الإداري، وعدم بروز معنى السلطة بالمفهوم الشائع اليوم، لم يعط لمعنى الحسبة مفهوما تنظيميا يمارسه جهاز مختص متفرغ.. وكان الأمر لا يعدو ان يكون مجرد قيام الخليفة بنفسه أو من ينوب عنه، بدور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في حدود ما يتوفر لهما الاطلاع عليه من حياة الناس ومعاملاتهم.

أهم كتب الحسبة: أما أهم كتب الحسبة التراثية (١٠) كتب وهي: الأحكام السلطانية، للماوردي (٣٦٤. ٤٥٠ هـ)، الأحكام السلطانية، لأبي يعلى (ت ٤٥٨هـ)، نهاية الرتبة، للشيزري (ت ٥٨٩ هـ)، معالم القربة في طلب الحسبة، لابن الإخوة (٦٤٨. ٧٢٩ هـ) نهاية الرتبة في طلب الحسبة، لابن بسام (القرن الثامن الهجري)، نصاب الاحتساب للسنامي (القرن الثامن الهجري)، معيد النعم ومبيد النقم، للسبكي (ت ٧٧١هـ)، الحسبة في الإسلام، لابن تيمية (٦٦١. ٧٢٨هـ) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال (ت ٣١١هـ) كتاب الحسبة، لجمال الدين بن الهادي (ت ٩٠٩هـ). وهناك ايضا كتب أخرى كثيرة.

المحتسب ووظائفه: وحينما صارت هذه المهمة الدينية أو الرقابية وظيفة يقوم بها شخص المحتسب، كان يشترط فيمن يتولاها

أن يكون حرا، عدلا فقيها، عالما بالأحكام الشرعية، وكانت وظيفة مراقبة المكاييل والموازين، ومراقبة من تسول له نفسه الأمارة بالسوء الغش ببخس أو تطفيف فيهما، وكانت لها دار خاصة بها، فكان المحتسب يطلب جميع الباعة إلى هذه الدار في أوقات معينة ومعهم موازينهم وسنجهم ومكاييلهم، فيعايرها فإن وجد فيها خللا صادرها، وألزم صاحبها بشراء غيرها، أو أمره بإصلاحها.

كما كان على المحتسب أن يلازم الأسواق من وقت لآخر، ويتخذ له من العيون من يطلعه على أخبار الناس الأشرار ليوقف كلا عند حده، ويلاحظ ما يقع من غش وتدليس في مبيع أو ثمن وفي الأخذ والعطاء، كما يراقب المماطلين والمتأخرين في دفع الديون، ويسهر على استيفاء الديون لأربابها، ويأمر بأداء الأمانة، والصدق والنصح في الأقوال والأعمال، ويتفقد أحوال الصناع الذين يصنعون الأشربة والأطعمة والملابس والآلات وغيرها، فيمنعهم من صناعة المحرم على الإطلاق، ويمنع صاحب كل صناعة من الغش في صناعته، ويمنع من إفساد نقود الناس وتغييرها (١١).

ووظيفة المحتسب ولاية خاصة يقوم صاحبها بالاحتساب نيابة عن الحاكم، وكان لصاحبها حق النظر فيما يتعلق بالنظام العام وفي الجنايات أحيانا، مما يستدعي الفصل فيها إلى السرعة، فكان المحتسب ينظر في مراعاة أحكام الشرع، ويحول دون بروز الحوانيت، لأنه يعطل المرور، أو يضايق الجمهور، وكان يهدم المباني القديمة المتداعية، تفاديا مما يحصل من الحوادث بسبب انهيارها على المارة في الطرق.

ولصاحب الحسبة الحكم على من غش في أسواق المسلمين في خبز أو عسل أو غير ذلك من السلع. وكان عمر بن الخطاب يطرح اللبن المغشوش في الأرض أدبا لصاحبه، وروي عنه انه أحرق بيت رويشد الثقفي لأنه كان يبيع الخمر، وقال له: «أنت فويسق ولست رويشد». وروي عنه ايضا أنه رؤي مرة يضرب جمّالا ويقول له: «حملت جملك ما لا يطيق»(١٢).

وكان المحتسبة يجبرون رؤساء المراكب على ألا يحملوا من السلع ما يزيد عن حمولة مراكبهم، ويمنعونهم من المسير عند اشتداد الريح، وإذا حمل في السفن الرجال والنساء حجز بينهم بحائل، كما كانوا يلاحظون القرب ووجوب تغطيتها والسقائين ووجوب لبسهم السراويل، بحيث لا يظهر من أعضاء جسمهم ما يتنافى مع الآداب العامة، وكانوا يشرفون على صغار الأولاد بحيث لا يضربهم معلمو الكتاتيب ضربا مبرحا، وكانوا يلاحظون معلمي السباحة، عندما يعلمون الصغار، فكان صاحب الحسبة يراعي الأمانة والأخلاق الفاضلة، وله أن يستعين بالشرطة إذا أراد عند تنفيذ أحكامه(١٣).

وفي بعض الأحيان كانت وظيفة المحتسب تسند إلى القاضي، وكان المحتسب ينتخب من أعيان المسلمين، واعتبر منصبه من المناصب الدينية الهامة. وكان له ان يلاحظ الطرق العامة، ويفتش قدور الطعام، ويشرف على محال الجزارة، ويختم اللحوم، ويأمر السقائين بتغطية قربهم، ومراعاة عيارها. وكان من واجب المحتسب أن يأمر الناس بإقامة الجمعة، ويؤدب على الإخلال بها، ويأمرهم بصلاة العيد، وصلاة الجماعة في المساجد، وإقامة الأذان فيها للصلوات. ومن فرط من المؤذنين في واجباته ألزمهم بأدائها على أحسن وجه، واستعان فيما يعجز عنه الوالي والقاضي، ويأمر الناس بالصلوات الخمس في ميعادها، لأن من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ويعاقب من لم يصل بالضرب والحبس، ويعمر مساجدهم، ويؤاخذ السادة بحقوق العبيد، وألا يكلفوا من الأعمال ما لا يطيقون.

مهام المحتسب في المدينة: عامة يلاحظ أن أعمال المحتسب ومهامه في المدن تشمل إصلاح الشوارع من وضع الميزاب واتخاذ الدكاك على الأبواب، ومنع عمارة الحيطان في شيء من الشوارع، ومنع شغل هواء الشارع بالجناح، وكذلك النظر بين الجيران في التصرفات المضرة كالنظر وسد الضوء والحسبة في الحمامات، وفي منكرات الأسواق، ورفع الضرر عن الأزقة والرحاب وغيرها. وكذلك الحسبة على الأخلاق العامة في الطرق، وعلى الزروع والحرف والصناعات والمساجد، وحفظ المدن والأحياء والساحات، والنفايات، والمزابل، والحسبة على المثاقيل والأوزان والبيوع المحرمة، والحسبة على الخبازين والطباخين وباعة الأطعمة، والحسبة على غير المسلمين، والاحتساب على القضاة والأمراء، والاحتساب على اللعب(١٤).

ويمكن تقسيم أنواع وظائف المحتسب إجمالا في وظائف رئيسية عدة هي:

١- **حقوق الله:** ويقوم المحتسب بالأمر بالمعروف ويدعو إلى أداء الصلاة والعبادات في أوقاتها، وأدائها على الوجه الصحيح، فإن وجد انحرافا في كيفية أداء العبادات فيجوز له أن يأمر بتصحيح الأداء لكي يكون منسجما مع التعاليم الإسلامية، ولا يجوز له أن يتدخل في كيفية الأداء إذا كانت منسجمة مع وجه من وجوه الاجتهاد. ومن مهمة المحتسب أن يمنع الجهلة من التصدي لموعظة الناس، كما يجوز له أن يمنع دعاة الفتنة من إفساد عقائد الناس، وما أجمعوا عليه. كما يجوز له أن يمنع من استخدام المساجد وأماكن العبادة، أن تكون موطنا للهزل والتسلية، أو في غير ما أعدت له.

٢- **مراقبة الآداب العامة:** يجب على المحتسب أن يراقب الأماكن العامة التي يرتادها الناس للعلاج كالمستشفيات، أو للطعام كالمطاعم العامة، أو للإقامة كالفنادق، أو للنظافة كالحمامات العامة، أو للمهن التي ترتبط بنظافتها صحة الناس، كالخبازين، واللحامين، والطحانين، وصانعي الحلوى، وغيرهم، ويجوز له ان يصادر السلع التي يراها ضارة بالصحة العامة، كما يجب له، ان يمنع الأدوية التي تهدد حياة الناس أو تضر بهم.

٣- **مراقبة الأسواق:** ويجب على المحتسب ان يفتش الأسواق العامة، ويراقب الموازين والمكاييل والمبيعات، وأنواع الغش والاحتكار والتدليس، والمعاملات الربوية، فإن وجد أن ذلك يتنافى مع أحكام الإسلام، في العدل والتوازن والحق، منع ذلك، وزجر عليه،

ويجوز له أن يتخذ كل وسيلة لمنع الانحراف. ويجوز له في حالة وجود ما يستدعي توحيد الأسعار ان يفعل ذلك حماية لمصالح الأمة، ومنعا لاستبداد القوي بالضعيف، والبائع بالمشتري، والمنتج بالمستهلك.

٤- مراقبة الأبنية: ويجب على المحتسب ان يراقب الأبنية العامة ويرى مدى توافر صفات الإتقان في بنائها لئلا تهدد حياة الساكنين فيها، كما يجوز له أن يراعي توافر الشروط الصحية في بنائها من حيث التهوية السليمة، ويجوز له أيضا أن يراقب مدى انسجامها الظاهري مع جمال الترتيب والتنسيق، فلا يبني صاحب بناء في منتصف الطريق، ولا يشوه جمال المباني المجاورة بعبث جاهل أو تخطيط سقيم.

٥- مراقبة أماكن التعليم: ويجب على المحتسب أن يراقب بدقة أماكن التربية والتعليم، وان يطلع على سير التعليم ومناهجه وأسلوب تلقينه، فيمنع ما هو فاسد منه ويشجع ما هو حسن، وقد اشتدت الحاجة إلى الحسبة ووظائفها في العصر العباسي، خاصة بعد ان ازدهرت الحياة الاجتماعية، واتسعت التجارات، ونمت حركة الأسواق، وتعددت المهن، وازدادت الهوة بين الفقراء والأغنياء، وأصبح الاحتكار وسيلة للربح الفاحش، والغش وسيلة للكسب السريع. وكان لابد من وضع نظام للرقابة يملك من الصلاحيات الزجرية ما يمكنه من منع المنكر، وزجر فاعليه، وحماية الضعفاء من عنت الأغنياء وإنصاف المستهلكين من ظلم التجار واحتكارهم للسلع الضرورية للناس.

كما أن المتأمل في أبواب الحسبة التي غطت كل صغيرة وكبيرة في المدن ينتهي إلى نتيجة مفادها ان نظام الحسبة والاحتساب يعد العامل الأول المؤثر في إضفاء الشخصية الإسلامية على المدينة من ناحية التأكيد على وجود وضبط عناصرها الأساسية كالمسجد ومقر ولي الأمر والسوق الذي هو قلبها النابض والتقارب الأسري والسلوك العام وشكل العمران الذي يؤكد على مبدأ الخصوصية في المسكن وحماية الأهل مع اعتبار الحياة الجماعية التي تتكرر يوميا كما في صلاة الجماعة، أو أسبوعيا كما في صلاة الجمعة، أو موسميا كالأعياد، أو بالتعامل اليومي. يضاف إلى ذلك الحسبة على الطرق، والأحياء السكنية، والمساكن، والمصانع والمساجد وغير ذلك، وما يتصل بها من المساحات والرحب والمقابر. إضافة إلى أن نظام الحسبة والاحتساب يقوم بالعمل على تحقيق عدة أمور أهمها ثلاثة:

الأول: التأكيد على السلوك الذي شرعه الدين في العبادات والأخلاق والعادات وفي البيع والشراء والأقوال والأفعال.

والثاني: الإتقان في الصناعة والحرف والبناء والتنظيم والتخطيط بمعنى المراقبة الدقيقة الصارمة لكل ما يمكن أن يظهر على سطح المدينة أو الحاضرة، وعلى أن يكون بأحسن درجات الإتقان بمراقبة الغش والتدليس في الأعمال.

والثالث: ضبط جودة المنتج، أي أن الاحتساب على كل صنعة خاصة في الأسواق، والصنائع والبناءات يقتضي ان يكون الناتج غاية في الإتقان والجودة، ومصداق ذلك مشاهد في كثير من العمارة والصناعة والآثار التي مازالت قائمة حتى يومنا هذا شامخة، بل ولا يزال بعضها يستعمل كما في مصر وبلاد المغرب رغم مرور الزمن الطويل عليها، وكل ذلك مصداقا لما شرعه النبي ﷺ بقوله: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه».

إن «نظام الحسبة» هو جهاز للرقابة ابتدعه تاريخنا الإسلامي، للنهوض بمستوى المجتمع الإسلامي، حضاريا وأخلاقيا وإداريا وتربويا وصحيا، وإذا كان مجتمعنا المعاصر قد ابتدع اساليب إدارية وأجهزة مختصة للقيام بهذا الدور، سواء من خلال الأجهزة الرقابية المتعددة في كل وزارة من وزارات الدولة، تراقب وتخطط، وترعى كل مصلحة عامة، فإن نظام الحسبة يظل هو المنطلق الحضاري لأي تقدم معاصر، لا في اختيار نفس الأساليب القديمة في الرقابة، ولكن في تطوير جهاز الرقابة المعاصرة، لكي يؤدي نفس الدور، وبحجم أكبر، وبأسلوب أكثر دقة، من الدور الذي كان يؤديه نظام الحسبة (١٥).

وهنا أدعو وبكل إخلاص وإلحاح، إلى أن يكون جهاز الرقابة في كل مجتمع، جهازا مؤمنا برسالته الاجتماعية، نظيفا في سمعته، مهذبا في أداء رسالته، قويا في الحق، ولا يتشدد مع الضعيف لضعفه، يحتسب أجره عند الله في مواقف جهاد وإخلاص، يقاوم الظلم أيا كان مصدره، ويواجه الباطل في مواقعه ولو كانت محصنة، بتلاحم وإخلاص وصدق مع مصالح الأمة، ويرفع صوت الحق والفضيلة والعدل شعارا له، لكي يكون موطن ثقة الأمة به، سيفا مع الحق، وفي مواجهة الباطل، دائما وأبدا.

الهوامش

١- د. محمد فاروق النبهان: الحسبة بين الأمس واليوم، ص ٤٨، الفيصل العدد٦٣، الرياض يوليو ١٩٨٢م.
٢- د وليد عبدالله عبدالعزيز المنيس: الحسبة على المدن والعمران، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية ١٦، ص١٣، الكويت ١٩٩٦م.
٣- انظر الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ٢٤٠، البابي الحلبي، مصر ١٩٧٣م، وانظر أبويعلى: الأحكام السلطانية، تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة بن نبهان، أندونيسيا ص ٢٨٤ عام١٨٧٤م.
٤- ابن قيم الجوزية: الطرق الحكمية، ص ٢١٩، وانظر د. عطية مصطفى مشرفة: القضاء في الإسلام، ١٧٩ وما بعدها، ط٢، دار الفن، القاهرة ١٩٦٦م، الترمذي: ص١٤٧.
٥- ابن قيم الجوزية: الطرق الحكمية ص٢٢.
٦- صحيح مسلم: ج١، ص ٦٩.
٧- الشيخ محمد بخيت المطيعي: حقيقة الإسلام وأصول الفقه، ص ١٥٤.
٨- صحيح مسلم: ج٦ ص ١٦٥.
٩- د. عطية مصطفى مشرفة: القضاء في الإسلام ص ١٨٠، ١٨١.
١٠- انظر د. وليد عبدالله عبدالعزيز: الحسبة على المدن والعمران ص ١٧- ٢٣.
١١- الطرق الحكمية: ابن قيم الجوزية، ص٢٤٧، ٢٥٨.
١٢- المقريزي: الخطط ج١ ص ٤٦٣ ٤٦٤ ، ومقدمة ابن خلدون، بيروت ص٢٢٥، عام١٩٠٠.
١٣- د. وليد عبدالله عبدالعزيز: الحسبة على المدن والعمران، ص ٤٣، ٤٤.
١٤- د. محمد فاروق النبهان: الحسبة بين الأمس واليوم، ونهاية الرتبة، للشيزري ص ١٠٨.
١٥- السابق.

رمضان أهلاً

رمضان فرصة لا يُفوِّتُها إلا متهاون مغبون، ولا يزهد فيها إلاّ جاهل محروم، أما من أنار الله قلبه، ونقّى فؤادَه، فإنه يستعد لرمضان قبل أن يلقاه، وذلك بالتوبة من الذنوب صغيرها وكبيرها، والإكثار من الطاعات دِقِّها وجِلِّها، فهذا زمان التوبة.

مضى رجب وما أحسنت فيه
وهذا شهر شعبان المبارك
فيا من ضيَّع الأوقات جهلًا
بقيمتها أفق واحذر بَوَارَكْ
تدارَك ما استطعت من الليالي
فخير ذوي الفضائل من تدارك

إن الصائم الصادق الصالح هو الذي يتّقي الله في صومه، فيصوم جوفه، وفرجه، وسائر جوارحه، صومًا يكفّه عن المعاصي، ويحجزه عن الحرمات، فلا يقول إلّا خيرًا، ولا يسمع إلّا خيرًا، ولا يفعل إلّا خيرًا، ويُقلع عن قول الزور والعمل به، فمن لم يكن كذلك فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه، كيف لا، وللصيام منزلة رفيعة بين العبادات، ففي الحديث القدسي الذي رواه الشيخان يقول ربّ البريات: «كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلّا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به»، والحكمة في ذلك أنّ الصوم سرٌّ بين العبد وربه، لا يطلع عليه أحد سواه، وقيل في معنى: «فإنّه لي» أي لم يُتعبَّد أحدٌ بمثله إلا أنا، فالعباد يركعون لبعضهم ويسجدون، وينفقون تزلّفًا وتملّقًا، ويقصد بعضهم بعضًا، إلى غير ذلك مما يصرفه بعضهم لبعض من الأعمال.. أمّا الصوم فلا يُعرَف أنّ أحدًا يصوم لأحدٍ غير المسلم يصوم لله تعالى.

والمؤمن الرشيد يقدّم بين يدي رمضان توبة تحجزه عن الملاهي والمنكرات، التي تكتظ بها وسائل الإعلام والإجرام، ويتزوّد بالتقوى والإنابة، قبل تزوده بالطعام والشراب والثمار المستطابة.

وفي رمضان فرصة سانحة للخلوة مع كتاب الله الكريم، فإن القرآن ورمضان شفيعان مشفّعان يوم القيامة «يقول الصيام: أي رب، منعته الطعام والشهوات بالنهار، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، فيشفعان».

مَنع الكتاب بوعده ووعيده
مُقَل العيون بليلها لا تهجع
فهموا عن الملك العظيم كلامه
فهُمَا تذل له الرقاب وتخضع

المحرر

رمضان.. عرس إيماني فريد

د. خالد سعد النجار

يقظة غير عادية في الضمير الإيماني، ورغبة عارمة في استدراك التقصير في الأيام الخوالي، ومحطة عامرة بتصحيح مسار سلوكاتنا وأخلاقنا مع الأحباب والجيران وسائر الإخوان.. إنه «رمضان» الذي يزينه الإيمان، ومنح الرحمن، والرغبة في الغفران، والتسابق إلى الرضوان، فحري بكل ذي بصيرة أن يرتب في هذا الشهر الفضيل أولوياته، ويقوّم تصوراته، ويهذب سلوكاته.

في رمضان تترسخ الأسس الإيمانية، وتتجمل البنايات السلوكية، فلا خير في إيمان لا يفرز عملا ينفع صاحبه والناس، فالإسلام أكبر من الشعارات الجوفاء، والتصريحات العمياء.. إنه دين انتصار السلوك على المظاهر الفارغة، وتعبيد القلوب لرب رحيم ودود.

قال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾(النساء:١٤٧). أي ما يفعل الله بعذابكم إن أصلحتم العمل وآمنتم بالله ورسوله، فإن الله سبحانه غني عمَّن سواه، وإنما يعذب العباد بذنوبهم، وكان الله شاكرًا لعباده على طاعتهم له، عليمًا بكل شيء (١) والمقصودُ منه حمل المكلَّفين على فعل الحَسَن والاحتراز عن القبيح.

قال الإدريسي: أي لا حاجة له في عذابكم، فلا يشفي به غيظًا ولا يدفع به ضررًا، أو يستجلب به نفعًا؛ لأنه غني عن المنافع، وإنما يعاقب المصر بكفره، لأن إصراره عليه كسوء المزاج يؤدي إلى مرض فإن زال بالإيمان والشكر، ونقّى منه قلبه، تخلص من تبعته، وإنما قدم الشكر؛ لأن الناظر يدرك النعم أولًا فيشكر شكرًا مبهمًا، ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به(٢).

وقال مكحول: أربع من كن فيه كن له، وثلاث من كن فيه كن عليه: فالأربع اللاتي له: فالشكر والإيمان والدعاء والاستغفار، قال الله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾(النساء:١٤٧) وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٣) وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ (الفرقان:٧٧)، وأما الثلاث اللاتي عليه: فالمكر والبغي والنكث، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ (الفتح: ١٠). وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (فاطر: ٤٣)، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ (يونس: ٢٣)(٣).

المسؤولية الفردية

في الصوم تتجلى أسمى معاني المسئولية الشخصية الفردية

طبيب بشري

الإيمانية، وتتجلى مراقبة العليم المنان بأسمى صورها (الرقابة الذاتية)، فالصوم عبادة سرية، فلا قانون يسن الصيام غير قانون السماء، بلا حرس ولا خفر، ولا كاميرات ولا تنصتات، ورغم كل هذا فالمؤمنون صائمون عن لذائذ الطعام والشراب، معرضون عن اللغو والرفث والآثام، تحدوهم نفحات الرحمن في شهر القرآن، وتشد من عزائمهم الرغبة في الجنان، فسبحان من ربى أهل الإيمان على عينه، وأكمل بتعاليم الإسلام الإحسان إلى خلقه، فلا يعرف النفاق قلوبهم ولا الخديعة سلوكهم، لأنهم دوما في معية الرحمن، يراقبونه في كل حال.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (المجادلة:٧).

قال السعدي: إخبار الله أنه مع عباده يرد في القرآن على أحد معنيين:

أحدهما: المعية العامة، كقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ...﴾ أي: هو معهم بعلمه وإحاطته.

الثاني: المعية الخاصة، وهي أكثر ورودا في القرآن، وعلامتها أن يقرنها الله بالاتصاف بالأوصاف التي يحبها، والأعمال التي يرتضيها مثل قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة:١٩٤). مع المحسنين ومع الصابرين، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة:٤٠)، ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (طه:٤٦). وهذه المعية تقتضي العناية من الله والنصر والتأييد والتسديد بحسب قيام العبد بذلك الوصف الذي رتبت عليه المعية(٤).

تبدأ الآية بتقرير علم الله الشامل لما في السموات وما في الأرض على إطلاقه، فتدع القلب يرود آفاق السموات وأرجاء الأرض مع علم الله المحيط بكل شيء في هذا المدى الوسيع المتطاول، من صغير وكبير، وخاف وظاهر، ومعلوم ومجهول.. ثم تتدرج من هذه الآفاق وتلك الأرجاء، وتزحف وتقرب حتى تلمس ذوات المخاطبين وتمس قلوبهم بصورة من ذلك العلم الإلهي تهز القلوب ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا﴾ وهي حقيقة في ذاتها، ولكنها تخرج في صورة لفظية عميقة التأثير، صورة تترك القلوب وجلة ترتعش مرة، وتأنس مرة، وهي مأخوذة بمحضر الله الجليل المأنوس.

وحيثما اختلى ثلاثة تلفتوا ليشعروا بالله رابعهم، وحيثما اجتمع خمسة تلفتوا ليشعروا بالله سادسهم، وحيثما كان اثنان يتناجيان فالله هناك! وحيثما كانوا أكثر فالله هناك!

إنها حالة لا يثبت لها قلب، ولا يقوى على مواجهتها إلا وهو يرتعش ويهتز.. وهو محضر مأنوس نعم.. ولكنه كذلك جليل رهيب.. محضر الله: ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا﴾.

﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وهذه لمسة أخرى تُرجف وتزلزل.. إن مجرد حضور الله وسماعه أمر هائل، فكيف إذا كان لهذا الحضور والسماع ما بعده من حساب وعقاب؟ وكيف إذا كان ما يسره المتناجون وينعزلون به ليخفوه، سيعرض على الأشهاد يوم القيامة وينبئهم الله به في الملأ الأعلى في ذلك اليوم المشهود؟!

وتنتهي الآية بصورة عامة كما بدأت: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وهكذا تستقر حقيقة العلم الإلهي في القلوب، بهذه الأساليب المنوعة في عرضها في الآية الواحدة.. الأساليب التي تعمق هذه الحقيقة في القلب البشري، وهي تدخل بها عليه من شتى المسالك والدروب! (٥).

وقفة مراجعة

بعد الوقوف مع هذه النصوص النورانية من كتاب رب البرية، لا نريد أن تتحول الكتابة عن رمضان إلى مجرد نوع من «الترف الثقافي» أو «المعرفة الباردة»، بل ينبغي أن تستحيل هذه المعرفة إلى قوة دافعة لتحقيق مدلولها في عالم الواقع.. ينبغي استجاشة حمية المؤمن للاستفادة القصوى من منح هذا الشهر الكريم، فرغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف.. من أدرك رمضان ولم يغفر له، كما قال النبي العدنان عليه أفضل الصلاة والسلام.

يقول ابن القيم: «لما كان المقصودُ من الصيام حبسَ النفس عن الشهوات، وفِطامَها عن المألوفات، وتَعديلَ قوتها الشهوانية، لتستعدَّ لطلب ما فيه غايةُ سعادتها ونعيمها، وقبولَ ما تزكو به مما فيه حياتُها الأبدية، ويكسِر الجوعُ والظمأ من حدَّتها وسَوْرتها، ويُذكِّرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين، وتضيق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب، وتحبس قُوى الأعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرُّها في معاشها ومعادها، ويُسكِّنُ كُلَّ عضوٍ منها وكُلَّ قوة عن جماحه، وتُلجَمُ بلجامه، فهو لجامُ المتقين، وجُنَّةُ المحاربين، ورياضة الأبرار والمقرَّبين، وهو لربِّ العالمين من بين سائر الأعمال، فإن الصائم لا يفعلُ شيئًا، وإنما يتركُ شهوتَه وطعامَه وشرابَه من أجل معبوده، فهو تركُ محبوبات النفس وتلذُّذاتها إيثارًا لمحبة الله ومرضاته، وهو سرٌّ بين العبد وربه لا يَطَّلِعُ عليه سواه، والعبادُ قد يَطَّلِعُونَ منه على تركِ المفطرات الظاهرة، وأما كونُه تركَ طعامَه وشرابَه وشهوتَه من أجل معبوده، فهو أمرٌ لا يَطَّلِعُ عليه بَشَرٌ، وذلك حقيقةُ الصوم»(٦).

الهوامش

(١) التفسير الميسر.
(٢) البحر المديد: ١٧١/٢.
(٣) تفسير القرطبي: ٥/ ٤٢٦.
(٤) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن: ٣٤/٢
(٥) في ظلال القرآن: ١٤٨/٧.
(٦) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد: ٢٨/٢-٢٩ ت: شعيب الأرناؤوط- عبدالقادر الأرناؤوط، ط:١٤ مؤسسة الرسالة- مكتبة المنار الإسلامية- بيروت- الكويت ١٩٨٦.

سَلام رمضَان.. ودٌّ وأمَان

علاء الدين حسَن

جاء اسم السَّلام في القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الحشر: ٢٣).

هذا الاسم معناه أنه جل جلاله ذو السَّلامة، أي أنَّ ذاته جل جلاله سلمت من كل عيب، وأنَّ صفاته تنزَّهت عن كل نقص، وأنَّ أفعاله خلت عن أي شر.. لا يلمُّ به سبحانه موت ولا فناء ولا مرض ولا فتور ولا غفلة ولا سهو ولا نسيان ولا نوم، فعلمُه عزَّ وجلَّ سلم من أن يُحجَب عنه شيء، وسمعه سلم من أن يغيب عنه مسموع، وبصره سلم من أن يغيب عنه مبصَر، وغناه سلم من الحاجة إلى غيره ومن الفقر، وعزَّته سَلمت من أن يطرأ عليها ذل.

والله تعالى هو السَّلام، أي إنَّه جل جلاله ذو السَّلامة لعباده، فليس في الوجود كلِّه سلامة إلا وهي معزوَّة إليه.

أنت إذا سرت على قدميك، ما الذي يضمن لك ألا تقع؟ جهاز للتوازن أودعه الله في أذنك الداخلية من أجل سلامتك.

ولكي تتحقق السلامة، جعل الله العين في المحجر، وجعل الدماغ في الجمجمة، وأودع النخاع الشوكي في العمود الفقري، والقلب في القفص الصدري، وأجرى معامل كريات الدم الحمراء في نقي العظام.

والسَّلام، سَلِمَ المؤمنون من عذابه، فهو جلَّ شأنه ذو سلامة على أوليائه: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ (النَّمل: ٥٩).

ومن معاني هذا الاسم، أنَّ ذكرَ الله عزَّ وَجلَّ يورث الأمن والطمأنينة والسَّلامة، والدليل على ذلك هو قوله تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرَّعد: ٢٨).

فإذا ذكرته شعرت بالسَّلام، إنَّك إذا ذكرت الله زال عنك الخوف، وزالت عنك الوحشة، إنَّك إذا ذكرته أنست به، وازددت حبًّا له.

ومن معاني اسم السَّلام أنَّك إذا اتصلت بالله عزَّ وَجلَّ طهرت نفسك من العيوب، ومن البخل والشح والحقد والضغينة والحسد والكبر والغرور، إذن هو ذو سلام في جسمك أعطاك أعضاء، وأعطاك أجهزة، وأعطاك خلايا وأنسجة، ومنحك

كم من شرٍّ دُفع بسبب إلقاء السلام وكم من خيرات حلت بسبب كلمة السلام

دقَّة بالغة في جهازك العظمي والعصبي والعضلي والدوران والشرايين والأوردة، وإذا كنت خاتمًا وذكرته بثَّ في قلبك السَّلام، فإذا اتصلت به طهرك من كل العيوب والنقائص.

والمؤمن الحق يتخلَّق بهذا الاسم، فيسلم من المخالفات الشرعية سرًّا وعلنًا، ويبرأ من العيوب ظاهرًا وباطنًا ؛ ليتحقق له معنى الآية الكريمة ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشُّعراء: ٨٧ – ٨٨).

وفي شهر رمضان يتجلَّى السَّلام على أولياته، فيطهر نفوسهم من الآثام، ويهبهم الأمن والسَّلام، وهو سبحانه وتعالى سلَّم ظواهرنا من السجود لغيره، وبرأها من العبادة لسواه، وسلم بواطننا وأكرمنا بالإيمان ﴿ولكنَّ الله حبَّب إليكم الإيمانَ وزيَّنه في قلوبكم وكرَّه إليكم الكفرَ والفسوقَ والعصيان أولئك هم الرَّاشدون﴾ (الحجرات: ٧).

وكما سلمنا الله من الشرك، فعلينا أن نكون سالمين من كل وصف لا يليق بنا، علينا أن نسلم القلب عن أن يكون له التفات إلى غير الله.. وخير من نال الحظ الوافر من اسم السلام هو رسول السلام ﷺ، فقد سلم ظواهرنا وبواطننا من الترهات والدناءات، فكان الرحمة المهداة للعالمين.

ولقد كان من دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ (البقرة : ١٢٨)، ورحم الله القائل:

لكَ النَّجوى إذا تَقد الهُيامُ
وهزَّ القلبَ بالشَّوق سلامُ
سلامٌ نازهٌ من أيِّ نقص
عظيمٌ كاملٌ منهُ السَّلامُ
سلام ربنا في كل شيء
عظيم أمره أبدًا تمامُ
كمالٌ في الصفات وفي فعال
تعالى خالقًا وهو السَّلامُ

وإفشاء السلام من الأمور التي تجلب المحبَّة، وتنشُر المودَّة بين النَّاس، جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا تدخلُوا الجنَّة حتَّى تُؤمنوا، وَلا تُؤمنوا حتَّى تَحابُّوا، أوَلا أدُلُّكم عَلى شيءٍ إذَا فعلتُمُوهُ تَحابَبْتُم؟ أفشوا السَّلامَ بينَكُم» (رواه مسلم في صحيحه برقم: ٥٤).

وعند البخاري في «الأدب المفرد» من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ السَّلامَ اسمٌ من أسماء اللَّه، وَضَعَهُ الله في الأرض، فأفْشُوا السَّلامَ بينكم» (البخاري في الأدب المفرد، حديث رقم (٩٨٩)، وإسناده صحيح).

◆ كاتب مصري

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- أنَّ رجلًا سأل رسول الله ﷺ: أيّ الإسلام خير؟ قال: «تطعمُ الطعام، وَتقرأ السَّلام، على من عرَفت، ومَن لم تَعْرِف» (البخاري (حديث رقم ٢٨)، ومسلم (حديث رقم ٣٩).

وبيَّن رسول الله ﷺ أنَّ من حقِّ المسلم على أخيه أن يُسَلِّمَ عليه؛ ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «حقُّ المسلم على المسلم ست. قيل: ما هنَّ يا رسول الله؟ قال: إذا لقيتَهُ فسلِّمْ عليه، وإذا دعاك فأجِبْهُ، وإذا استَنصَحَك فانصَح له، وإذا عطس فحمدَ اللَّه فشمِّتْهُ، وإذا مَرِضَ فعُدْهُ، وإذا ماتَ فاتبعه» (صحيح مسلم (ص ١٧٠٥).

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إيَّاكم وَالجلوسَ على الطُّرُقات، فقالوا: يا رسولَ اللَّه، ما لنا من مَجالسنا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فيها، فقال: فإذا أبَيْتُم إلّا المَجلس فأعطوا الطريق حقَّه، قالوا: وما حقُّ الطريق يَا رسولَ الله؟ قال: غضُّ البَصَر، وَكفُّ الأذَى، وَرَدُّ السَّلام، وَالأمرُ بالمَعروف وَالنَّهي عن المنكَر» (البخاري (مع الفتح ١١/ ٨)، ومسلم (١٤/ ١٠٢ مع النووي).

وكانَ النَّبيُّ ﷺ يسلِّمُ على الصِّبيان، كما في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه (البخاري (مع الفتح ١١/ ٣٢)، ومسلم (مع النووي ١٥/ ١).

وكان يُسَلِّمُ على النِّساء أيضًا، ففي سُنَنِ التِّرمذي، والأدب المفرد للبخاري بإسنادٍ حسَنٍ لشواهده من حديث أسماءَ بنت يزيد- رضيَ الله عنها- أنَّ رسول الله ﷺ مرَّ بي، وأنا في جَوارٍ أتْراب، فسلَّم علينا. (الترمذي (٧/ ٤٧٥ مع التحفة)، والبخاري (في الأدب المفرد/ ١٠٤٨).

وكذلك إذا كان المَجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان، واليهود، فإنَّ النبي ﷺ سلَّم على مَجلس فيه مثل هذه الأخلاط.

وكم من شَرٍّ دُفِعَ بسبب إلقاء السَّلام، وكم من خيرات حلَّت بسبب كلمة السَّلام، وكم من أرحام وُصِلَتْ بفضل السَّلام.

وفي المقابل كم حلَّ من نَكَد وبَلاء، وكم ساد من بُؤس وشقَاء، وكم زاد من إدبار وتنافُر؛ بسَبَبِ عدم إلقاء السَّلام!

قال علماؤنا: ابتداءُ السَّلام سُنَّة، وردُّه واجب، وإن كان المُسلِّم جماعة، فهو سُنَّة كفاية في حقِّهم، وإذا سلَّم بعضُهم حَصَلت سُنَّة السلام في حقِّ جميعهم، فإن كان المُسلَّم عليه واحدًا تعيَّن عليه الرَّد، وإن كانوا جماعة كان الردُّ فرضَ كفاية في حقِّهم، فإنْ ردَّ واحدٌ منهم سقط الحرج عن الباقين، والأفضل أن يبتدئ الجميعُ بالسَّلام وأن يردَّ الجميع.

من صيغ السلام

أخرج أبوداود في سُنَنه من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فردَّ عليه السلام، ثم جلس، فقال النبي ﷺ: عشر، ثم جاءَ آخَرُ فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فردَّ عليه فجلس، فقال: عِشْرُونَ، ثم جاء آخَرُ فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فردَّ عليه فجلس، فقال: ثلاثون» (رواه أبوداود في سننه ك الأدب- ح رقم ٥١٩٧).

● وقد شرعت للسلام آداب، منها:

قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ (النِّسَاء: ٨٦).

وقول النبي ﷺ: «يسلِّمُ الصغير على الكبير، والمارُّ على القاعد، والقليلُ على الكثير» (البخاري (١١/ ١٥ مع الفتح).

وقد تكون هناك موانع شرعيَّة تمنع من إلقاء السلام، بل ومن رَدِّه، كأن يكون عدم الردِّ كي ينْزجر العاصي عن معصيَتِه، ويُقْلِعُ المُذنِب عن ذنبه.

وقد يكون في إلقاء السلام على رجل شرير دفع لشرِّه.

وقد قال النبي ﷺ في شأن رجل: «بئسَ أخو العشير» (البخاري في الأدب- ح ٦٠٣٢)، فلما قدم ألان له النبي ﷺ القول.

وبالجملة، ففي باب إفشاء السَّلام، أو تركه، ينبغي أن نراعي المصالح الشرعية العامة، فإفشاء السلام والإكثار منه، والسلام على الصغير والكبير، والقريب والبعيد، ومن عرفت، ومن لم تعرف- هو الأصل في العلاقات.

وصحَّح بعض أهل العلم حديث البراء بن عازب- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلمَين يلتقيان فيتصافحان، إلا غفرَ لهما قبل أن يتفرقا» (رواه أبوداود- ك الأدب- ح ٥٢١٤).

والمؤمن يحرص على البشاشة، وطَلاقة الوجه، والابتسامة عندَ السَّلام، حيث يقول ﷺ: «وَتبسُّمُك في وَجهِ أخيك صَدَقة» (سنن الترمذي- ك البر والصلة- ح ٢٠٨٣)، ويقول ﷺ: «لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا، ولو أنْ تلقى أخاك بوجهٍ طَليق» (ص مسلم- ك البر والصلة- ح ٦٨٥٧).

والجنة هي دار السَّلام، قال تعالى ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ (الأنعام: ١٢٧). وتحية المؤمنين يوم يلقون ربهم في الآخرة هي السلام، قال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ (إبراهيم: ٢٣).

ولقد جاء التبيان النبوي ليربط الإسلام بالسلام والإيمان بالأمان، فقال ﷺ: «المسلمُ من سلم الناسُ من لسانه ويده، والمؤمن مَن أمنَهُ الناسُ على أموالهم وأنفسهم» (رواه النَّسائي ٦/ ٥٣٠).

في القرآن الكريم تأكيد صريح على السلم، وخاصة عند غياب القتال، قال الله تعالى ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ (النِّساء: ٩٠).

وكذا إنْ عَلِم المسلم أنَّ الذي يقاتله قد جنح للسلم، فإنَّ المسلم يدخل في الحالة السلمية، قال تعالى ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (الأنفال: ٦١).

رمضان.. ركاز الشهور والأيام

منى الشريف

«رمضان» هدية السماء، وبركة أهل الأرض، وخير يفيض لعمر مديد.. قال صاحب القول السديد، والشرع المجيد، والمبعوث رحمة للعبيد ﷺ: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» (متفق عليه). «من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، وصام رمضان، كان حقا على الله أن يدخله الجنة، هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها» (البخاري). «فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصيام والصدقة» (متفق عليه). «الصيام جنة، وحصن حصين من النار» (رواه أحمد). «الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها» (رواه البخاري). «إن في الجنة بابا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم» (متفق عليه). «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة» (رواه أحمد). «عليك بالصوم فإنه لا مثل له» (رواه النسائي). «ثلاث من كل شهر، ورمضان إلى رمضان، فهذا صيام الدهر كله» (رواه مسلم). «من صام رمضان وأتبعه ستا من شوال كان كصوم الدهر» (رواه مسلم) «صيام شهر رمضان بعشرة أشهر، وصيام ستة أيام بعده بشهرين فذلك صيام السنة» (صحيح الجامع ٣٨٥١)، «ينادي مناد كل ليلة: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة» (رواه الترمذي). ويقول وكيع- رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ (الحاقة: ٢٤) هي أيام الصيام.

رمضان ساحة السكينة ومأوى الفضيلة وطارد الرذيلة

«رمضان».. استراحة نفسية تتخفف فيها من أعباءنا وهمومنا وأحزاننا، ومنحة سماوية نفارق فيها صنوف الرتابة والملل التي غشت آيامنا، وتنطلق فيها الروح في أجواء إيمانية، وثورة نورانية نتعايش فيها أكثر مع القرآن والقيام والبر والإحسان.. إن التعود اليومي على أطيب الوجبات وألذ المشروبات يكسبها نوعا من الألفة والعادة التي تذهب الإحساس بقيمتها ونعمتها، لذلك فإن قطع هذه الألفة لسويعات بالصيام يوقظ الفطرة المتبلدة، ويبرز قيمة هذه النعم في حياتنا، بل إن طول الشبع يشكل سحابة تحجب نور العقل وإشراقات الروح، ولا تتوارد هذه الفيوضات على مخيلة الوعي إلا بالإخفاء المتناوب لحالات الشبع والتخمة على مستوى الجسد.

ولذلك أخرج الطبراني بسند جيد، أنه ﷺ رأى رَجُلًا عظيم البطن، فقال بأصبُعه: «لو كان هذا في غير هذا لكان خَيرًا لَك». وقال لُقمانُ لابنه: يا بُنيَّ، إذا امتلأت المعدةُ نامت الفكرةُ، وخرست الحكمةُ، وقعدت الأعضاءُ عن العبادة.

«رمضان».. فرحة رؤية الهلال حين تتبدى على وجوه الصغار قبل الكبار، وفرحة تجهيز أغراض السحور والإفطار، وفرحة التجمع على مائدة تشمل الأحباب والإخوان والخلان، وفرحة الإعانة على إتمام كل يوم من أيام الصيام، قال ﷺ: «للصائم فرحتان.. فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه» (رواه مسلم). قال ابن رجب- رحمه الله- في «لطائف المعارف»: «أما فرحة الصائم عند فطره: فإن النفوسَ مجبولةٌ على الميل إلى ما يلائمها من مطعم، ومشرب، ومنكح؛ فإذا امتنعت من ذلك في وقت من الأوقات، ثم أبيح لها في وقت آخر، فرحت بإباحة ما منعت منه، خصوصًا عند اشتداد الحاجة إليه؛ فإن النفوسَ تفرح بذلك طبعًا؛ فإن كان ذلك محبوبًا لله كان محبوبًا شرعًا.

والصائمُ عند فطره كذلك، فكما أن الله تعالى حَرَّم على الصائم في نهار الصيام تناولَ هذه الشهوات فقد أذن له فيها في ليل الصيام، بل أحب منه المبادرةَ إلى تناولها من أول الليل وآخره؛ فأحب عباد الله إليه أعجلهم فطرًا، والله وملائكته يصلون على المتسحرين؛ فالصائمُ ترك شهواته في النهار تقربًا إلى الله، وطاعةً له، وبادر إليها بالليل تقربًا إلى الله، وطاعة له؛ فما تركها إلا بأمر ربه، ولا عاد إليها إلا بأمر ربه؛ فهو مطيعٌ في الحالين؛ ولهذا نُهِيَ عن الوصال؛ فإذا بادر الصائم إلى الفطر تقربًا إلى مولاه، وأكل وشرب وحمد الله فإنه ترجى له المغفرةُ، أو بلوغُ الرضوان بذلك...». إلى أن قال رحمه الله: «ثم إنه ربما استجيب دعاؤه عند فطره، وعند ابن ماجه: «إن للصائم عند فطره دعوةً لا تُرد». وإن نوى بأكله وشربه تقوية بدنه على القيام والصيام كان مثابًا على ذلك، كما أنه إن

باحثة إسلامية

نوى بنومه في الليل والنهار التقوّيَ على العمل كان نومُه عبادة...» إلى آن قال: «ومن فهم هذا الذي أشرنا إليه، لم يتوقف في معنى فرحه عند فطره: فإن فطره على الوجه المشار إليه من فضل الله ورحمته، فيدخل في قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (يونس: ٥٨)...». ثم قال: «وأما فَرحه عند لقاء ربه، ففيما يجده عند الله من ثواب الصيام مدَّخرًا؛ فيجده أحوجَ ما كان إليه كما قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ (المزمل: ٢٠)» (١) .. فأكرم برمضان شهر الفرحة.

«رمضان».. ساحة السكينة، ومأوى الفضيلة، وطارد الرذيلة، ومحضن كل الأشياء الجميلة، حتى إن خلوف فم الصائم يستحيل جمالا وروعة وبهاء، قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» (متفق عليه).

«رمضان».. فاتح أبواب الخير، موصد منافذ الشر، قامع الشياطين، ومسلسل مردة الجن، قال ﷺ: «أتاكم شهر رمضان، شهر مبارك فرض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، وفيه ليلة هي خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم» (صحيح الجامع:٥٥). «تفتح فيه أبواب الجنة» وفي رواية «أبواب السماء». وهي كناية عن تواتر هبوط غيث الرحمة وتوالي صعود الطاعة بلا مانع أو معوِّق. ويشهد له قوله «وتغلق فيه أبواب الجحيم» كناية عن تنزه أنفس الصوام عن رجس الآثام وكبائر الذنوب العظام، وتكون صغائره مكفرة ببركة الصيام. ولا مانع أيضا من فتح الجنة وغلق النار على الحقيقة.

«رمضان».. كابح الشهوات الجامحة، وقامع لنار الغرائز الحارقة، وصمام الأمان لاندفاعنا وغضبنا، وموقظ ضمائرنا، ومجلي بصائرنا، ومعالج لأمراض قلوبنا من غل وحقد وحسد، ومهذب لسلوكنا من أوضار الغيبة والنميمة والغش والخديعة وسائر المفاسد التي مقتتها الشريعة.. شعار المؤمن فيه: «إني صائم.. إني صائم».

«رمضان».. يتجلى فيه شرف الزمان، ويعظم فيه أجر الطاعات، فالعمرة في رمضان ليست كأي عمرة، ومأدبة القرآن ليست كأي مأدبة، والصدقة فيه ليست كأي صدقة، وليلة القدر ليست كأي ليلة، والأحداث في رمضان ليست كأي حدث.. قال ﷺ: «عمرة في رمضان كحجة معي» (صحيح الجامع: ٤٠٩٨)، وروى البخاري في صحيحه عن عبدالله بن عباس– رضي الله عنهما– قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيُدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجودُ بالخير من الريح المرسَلة». وقال ﷺ: «ليلة القدر ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين، إن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى» (حسن، الجامع الصغير:٥٤٧٣)، «أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثماني عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان» (حسن، الجامع الصغير: ١٤٩٧).

«رمضان».. الذي يأخذنا قسرا إلى الضعيف والمسكين والملهوف وذي الحاجة، نحس بمعاناتهم إحساسا واقعيا بعيدا عن وصف الكلمات، ومن عاين ليس كمن سمع، فيدفعنا بقناعة إلى أن نخرج من أنانيتنا والانهماك في تحقيق رغباتنا، إلى الالتفاف حول جراح الغير لاحتوائها، وساعتها نحس بلذة أعظم من لذة الاستمتاع برغباتنا، فالأولى لذة خالطتها إنسانيتنا، والثانية لذة خالطتها غرائزنا، وشتان بين هذه وتلك، فمن عاش لنفسه عاش صغيرا ومات صغيرا. ومن عاش لغيره عاش كبيرا ومات كبيرا.

«رمضان».. المعلم الذي يبرهن لنا أن التعلق بغير الله وهم يمكن الاستعلاء والاستغناء عنه إذا أسرنا واستحوذ علينا، فالطعام والشراب والنكاح وسائر الملذات كلها وسائل لغاية أكبر وأجل وأعظم، وهي حسن الخلافة في الأرض، قال الشاعر:

والنفس راغبة إذا رغبتها
وإذا ترد إلى قليل تقنع

فنسأل الله العظيم رب العرش الكريم باسمائه وصفاته أن يرزقنا وإياكم حلاوة اليقين، وأن يرزقنا وإياكم كمال الإيمان بالله رب العالمين.. اللهم إنا نسألك يقينًا لا يخالطه شك، ونسألك إيمانًا لا يخالطه شرك، ونسألك الصدق في حبك والشوق إلى لقائك، إنك ولي ذلك والقادر عليه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه وآله وصحبه أجمعين.

رمضان شهر الانتصارات

علي عفيفي علي غازي

لقد أظلنا شهر عظيم مبارك، نزلت فيه آيات القرآن الكريم، شهر ارتفعت فيه رايات المسلمين عالية خفاقة، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، فما أعظمه من شهر، وما أعظم فضله. شهر انتصارات المسلمين التي ما زالوا يفاخرون بها، ويمنون أنفسهم بالرجوع إلى زمنها، ليس فقط في شهر رمضان بل في الشهور كلها. ولم تأت هذه الانتصارات إلا بعد أن تمسكوا بشرع الله القويم، وبكتابه الحكيم، وسنة رسوله الكريم.

أول حلقة في سلسلة الانتصارات الرمضانية، وأول معركة وقعت بين المسلمين والمشركين، معركة الفرقان بين الحق والباطل، هي غزوة بدر الكبرى، التي وقعت بالقرب من ماء بدر، صبيحة يوم الجمعة ١٧ رمضان ٢هـ (١٣ مارس ٦٢٤م). ورغم قلة عدد المسلمين مقابل المشركين، فقد كان النصر حليفًا لهم، وخرج المسلمون من هذه الموقعة بكثير من المغانم. وقد قال الله تعالى في شأنها: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (آل عمران: ١٢٣).

وكان من خبر هذه الغزوة أن رسول الله ﷺ سمع أن أبا سفيان بن حرب مقبل من الشام في قافلة عظيمة لقريش فيها أموالهم وتجارتهم، وفيها ثلاثون أو أربعون رجلا من قريش، ولو أن أهل مكة فقدوا هذه الثروة لكانت ضربة مؤلمة لهم، وفيها عوض عما لحق بالمسلمين من خسائر في أثناء هجرتهم إلى المدينة. كما أنها فرصة للنيل من هيبة قريش وصلفها. وكان الأمر الإلهي ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: ١٤).

لذلك لما سمع رسول الله ﷺ أن أبا سفيان مقبل، وكان من أشد الناس عداوة للإسلام، ندب رسول الله ﷺ الناس للخروج إليها، وأمر من كان حاضرًا بالنهوض، قائلا: «هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا لعل الله ينفلكموها»، أي يجعلها غنيمة لكم. فخرجوا لا يريدون إلا أبا سفيان والركب معه، لا يرون قافلته إلا غنيمة لهم، ولا يظنون أن يكون قتال كبير إذا لقوهم. وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (الأنفال: ٧).

ولم يدر بخلد أحد منهم أنه مقبل على يوم من أخطر أيام الإسلام، ولو علموا لاتخذوا أهبتهم كاملة ولما سُمح لمسلم أن يبقى في المدينة. واستعد رسول الله ﷺ للخروج، ومعه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا: ٨٢، أو ٨٣، أو ٨٦ رجلا من المهاجرين، و٦١ من الأوس، و١٧٠ من الخزرج. واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة وعلى الصلاة ابن أم مكتوم، فلما كان بالروحاء رد أبا لبابة بن المنذر واستعمله على المدينة.

ولم يتخذ المسلمون أهبتهم كاملة، فلم يكن معهم إلا فرسان، فرس للزبير بن العوام، وثانية للمقداد بن الأسود الكندي، وكان معهم سبعون بعيرًا يتعاقب الرجلان والثلاثة على بعير واحد، وكان رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد، رضي الله عنهم، يتعاقبون بعيرًا واحدًا، فإذا ما كانت عقبة النبي ﷺ قالا اركب حتى نمشي عنك فيقول: «ما أنتما بأقوى مني وما أنا بأغنى من الأجر منكما».

وكان الخروج من المدينة يوم الاثنين لثمان أو لتسع أو لاثني عشر خلون من رمضان، ودفع الرسول ﷺ اللواء إلى مصعب بن عمير وراية المهاجرين إلى علي بن أبي طالب، وراية الأنصار إلى سعد بن معاذ.

وبلغ أبوسفيان خروج الرسول ﷺ، وعلم بمقصده فأرسل إلى مكة ضمضم بن عمرو الغفاري مستصرخًا قريش، ليمنعوه من المسلمين، وبلغ الصريخ أهل مكة، فجد جدهم، ونهضوا مسرعين فكانوا بين خيارين: إما خارج الرجل بنفسه، وإما باعث مكانه رجلا، لأن معظمهم كان له في القافلة نصيب، وخرجوا من ديارهم كما وصفهم الله

صحافي وأكاديمي مصري

تعالى ﴿بَطَراً وَرِئَآءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (الأنفال: ٤٧).

ولما سمع أبوسفيان بخروج المسلمين غير طريقه المعتاد ولحق بساحل البحر الأحمر فنجا وسلمت العير، وأرسل إلى قريش أن ارجعوا فإنكم إنما خرجتم لتحرزوا عيركم ورجالكم وأموالكم، وقد رجعت سالمة فارجعوا، وبينما هموا بالرجوع إذا بأبي جهل يأبى إلا القتال، وقال: والله لا نرجع حتى نرد بدرًا فنقيم عليها ثلاثًا ننحر الجذور، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب، ويمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدًا بعدها فامضوا.

ورغم قول أبي جهل فقد رجع بنو زهرة وبنو عدي بن كعب، ولولا سلاطة لسان أبي جهل ورميه المترددين بالجبن، والضعف، لانسحب عدد كبير، ووقف عتبة بن ربيعة في معسكر المشركين يدعوهم إلى الرجوع، إلا أن صوت عتبة وغيره من عقلاء قريش ضاع بين صرخات الحرب وشهوة الانتقام من جانب أبي جهل ومن انضم إليه. ولجأ رسول الله ﷺ إلى الله تعالى داعيًا: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادُّك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تُعبد».

وقاتل المسلمون في معركة بدر قتالا رائعا يميزه الصدق والإخلاص والحرص على الشهادة في سبيل الله تعالى، ولقد علم الله منهم هذا، فساندهم وثبتهم، وشد عزائمهم وأمدهم بملائكته ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (الأنفال: ١٢). وكانت هزيمة القرشيين نذيرًا بنزول غضب الله على الكافرين، إذ بدأ المسلمون يهاجمونهم في كل أنحاء

قاتل المسلمون في بدر وهم صائمون قتالاً رائعًا يميزه الصدق والحرص على الشهادة

الجزيرة العربية.

بعد ستة أعوام من الحلقة الرمضانية الأولى، والانتصار الرمضاني الأول، كانت الحلقة الثانية، وهي فتح مكة، بقيادة المصطفى ﷺ. فبعد أن غدرت قريش ونكثت العهد الذي أبرمته في صلح الحديبية بمساعدتها قبيلة بكر على قبيلة خزاعة حليفة المسلمين كان لابد من نجدة خزاعة وإذلال الشرك والمشركين في العام الذي سُمي بعام الفتح.

وصار النبي ﷺ على رأس جيش المسلمين إلى مكة، وتحت قيادته عشرة آلاف مقاتل من المسلمين، وقسم الرسول ﷺ المسلمين إلى فرق، ورسم لكل فرقة خطة دخول مكة، ولم يلق جيش المسلمين أي مقاومة، ونجح في الاستيلاء عليها دون قتال يُذكر في ٢٠ رمضان ٨هـ (١١ يناير ٦٣٠م)، ودخل الرسول الكريم ﷺ مكة منتصرا ومطهرا لبيت الله الحرام من الأوثان، ورفع بلال من فوق الكعبة نداء الحق: الله أكبر.... وتم بذلك تطهير مكة من الأصنام، وتم القضاء على الوثنية وأعلنت فيها وحدانية الله، وأعز الله دينه ورسوله وجنده، وأنقذ بلده الأمين، وطهر بيته الحرام، الذي جعله هدى للعالمين، من دنس الكفار والمشركين، وكان هذا الفتح تتويجًا لجهود النبي ﷺ في الدعوة، وإيذانًا بسيادة الإسلام في شبه الجزيرة العربية، وارتفاع كلمة الحق والإيمان، ونزل فيه قول الحق عز وجل ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ. وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (النصر: ١-٣).

وفيها قال الرسول ﷺ مقولته المشهورة لمشركي قريش: «ما تظنون أني فاعل بكم؟»، قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء». في كلمات تتجلى فيها عزة الإسلام في هذا الموقف العظيم، وكرم الرسول ﷺ في هذا الموقف العصيب.

وفي ٨ رمضان ٩هـ (١٨ ديسمبر ٦٣٠م) كانت غزوة تبوك أو العسرة على حدود الأراضي البيزنطية، وهناك أعلنت القبائل العربية خضوعها للمسلمين، واكتفى الرسول الخاتم ﷺ بذلك، ولم يتوغل المسلمون في أراضي الدولة البيزنطية، وقد ترتب على هذه الموقعة اتساع رقعة الدولة الإسلامية لدرجة أنها عمت كل أرجاء بلاد العرب.

أما أبرز المعارك التي انتصر فيها المسلمون إبان عصر الخلفاء الراشدين، فهي معركة القادسية، على الضفة الغربية لنهر الفرات، التي وقعت في شعبان واستمرت إلى رمضان ١٦هـ (٦٣٧م) بين المسلمين والفرس، وكان قائد المسلمين الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وبلغ جيش المسلمين فيها نحو عشرة آلاف، وكان قائد الفرس رستم ذا الحاجب، ويتكون جيشه من مائة وعشرين ألف مقاتل، وقد مات المثنى بن حارثة الذي جرح في موقعة الجسر قبل المعركة، ومن الصحابة الذين كانوا يساعدون سعد بن أبي وقاص، المغيرة بن شعبة، وقيس بن هبيرة، وطليحة بن خويلد، الذي كان قد ادّعى

النبوة ثم تاب وأناب، وقبيل المعركة تم الاتصال بين المسلمين والفرس بُغية الوصول إلى اتفاق يمنع الحرب، ولكن هذا الاتصال لم يسفر عن نتيجة، فقامت المعركة، وهي من المعارك المهمة في تاريخ الصراع بين المسلمين والفرس، فرَّ فيها رستم وعشرات الآلاف من جنوده إلى المدائن عاصمة الساسانيين، وغنم فيها المسلمون مغانم كثيرة.

وكانت موقعة القادسية بمثابة المعركة الحربية الحاسمة، التي ساعدت الأمة الإسلامية الفتية على أن تنعطف انعطافة جديدة في مسيرتها التاريخية، وذلك كانعكاس طبيعي لانتصارها الظافر على الفرس، الذين كانوا يهيمنون هيمنة كاملة على الجناح الشرقي للوجود البشري آنذاك، وبالتالي تسنَّى للأمة الإسلامية في هذه الموقعة الحاسمة تغيير ملامح التاريخ البشري، وذلك بعد أن استطاع المسلمون أن ينهوا الوجود الفارسي وسيطرته على تلك المناطق الهامة من العالم حينئذ، وفي موقعة القادسية تبلوَر أيضا مدى الإعجاز الفريد للجانب العقدي الذي فجَّرت ينابيعه الأثرة الفيّاضة والإيمان الصادق في نفسية المسلمين، وذلك عبر الحوار الذي دار بين ابن من أبناء الحضارة الإسلامية البازغة، وممثل لتلك الحضارة الفارسية الغاربة، وهذان المتحاوران هما: الصحابي ربعي بن عامر رضي الله عنه، ورستم قائد الفرس، وذلك عندما دخل ربعي بن عامر على رستم، فقال رستم له: ما الذي جاء بكم إلى هنا؟! قال: جئنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة.

وفي ٢ رمضان ٨٢هـ (٩ أكتوبر ٧٠١م) كانت الجيوش الإسلامية في شمال إفريقيا تواجه الروم من جهة، والبربر من جهة أخرى، وكانت زعيمة

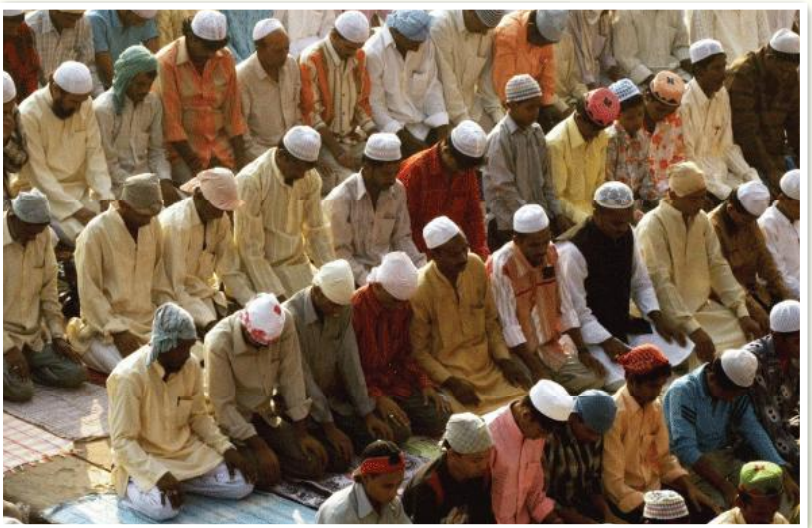

ها نحن اليوم أصابنا الوهن وتكالب علينا الأعداء وصرنا نذكر تاريخًا كان بالأمس دون أن نستفيد منه في حياتنا

البربر تسمى الكاهنة، حيث لم يستطع القائد المسلم زهير بن قيس أن ينتصر عليها، حتى جاء الحسان بن النعمان فصمم على فتح جميع بلاد المغرب إذ انطلق متوجها إلى أواسط المغرب والتقى بجيوش الكاهنة وانتصر عليها.

وفي ٢٨ رمضان ٩٢هـ (١٨ يوليو ٧١١م) نشبت معركة شذونة أو وادي لكة بين المسلمين بقيادة طارق بن زياد والقوط بقيادة لذريق، وكان النصر حليف المسلمين، وقد هيأ ذلك النصر أن يدخل الإسلام إلى إسبانيا، التي كانت تسمى بشبه الجزيرة الأيبيرية، وأن تفتح الأندلس وتضم إلى كيان الدولة الإسلامية، وأن تظل دولة مسلمة ثمانية قرون، وتكمن في الفتح الإسلامي للأندلس معجزة الإسلام، فالإسلام كدين وحضارة يحقق به الإنسان، وبقدرة الله، المعجزات.

وتم التقدم في فتح الأندلس بهذا النوع المتميز من أجناد العقيدة الإسلامية في أجواء رمضان المعطرة بشذى الإيمان وبندى الإسلام. فبدا سهلاً أمام هذا النوع من الجند، فقد استهانوا بالصعاب وبذلوا النفوس رخيصة من أجل رفع شأن الإسلام وحضارته الحقة، فأمام هذا النوع من الجند، كانت التضحيات كثيرة والجهد كبير، والدروب شاقة، والمناخ شديد، والجو غريب، والأرض صخرية عنيفة، وكان مستوى العقيدة أعلى من ذلك وأكبر، فانساب الفاتحون بهذه السرعة، فبدت للأسبان كأنها نزهة روحية من أجل إعلاء كلمة الله في الأرض، وهي سبب راحة المؤمن وفرحته بنصر الله إن عاش، وبجنته إن استشهد. وفي هذا يقول الحق سبحانه: ﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ (التوبة: ٥٢). ولقد نتج عن هذا الفتح المبين، أن انطلقت الأمة الإسلامية انطلاقتها الحضارية، ووصل إشعاعها إلى أوروبا المظلمة آنذاك.

وفي ٢ رمضان ١١٤هـ (٢٦ أكتوبر ٧٣٢م)، كانت معركة بلاط الشهداء بقيادة القائد المسلم عبدالرحمن الغافقي، والفرنجة بقيادة شارل مارتل، وجرت أحداث هذه المعركة في فرنسا بين مدينتي تور وبواتيه واستمرت المعركة ١٠ أيام، من أواخر شعبان حتى أوائل شهر رمضان، وانسحب المسلمون بالليل، ولم تنته المعركة بانتصار أحد الفريقين.

وفي ٩ رمضان ٢١٢هـ (١ ديسمبر ٨٢٧م) فتح المسلمون صقلية على يد القائد زياد بن الأغلب، حيث نزل المسلمون على شواطئها واستولوا عليها لينشروا الإسلام بها.

ومن أعظم المعارك الإسلامية الرمضانية التي تسببت فيها امرأة، صرخت، وقالت: وامعتصماه، فحركت نخوة الخليفة العباسي المعتصم بالله فحرك جيشًا عرمرمًا من قصر الخلافة إلى منطقة عمورية، وحاصر مدينة عمورية، إحدى مدن الدولة البيزنطية استجابة لنداء المرأة المسلمة التي استغاثت به، إنها معركة فتح عمورية.

حيث اقتحم المعتصم بالله العباسي حصون عمورية في مائة وخمسين ألفًا من جنوده، ليجعل من غزوته غرة في جبين الدهر، والدرة والتاج في تاريخ الإسلام، وتعود أسباب تلك المعركة إلى أنه قد نقل إلى الخليفة أن امرأة مسلمة من العفيفات قد وقعت في يد جند من جنود الروم، فلما هم بسبيها نادت: وامعتصماه.. وامعتصماه.. فهز النداء نخوته، وأثار رجولته، وقال: لبيك.. لبيك.. فنهض المعتصم، ولبس لامته وتقلد سلاحه، وركب حصانه، وصاح بالنفير وهو على أبواب قصره، وأقسم ألا يعود إليه إلا شهيداً محمولاً على الأعناق، أو ظافراً منتقماً للمدينة الغالية المنكوبة، والمرأة المسلمة المغصوبة، وفي أرض المعركة قاتل الجيش المسلم الروم، ولم تغب شمس يوم ١٧ رمضان ٢٢٣هـ (١٢ أغسطس ٨٣٨م) إلا والمدينة العريقة العتيدة بأيدي المسلمين، وشوهد المعتصم بن هارون الرشيد يدخلها على صهوة جواده الأصهب، وقد نكس رأسه خضوعاً لله وشكراً على نعمائه، فأين من يسمع صرخة امرأة وأين من يسمع صرخات الأطفال والعجائز.

وفي ١٠ رمضان ٦٤٨هـ (٦ ديسمبر ١٢٥٠م)، انتصرت شجرة الدر، زوج الملك الصالح نجم الدين أيوب، على لويس التاسع قائد الحملة الصليبية التاسعة، في معركة المنصورة، حيث أسر لويس نفسه وقتل عدد كبير من جنوده.

ثم كانت المعركة التي أنقذت الإسلام والمسلمين، المعركة التي قامت أمة الإسلام بعدها من غفلتها واختلافها، وقامت تحت قيادة واحدة، هذه المعركة هي معركة عين جالوت في ٢٥ رمضان ٦٥٨هـ (٣ سبتمبر ١٢٦٠م) واحدة من أكثر المعارك حسمًا في التاريخ، أنقذت العالم الإسلامي من خطر داهم لم يواجه بمثله من قبل، وأنقذت حضارته من الضياع والانهيار، وحمت العالم الأوروبي أيضًا من شر لم يكن لأحد من ملوك أوروبا وقتئذ أن يدفعه.

فقد ظهر جنكيز خان في شمال الصين ومن وراءه جاء هولاكو يقود جيوشًا جرارة من المغول التي تقدمت في البلاد تقتل وتخرب وتدمر كل شيء الأخضر واليابس دمرت الحضارة ودور العبادة، وأصبحت خطرا على البشرية جمعاء، واندفعت هذه الجيوش الهمجية عبر إيران إلى العراق وجاءت بغداد فهدمت القصور وسفكت الدماء وأحرقت الكتب، ودمرت كل شيء، وبدأت مدن الشام تتساقط في أيديهم حتى وصلوا إلى غزة وزاد غرور المغول وتوحشهم، ولكن الله جند من يتصدى لهم، وهو سيف الدين قطز، فعندما جاءت رسل التتار، وكانوا خمسة عشر رسولا، وسلموه إنذار الحرب، كان جوابه أن أمر بقتلهم، وتعليق رؤوسهم على أبواب القاهرة، وبدأ بتجهيز جيش قوي من كل المصريين: مسلمين وأقباط، بدأه بالدعوة لإصلاح الدين والاتجاه إلى الله، ورد الحقوق، ونشر العدل، ورفع الظلم، وتقديم النفس والنفيس في سبيل الله، ودعا المسلمين أن يتحدوا ويتجهزوا معه في جيش واحد لقتال جحافل التتار وتخليص بلاد المسلمين.

وزحف جيش المسلمين إلى عين جالوت في المنطقة التي تقع بين بيسان ونابلس بفلسطين، وقاد المظفر «سيف الدين قطز» المسلمين، والمغول بقيادة «كتبغا»، ووجه الجيش الإسلامي هجومًا قويًا شديدًا على جموع التتار، وتم سحقهم وسط نداءات القائد والمسلمين: وإسلاماه... وإسلاماه... فألهب ذلك الصوت الصادق لهيب الإيمان في قلب المسلمين، فهب على الجيش الظالم الطاغي، فقطع رقابهم، وكسر شوكتهم، وعلت راية الإسلام، وانتهى اليوم الخالد بانتصار المسلمين نصرًا هائلا أوقف زحف المغول الهمجي، وبذلك تم إنقاذ البشرية من هذه الشعوب البربرية، المتوحشة سفاكة الدماء، بعدما لم يكن يظن أحد في تلك الأيام أنه ستقوم للإسلام قائمة، فقد رثا الشعراء والأدباء والخطباء الإسلام والمسلمين، ولم يدر في خلد أحد أن عبدًا مملوكًا سيعيد للإسلام والمسلمين هيبتهم، ومجدهم الغابر.

وفي ٤ رمضان ٩٢٧هـ (٨ أغسطس سنة ١٥٢١م)، فتح السلطان العثماني مدينة بلجراد، التي تعد مفتاح أوروبا الوسطى، وعقبة في طريق التقدم

العثماني إلى قلب أوروبا: فيينا وبودابست والقسطنطينية، وصاحبة أقوى قلعة على الحدود المجرية العثمانية، وقد حاصرها العثمانيون ثلاث مرات: ١٤٤١ و١٤٥٦ و١٤٩٢م، ولم يتمكنوا من فتحها إلا في عهد السلطان سليمان القانوني، وبعدها تدفق العثمانيون إلى أوروبا كالسيل الجارف.

وفي ٢٧ رمضان ١٠٩٣هـ (٢٩ سبتمبر ١٦٨٢م)، فتح المسلمون بقيادة القائد العثماني «أوزون إبراهيم باشا» قلعة فولك الحصينة في سلوفاكيا، إضافة على ٢٨ قلعة أخرى واستطاع هذا القائد تحقيق السيطرة الكاملة على سلوفاكيا.

وفي ١٠ رمضان ١٣٦٣هـ (٦ أكتوبر ١٩٧٣م)، عبر الجيش المصري قناة السويس وحطم خط بارليف وألحق الهزيمة بالقوات الصهيونية، في يوم من أيام العرب الخالدة التي سطرها التاريخ في أنصع صفحاته بأحرف من نور؛ ففي هذا اليوم وقف التاريخ يسجل مواقف أبطال حرب أكتوبر الذين تدفقوا كالسيل العرم يستردون أرضهم، ويستعيدون كرامتهم ومجدهم؛ فهم الذين دافعوا عن أرضهم وكافحوا في سبيل تطهيرها وإعزازها، فضربوا بدمائهم وحفظوا لأنفسهم ذكرًا حسنًا لا ينقطع، وأثرًا مجيدًا لا يمحى، هؤلاء الأبطال الذين خشعت لذكرهم الأصوات، وأجمعت على فضلهم القلوب، لأنهم قضوا نحبهم لحفظ مجد مغتصب، ولطلب حق مسلوب، ذلك اليوم المجيد من أيام التجلي الأعظم، وقف الله فيه مع جنوده المخلصين يشد أزرهم، ويقوي عزائمهم، ويثبت أقدامهم، ويرد كيد عدوهم، ويقذف فيه بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق.

فبعد أن احتل اليهود سيناء الحبيبة والجولان والضفة والقدس وغزة في ٥ يونيو ١٩٦٧م أخذوا يتغنون بأسطورة جيشهم الذي لا يقهر، لكن مصر نجحت في إعادة بناء جيشها وجهزته بالعتاد

معركة القادسية في رمضان كانت انعطافة جديدة في المسيرة التاريخية للأمة الإسلامية

وخيرة جنود الأرض، وبالتخطيط الجيد مع أشقائها العرب وبإرادة صلبة قوية وإيمان قوي عظيم وبخطة دقيقة محكمة فاجأت إسرائيل والعالم كله الساعة الثانية بعد الظهر، وانطلقت أكثر من ٢٢٠ طائرة تدك خط بارليف الحصين ومطارات العدو ومراكز سيطرته، وفي نفس الوقت سقطت أكثر من عشرة آلاف وخمسمائة دانة مدفعية وتعالت صيحات: الله أكبر، وتم عبور القناة واقتحام حصون العدو وتحطيمها واندحر العدو وهزم شر هزيمة، ورجعت أرض سيناء كاملة بعد ذلك نتيجة لهذه الحرب المجيدة، في هذا الشهر العظيم، شهر عزة المسلمين والذلة لأعداء الحق أعداء الدين.

وبعد...، فهذه انتصارات رفعت من قدر الأمة الإسلامية على بقية الشعوب، ومكن الله لها في الأرض، وما ذلك إلا لتوحدهم، وجلوسهم تحت مظلة واحدة، وخلافة واحدة، فامتدت تلك الانتصارات منذ بزوغ نور النبوة بإنزال الله تعالى على رسوله القرآن الكريم في غار حراء يوم ١٧ رمضان، عندما بلغ النبي ﷺ أربعين عامًا، ومرورًا بعهد الدعوة السرية والهجرة، والخلافة الراشدة إلى نهاية خلافة الدولة العثمانية، التي انهارت بسبب اتحاد القوى الأوروبية ضدها.

وإن من ينظر إلى هذه الانتصارات سيتعجب كيف استطاع هؤلاء القيام بمثل هذه الانتصارات، وفي وقت صيام، وقد تكون في أيام صيف حار، فليس بعجيب، وليس ذلك بغريب من أناس جعلوا الإسلام همهم، وقدموا إعلاء رايته على كل شيء، فهو شهر عظيم جعله الله شهر انتصارات وعزة للإسلام والمسلمين.

وها نحن اليوم كما أخبر النبي ﷺ، أصابنا الوهن وتكالب علينا الأعداء وصرنا نذكر تاريخًا كان بالأمس دون أن نستفيد منه في حياتنا، وما ذلك إلا لبعدنا عن الحق وعما يدعو إليه الدين من العلم والعمل. نسأل الله تعالى أن ينصرنا على أعدائنا إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

ليلة القدر خير من ألف شهر

جاد الله فرحات

لو أن إنسانًا خير أن يعمل شهرًا واحدًا براتب ألف شهر ثم رفض ذلك لعد ذلك منه نقصًا في العقل والتدبير فكيف والوعد من الله تعالى ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾

لقد فقه هذه الحقيقة السلف الصالح ومنهم الخطيب الشربيني ـ رحمه الله ـ صاحب مغني المحتاج في شرح المنهاج وصاحب التفسير فقد ورد في ترجمته أنه كان يدخل المسجد في أول ليلة من رمضان فلا يخرج إلا بعد صلاة العيد. لقد كان رحمه الله حريصًا على ألا يضيع لحظة واحدة من عمره في غير طاعة الله . (خاصة في هذا الشهر المبارك وحتى يتحقق من إدراك ليلة القدر)

قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ عن شهر الصيام «إن الله تعالى قد جعل رمضان مضمارًا لخلقه يستبقون فيه بطاعته فسبق قوم ففازوا وتخلف آخرون فخابوا فالعجب للضاحك في اليوم الذي فيه المسرعون وخاب فيه الباطلون، فالله عباد الله اجتهدوا في أن تكونوا من السابقين ولا تكونوا من الخائبين في شهر شرفه رب العالمين» .

وفي تفسير الحافظ بن كثير عن مجاهد أن النبي ﷺ ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر قال: فعجب المسلمون من ذلك قال: فأنزل الله عز وجل ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ التي لبس ذلك الرجل السلاح في سبيل الله ألف شهر.

قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد حكام بن مسلم عن المثنى بن الصباح، عن مجاهد قال: كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي، ففعل ذلك ألف شهر فأنزل الله هذه الآية ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل، وقال ابن أبي حاتم: أخبرنا يونس أخبرنا بن وهب، حدثني مسلمة بن علي عن علي بن عروة قال: ذكر رسول الله ﷺ يومًا أربعة من بني إسرائيل عبدوا الله ثمانين عامًا، لم يعصوه طرفة عين فذكر أيوب وزكريا وحزقيل بن العجوز ويوشع بن نون قال: فعجب أصحاب رسول الله ﷺ من ذلك فأتاه جبريل فقال: يا محمد عجبت أمتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة لم يعصوه طرفة عين، فقد أنزل الله خيرًا من ذلك فقرأ عليه ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر. وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ هذا أفضل مما عجبت أنت وأمتك، قال: فسر بذلك رسول الله ﷺ والناس معه.

وقال سفيان الثوري: بلغني عن مجاهد ليلة القدر خير من ألف شهر قال: عملها وصيامها وقيامها خير من ألف شهر، رواه ابن جرير وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبوزرعة، حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا ابن أبي زائدة عن ابن جريج عن مجاهد: ليلة القدر خير من ألف شهر ليس في تلك الشهور ليلة القدر، وهكذا قال قتادة بن دعامة والشافعي وغير واحد، وقال عمرو بن قيس الملائي: عمل فيها خير من عمل ألف شهر، وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر هو اختيار ابن جرير، وهو الصواب لا ما عداه وهو كقوله ﷺ: «رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة فيما سواه من المنازل» رواه أحمد، وكما جاء في قاصد الجمعة بهيئة حسنة، ونية صالحة أنه يكتب له عمل سنة أجر صيامها وقيامها إلى غير ذلك من المعاني المشابهة لذلك.

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن ابراهيم، حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ: «قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم» رواه النسائي من حديث أيوب به. ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيمانًا

إمام وخطيب وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت

واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» وقوله تعالى: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾ أي يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة كما يتنزلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيمًا له، وأما الروح فقيل المراد به ههنا جبريل عليه السلام، فيكون من باب عطف الخاص على العام وقيل هم ضرب من الملائكة.

ويقول العلامة ابن سعدي في تفسيره وسميت ليلة القدر لعظم قدرها وفضلها عند الله ولأنه يقدر فيها ما يكون في العام من الأجل والأرزاق والمقادير القدرية.

ثم فخم شأنها وعظّم مقدارها فقال ﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ ثم قال ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ أي تعادل في فضلها ألف شهر فالعمل الذي يقع فيها خير من العمل في ألف شهر خالية منها وهذا مما تتحير فيه الألباب وتندهش له العقول حيث منَّ الله تعالى على هذه الأمة الضعيفة القوةَ والقوى بليلة يكون العمل فيها يقابل ويزيد على ألف شهر، عمر رجل معمر عمرًا طويلًا نيفًا وثمانين سنة ﴿حتى مطلع الفجر﴾ أي مبتدأها من غروب الشمس ومنتهاها طلوع الفجر وتواترت الأحاديث في فضلها وأنها في رمضان وأنها في العشر الأواخر منه خصوصًا في أوتاره وهي باقية في كل سنة إلى قيام الساعة، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف ويكثر من التعبد في العشر الأواخر من رمضان رجاء ليلة القدر والله أعلم. وقال العلامة ابن رجب الحنبلي عن ليلة القدر يا ليلة القدر للناس اشهدي، ويا أقدام القانتين اركعي لربك واسجدي ويا ألسنة السائلين جدي في المسألة واجتهدي.

يا رجال الليل جدوا
رب داع لا يرد
ما يقوم الليل إلا
من له عزم وجد

ليلة القدر عند المحبين ليلة الحظوة بأنس مولاهم وقربه، وإنما يفرون من ليالي البعد والهجر.

واختلف في ليلة القدر والحكمة في نزول الملائكة في هذه الليلة أن الملوك والسادات لا يحبون أن يدخل دارهم أحد، حتى يزينوا دارهم بالفرش والبسط، ويزينوا عبيدهم بالثياب والأسلحة، فإذا كان ليلة القدر أمر الرب تبارك وتعالى الملائكة بالنزول إلى الأرض، لأن العباد زينوا أنفسهم بالطاعات بالصوم والصلاة في ليالي رمضان، ومساجدهم بالقناديل والمصابيح فيقول الرب تعالى: أنتم طعنتم في بني آدم وقلتم ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ (البقرة: ٣٠) فقلت لكم: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ (البقرة: ٣٠) اذهبوا إليهم في هذه الليلة، حتى تروهم قائمين ساجدين راكعين، لتعلموا أني اخترتهم على علم على العالمين.

قال مالك، بلغني أن رسول الله ﷺ أري أعمار الناس قبله، أو ما شاء الله من ذلك، فكأنه تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من العمل الذي بلغه غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر خير من ألف شهر.

وقال النخعي: العمل فيها خير من العمل في ألف شهر.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه».

والعبد مأمور بالسعي في اكتساب الخيرات، والاجتهاد في الأعمال الصالحات، وكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ﴿فأما من أعطى واتقى. وصدق بالحسنى. فسنيسره لليسرى. وأما من بخل واستغنى. وكذب بالحسنى. فسنيسره للعسرى﴾ (الليل: ٥-١٠) فالمبادرة إلى اغتنام الشهر، فعسى أن يستدرك به ما فات من ضياع العمر.

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجالًا من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر. فقال رسول الله ﷺ «أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر».

وفي صحيح مسلم عنه عن النبي ﷺ قال: «التمسوها في العشر الأواخر، فإن ضعف أحدكم أو عجز فلا يغلبن على السبع البواقي».

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وكان يأمر بالتماسها في أوتار العشر الأواخر من رمضان، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «التمسوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى».

وهذا مما يستدل به من رجح ليلة ثلاث وعشرين وخمس وعشرين على ليلة إحدى وعشرين، فإن ليلة إحدى وعشرين ليست من السبع الأواخر بلا تردد.

وقد روي عن النبي ﷺ من وجوه أخر أنه بين أنها ليلة سبع وعشرين.

واختلف في أول السبع الأواخر فمنهم من قال: أول السبع ليلة ثلاث وعشرين على حساب نقصان الشهر دون تمامه لأنه المتيقن، وروي هذا عن ابن عباس وفي صحيح البخاري عن بلال قال: إنها أول السبع من العشر الأواخر.

وقد روي عن النعمان بن بشير رضي

السعيد حقًا من يوفق إلى إدراك هذه الليلة المباركة

الله عنه أنه أنكر أن تحسب ليلة القدر بما مضى من الشهر وأخبر أن الصحابة يحسبونها بما بقي منه، وهذا الاحتمال إنما يكون في مثل قول النبي ﷺ: «التمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة».

وقد خرجه البخاري من حديث عبادة رضي الله عنه.

وقد اختلف الناس في ليلة القدر اختلافًا كثيرًا، فحكي عن بعضهم أنها رفعت وحديث أبي ذر يرد ذلك.

وروي عن محمد بن الحنفية: أنها في كل سبع سنين مرة، وفي إسناده ضعف، وقال الجمهور: في رمضان كل سنة، ثم منهم من قال: هي في الشهر كله، وحكي عن بعض المتقدمين أنها أول ليلة منه، وقال الجمهور هي منحصرة في العشر الأواخر واختلفوا في أي ليال العشر أرجى، فحكي عن الحسن ومالك أنها تطلب في جميع ليالي العشر أشفاعه وأوتاره.

وقال الأكثرون: بل بعض لياليه أرجى من بعض، وقالوا: الأوتار أرجى في الجملة، ثم اختلفوا في أي أوتاره أرجى.

وفي مسند الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال: يا رسول الله إني شيخ كبير عليل يشق علي القيام فأمرني بليلة يوفقني الله فيها للليلة القدر قال: «عليك بالسابعة» وإسناده على شرط البخاري.

وإذا حسبنا أول السبع الأواخر ليلة أربع وعشرين، كانت ليلة سبع وعشرين نصف السبع، وقد استنبط طائفة من المتأخرين من القرآن أنها ليلة سبع وعشرين من موضعين:

أحدهما: أن الله تعالى كرر ذكر ليلة القدر في ثلاث مواضع منها، وليلة القدر حروفها تسع، والتسع إذا ضربت في ثلاثة فهي سبع وعشرون.

والثاني: أنه قال: «سلام هي » (القدر: ٥)، فكلمة « هي» الكلمة السابعة والعشرون من السورة، فإن كلماتها كلها ثلاثون. قال ابن عطية: هذا من ملح التفسير لا من متين العلم، وهو كما قال.

قال ابن رجب: واعلم أن جميع هذه العلامات لا توجب القطع بليلة القدر.

وأما العمل في ليلة القدر فثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه» وقيامها إنما هو إحياؤها بالتهجد فيها والصلاة وقد أمر عائشة بالدعاء فيها أيضا.

قال سفيان الثوري: الدعاء في تلك الليلة أحب إلي من الصلاة، قال: وإذا كان يقرأ وهو يدعو ويرغب إلى الله في الدعاء والمسألة لعله يوافق. انتهى ومراده أن كثرة الدعاء أفضل من الصلاة التي يكثر فيها الدعاء وإن قرأ ودعا كان حسنًا.

وقد كان النبي ﷺ يتهجد في ليالي رمضان، ويقرأ قراءة مرتلة لا يمر بآية فيها رحمة إلا سأل، ولا بآية فيها عذاب إلا تعوذ. فيجمع بين الصلاة والقراءة والدعاء والتفكر، وهذا أفضل الأعمال وأكملها في ليالي العشر وغيرها والله أعلم، وقد قال الشعبي ليلة القدر: ليلها كنهارها، وقال الشافعي في القديم: أستحب أن يكون اجتهاده في نهارها، كاجتهاده في ليلها، وهذا يقتضي استحباب الاجتهاد في جميع زمان العشر الأواخر ليله ونهاره والله أعلم. والمحبون تطول عليهم الليالي فيعدونها عدًا لانتظار ليالي العشر في كل عام، فإذا ظفروا بها نالوا مطلوبهم وخدموا محبوبهم.

قالت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ: أرأيت إن وافقت ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: «قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني».

والعفو من أسماء الله تعالى، وهو المتجاوز عن سيئات عباده، الماحي لآثارها عنهم، وهو يحب العفو فيجب أن يعفو عن عباده، ويحب من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض، فإذا عفا بعضهم عن بعض عاملهم بعفوه، وعفوه أحب إليه من عقوبته، وكان النبي ﷺ يقول: «أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك».

وإنما أمر بسؤال العفو في ليلة القدر بعد الاجتهاد في الأعمال فيها وفي ليالي العشر، لأن العارفين يجتهدون في الأعمال، ثم لا يرون لأنفسهم عملًا صالحًا ولا حالًا ولا مقالًا، فيرجعون إلى سؤال العفو كحال المذنبين المقصرين. قال يحيى بن معاذ: ليس بعارف من لم يكن غاية أمله من الله العفو.

إن كنت لا أصلح للقرب
فشأنكم العفو عن الذنب

كان مطرف يقول في دعائه: اللهم ارض عنا، فإن لم ترض عنا فاعف عنا. (انتهى كلامه).

والحاصل أن السعيد حقًا من يوفق إلى إدراك هذه الليلة المباركة، ومما لا خلاف فيه ولاشك ولا مرية أن من قام رمضان كله فقد أدرك ليلة القدر لا محالة ولهذا كان السلف الصالح منهم من يدخل المسجد من أول ليلة من رمضان ولا يخرج إلا بعد صلاة العيد كالخطيب الشربيني، وفي عصرنا هذا أعرف من يعتكف في المسجد الحرام أو يسكن بالقرب منه ليحيي ليالي رمضان كلها ولا يترك ليلة واحدة بل لا يترك فرضًا واحدًا لا يصليه خلف الإمام.

اللهم بلغنا رمضان ووفقنا لصيامه وقيامه وتقبله منا واجعلنا وآباءنا وأمهاتنا وإخواننا وأخواتنا وأبناءنا وبناتنا والمسلمين من عتقائك من النار ومن المقبولين.

آمين آمين لا أرضى بواحدة
حتى أضيف إليها ألف آمين

صلة الأرحام أبرز معالم رمضان

القاهرة- دار الإعلام العربية

ما إن يقترب هلال رمضان حتى تتزين الشوارع المصرية وتتلون بأبهج الألوان، تعلق الرايات التي يتفنن الصبية في صناعتها وتزيينها بالمصابيح الكهربائية، كما تضاء شرفات المنازل بالفوانيس.. وما ذلك إلا انعكاس للضوء والشفافية التي تغمر القلوب، التي تتخلى في هذا الشهر الفضيل عن كل شائبة وعصبية، ولا يبقى فيها غير التسامح والنقاء والتكافل.. «الوعي الإسلامي» تعيش معكم أجواء شهر الخير والقرآن، فإلى التفاصيل.

يحرص المصريون على الاستعداد الإيماني لشهر رمضان منذ منتصف شهر شعبان، حيث تبدأ المساجد في استقبال مصلين قلما توافدوا في غير رمضان، وما إن يقترب رمضان حتى تُعلن حالة من الاستنفار الإيماني، فيبدأ الحرص على الصلاة، ويسارع كثيرون بشراء المصاحف لتلاوة القرآن، وتشهد المساجد قبل أيام من رمضان الازدحام بآلاف المصلين غير التقليديين، كما تحرص الفتيات والنساء على الالتزام بتغطية الرأس وربما ارتداء حجاب كاملا رغم أنهن غير محجبات بقية العام.

جو روحاني

وارتبط شهر القرآن بعديد من مظاهر الخير والتسامح، كقوافل الدعوة التي تجوب القرى لتفقيه الناس في أمور دينهم، فضلًا عن الخيام الدعوية التي تعدُّها وزارة الأوقاف والأزهر، كما انتشرت منذ سنوات ظاهرة الخيام الرمضانية التي تستقبل العائلات بعد صلاة القيام، حيث السهر في جو روحاني من التواشيح الدينية أو البرامج الثقافية التي تنظمها جمعيات وأندية ومكتبات عامة وكذلك المساجد، حيث يلتقي في هذه الاحتفالات رجال الدين والفكر في حوار رمضاني تمتزج فيه القضايا الدينية بالقضايا الاجتماعية والفكرية وغيرها.

وإذا كان التذبذب بين الطاعة في رمضان والتكاسل فيما سواه أمرًا مرفوضًا، وإذا كان هذا السلوك في العلاقة مع

د.صبري عبدالرؤوف: نبذ المعاصي في رمضان رجاء أن يكون خير عاقبة للعصاة

الخالق يشوبه الخطأ كما يقول د. صبري عبدالرؤوف أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر، فإنه يحمل في طياته مخافة من الله، وإدراكًا بأنه وحده القادر على محو الذنوب، وأنه ليس أهون ناظر إليهم، بل هو أرحم ناظر ومطلع على حالهم، وأنهم يقرون بأن الله قد يجعل في هذا الشهر خير عاقبة لحالهم، وصلاحًا لأمرهم.

صلة وتواصل

ولأن شهر رمضان يمثل أهم مناسبة دينية في مصر، ويعتبرونه شهر اللقاء مع خالقهم، تقول سحر إبراهيم ربة منزل: أحرص وزوجي وأولادي على الإكثار من العبادة والطاعات خلال هذا الشهر حتى نصل إلى قمة التقرب من الله في العشر الأواخر، كما نحرص على ختم القرآن أكثر من مرة.. إلى جانب صلة الرحم وزيارة الأقارب والتواصل مع المسلمين خلال هذا الشهر الكريم، وذلك إدراك منا بتقصيرنا خلال بقية العام لمشاغل الحياة المتعددة التي تضطرنا أحيانًا لتجاوز هذه السلوكيات الحميدة، وأمل منا في نيل المغفرة من خالقنا في شهر المغفرة والرحمة.

وتشير إلى أن صلاة التراويح من أهم الشعائر الدينية التي تحرص الأسرة المصرية على أدائها في المساجد التي تمتلئ على آخرها بالمصلين من مختلف المراحل العمريّة، وتخرج النساء إلى المساجد مشمرات عن سواعد الجد في الطاعة كما الرجال.

تكافل

بدوره يؤكد حسين محمد صاحب مكتبة لبيع الكتب الدينية أن المصريين على الرغم من اهتمام معظمهم بالمظاهر الاجتماعية طوال العام فإنهم يحرصون في رمضان على الجانب الروحي، حيث يكثر الإقبال على شراء المصاحف لإهدائها أو التصدق بها ووضعها في المساجد، لافتا إلى مظهر آخر يدل على التسامح ونبذ التعصب متمثلًا في موائد الرحمن التي تعتبر من أكثر المظاهر التي يتميز بها الشارع المصري طوال شهر رمضان، والتي لا تفرِّق بين مسلم ومسيحي في تناول الطعام لحظة انطلاق مدفع الإفطار، ولا تفرق بين فئة وأخرى، فالجميع لحظة الإفطار كأسنان المشط، لا تكاد ترى فرقًا بينهم، الجميع يعيشون جوًّا من التكافل الاجتماعي الذي يغيب في كثير من شهور العام، وفي هذا الصدد اعتبرت الداعية الإسلامية آمنة نصير أن شهر رمضان فرصة للتكافل الاجتماعي، وأن موائد الرحمن صورة من صور هذا التكافل

وانتشارها تعبير واقعي عنه.

انبذوا الغضب والعصبية

وتؤيدها في ذلك الداعية د.عبلة الكحلاوي التي أكدت أن رمضان فرصة ثمينة لكي يتواصل المسلم مع أخيه المسلم ويعاود أهله، ووجهت حديثها لمن له خصام مع أي إنسان آخر قائلة: عليك المبادرة بالسلام لتصفية الخلاف، اغتنم الشهر الكريم في الطاعة ونشر التسامح والمحبة بين الناس جميعًا مسلمين وغير مسلمين، ولا تجعل شيطان النفس يحوله إلى شهر للشحناء والخصام والعصبية.

وتحدثت عن نفسها في رمضان قائلة: على الرغم من تزايد أعبائي ونشاطي في رمضان أحاول بقدر الإمكان التواصل مع أهلي وجيراني ومعارفي، لكن إذا لم أتمكن من ذلك في بعض الأيام فإنني أستعيض عن ذلك بلقاء الأحباب من خلال الأجهزة الإعلامية، لاسيما أنني أؤمن بأن دوري كداعية واجب مقدس ورسالة لابد من أن أقوم بها، ودائمًا هناك تواصل مباشر بيني وبين الناس، وأحيانًا من خلال حوار عادي تتولد أسئلة للبعض وأرد عليها.. فليس بيني وبين الناس حواجز، فكل من يسألني في أي مكان أجيبه مادام الأمر متاحًا، حتى إن البعض يتصل بي في منزلي ولا أتردد في الإجابة عن تساؤلاته.

وتطرقت د.عبلة إلى أبرز المشكلات التي تواجه الزوجين في «سنة أولى رمضان بعد الزواج»، وأول المشاكل التي تقع فيها الزوجة هي افتقادها لعائلتها الكبيرة ولأهلها، وبالتالي قيامها بأعباء البيت وحدها وشعورها أن المسئولية أصبحت كلها على عاتقها، ولا أحد يساعدها مثلما كانت عند الأهل، وأنها تتوقع مساعدة الزوج لها في الأعباء المنزلية في هذا الشهر، لكنه في كل الحالات لا يفعل شيئاً قبل الزواج وبعده، وبالتالي تشعر بالغضب والعصبية، وبعمق الأعباء المنزلية، وعندما

د.عبلة الكحلاوي: بادروا بتصفية الخلافات وانشروا المحبة بين الناس جميعًا

لا يفهم الزوج سبب هذه العصبية ولا يتفهمها نستطيع القول إن رمضان الأول كان التغيير به سلبيًا وليس إيجابيًا، ولحل هذه المشكلة على الزوجة أن تنظم وقتها، وتعطي قدرًا من الوقت للاهتمام بنفسها وشكلها ومظهرها، ولهذا نتيجة إيجابية جدًا على نفسيتها، ولابد أن تشعر نفسها بجمال المسؤولية الملقاة على عاتقها، ولا تأخذها بمأخذها السلبي، مؤكدة ضرورة أن نغسل قلوبنا من أي مشاعر غير ودية، وأن نخصص وقتًا مناسبًا لصلة الرحم وزيارة الأهل والأصدقاء.

ظروف معيشية

من جانبه يشير د.أشرف شلبي أستاذ علم النفس إلى أن شهر رمضان فرصة لإزالة غبار الخلاف والشقاق وهموم الحياة ومتاعبها بين الناس عامة وبين الزوجين خاصة، ولكي يتحقق ذلك لابد من بعض الأمور التي ينبغي أن يراعيها الزوجان في هذا الشهر الكريم، فمع حلوله يتغير نمط الحياة المعتاد، ويحدث انقلاب في مواعيد النوم والطعام والعمل، وقد تتغير تبعًا لذلك شخصية المرء وطباعه، مما يفرض على الزوجين التكيف مع الوضع الجديد وترويض الطباع والعادات والتعاون لتوفير الوقت والراحة النفسية للطرف الآخر حتى يؤدي عبادته دون أي منغصات أو مكدرات.

ومن الأمور التي لها أعظم الأثر في زيادة المودة والمحبة بين الزوجين أن يجتمعا على طاعة الله وعبادته، حيث ترفرف ظلال العبادة وبركات الطاعة من خلال صلاة التراويح والقيام والتهجد وقراءة القرآن وعمارة البيت بذكر الله، أيضًا رمضان فرصة مهمة لتقوية الروابط الأسرية والعلاقات الاجتماعية مع أهل الزوج والزوجة ومع الجيران من خلال الزيارات والاتصالات والدعوة إلى الإفطار مع الأسرة.

وفي رمضان كذلك تجتمع العائلة كلها على الإفطار، مما يجعل أمام الزوجين فرص استثمار هذا اللقاء في تقوية العلاقة بينهما وبين أبنائهما، من خلال الحوار وتبادل الحديث ومناقشة المشاكل وحلها.

أيضًا من الأمور التي ينبغي أن تراعيها الزوجة ضبط ميزانية شهر رمضان ومراعاة إمكانات الزوج وظروفه المادية، وينبغي على الزوج أن يساعد زوجته في القيام بشؤون البيت والعناية بالأطفال، ولا يلحق بالرجل بذلك أدنى عيب، بل هو من محاسن الأخلاق وشيم الرجال، فقد قال أفضل الخلق ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي».

العامل على الزكاة

الإسلام دينُ المساواة والتراحم والتعاطف والتعاون، ودينُ قطع دابر كل شر يهدد الفضيلة والأمن والرخاء، فرضت الزكاة لكونها تساهم في إشاعة الأمن والأمان في المجتمع، وهي تنزع الأحقاد من نفوس الفقراء المحرومين، وتطهر قلوب الأغنياء من الشح، لقوله تعالى:﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وتزكيهم بها﴾(التوبة:١٠٣)، ففرض الله تعالى من الصدقات حدًا أدنى ألزم العباد به، وبَيَّن مقاديرَه، قال الدهلوي: إذ لولا التقدير لفرط المفرط ولاعتدى المعتدي(١).

د. صالح النهام

يقصد بالعامل: كل من له عمل في تحصيل الزكاة، من جاب، أو ساع، أو كاتب، أو حافظ، أو راع، أو حامل، أو حارس، أو غير ذلك، ويقصد بالجباية: الجمع والتحصيل، واستخراج الأموال من مظانِّها كما في لسان العرب، وقد استخدمها ابن خلدون في المقدمة بمعنى الحصيلة، حصيلة الجباية، أي: الموارد المالية، أو الدخل بخلاف الخرج، أي: الإنفاق، وحكم الجباية: الوجوب على الدولة، ذكر ذلك الماوردي وغيره(٢).

ولا غرو أن مَن يُنَصِّبَ السعاة الذين يجمعون الزكاة، أو الجباة الذين يحصون الزكاة عن الأغنياء لتحصيل الزكاة وتفريقها على مستحقيها هو الإمام أو من ينوب عنه، وقد فعل ذلك رسول الله ﷺ حين أرسل معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن، وكان ضمن وصاياه المتعلقة بمعاملته لمن يقوم عليه: «فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم» (٣)، وفعلها أيضًا الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم، حيث كانوا يرسلون سعاتهم لقبضها، لأن في الناس من يملك المال ولا يعرف ما يجب عليه، ومنهم من يملك المال ويبخل في تطهير مما فيه من حق، أما النائب فهو مَن نَصَّبَه ربُّ المال لتفرقة الزكاة، فهو يشارك العامل على الزكاة في الغرض، وفي النتيجة من ذلك العمل، وهو أخذ الزكاة من رب المال ووضعها في المستحقين لها.

المسألة الأولى: شروط العامل على الزكاة (٤):

الشرط الأول: الإسلام:

لا خلاف بين أهل العلم في جواز نيابة المسلم في توزيع الزكاة وتفريقها، وبناءً على هذا الشرط هل يصح أن يكون العامل على الزكاة كافرًا أم لا؟ اختلف العلماء في ذلك على ثلاثة أقوال:

القول الأول: وهو قول للمالكية(٥)، والحنابلة في المذهب (٦)، أنه لا يجوز أن يستعمل الكافر على الزكاة، بحيث يكون نائبًا عن أصحابها في تفرقتها، وقد استدلوا على ذلك بالآتي:

أولًا: الكتاب الكريم:

قال الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بعض﴾(المائدة: ٥١)

ووجه الدلالة من هذه الآية: أن الله- عز وجل- نهى عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، وفي توليتهم أمر الزكاة نوع ولاية، وهذا لا يجوز، لأن النهي يقتضي التحريم، ويدخل في ذلك جميع الكافرين من باب أولى.

ثانيًا: المعقول:

● إن من شروط العامل الأمانة بالاتفاق، والكافر ليس بأمين، فلا تؤتمن خيانته في تفريقه الزكاة، وتوزيعها حال توليه عليها، فلا يجوز توليها من قبله كما لا تجوز شهادته(٧).

● إن العمالة على الزكاة ولاية، والكافر ليس من أهلها(٨).

● إن العمل في الزكاة يفتقر إلى العلم بالنُصُب، ومقاديرها، وما يتبع ذلك من قبول الأقوال في ادعاء الدفع والصرف ونحو ذلك، والكافر ليس أهلًا لذلك، وليس أهلًا لأن يُولَّى على المسلمين.

القول الثاني: ذهب جمهور العلماء من الحنفية (٩)، ورواية للمالكية(١٠)، ومذهب الشافعية(١١)، ورواية للحنابلة(١٢)، إلى أنه يجوز أن يستعمل فيها غير المسلم من ذمي ونحوه، واستدلوا بما يلي:

أولًا: الكتاب الكريم:

عموم قوله تعالى:﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾(التوبة: ٦٠).

ووجه الدلالة من هذه الآية: هو موطن الاستشهاد في قوله تعالى: ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾، حيث جاء عامًّا يدخل فيه كل عامل على أي صفة كان فتشمل الكافر وغيره(١٣).

ثانيًا: المعقول:

● إن الزكاة عبادة مالية محضة، لذا تصح فيها إنابة الذمي، وإن لم يكن من أهل النية، لأنه يشترط فيها نية الأمر، وهو

المراقب في مجلة الوعي الإسلامي

المالك المسلم، إذ هو المؤدي في الحقيقة، وإنما الذمي لا يعدو كونه عاملاً(١٤).

● القياس على جواز توكيله في ذبح الأضحية، وبيان ذلك: أنه كما يجوز توكيل الكافر الذي تحل ذبيحته في ذبح الأضحية، يجوز توكيله في توزيع الزكاة وتفريقها، بجامع أن كلًا منهما عبادة مالية(١٥).

القول الثالث: وفيه التفصيل، وبيانه: أن بعض كل من المالكية (١٦)، والشافعية(١٧)، والحنابلة(١٨)، يرون أن اشتراط الإسلام في العامل على الزكاة شرط للأخذ منها، وليس شرطًا لمجرد العمل فيها، فلو أعطاه الإمام من بيت المال أجرةً مثلًا، وبيَّن له ما يجب بيانه، بحيث لا يتصرف إلا في حدود ما بين له، فهنا يجوز أن يولَّى على الزكاة حال توفر تلك القيود.

واستدلوا بتعليل مفاده: أن ما يأخذه العامل مقابل عمالته في الزكاة، بأخذه أجرة حينئذ لا زكاة، وإجارة الكافر جائزة(١٩).

الشرط الثاني: التكليف:

ويقصد بالتكليف أن يكون عاقلًا بالغًا، وبناء على هذا الشرط لا يجوز تولية المجنون على الزكاة، كما لا يجوز تولية غير البالغ، وهذا يشمل المميز وغيره، أما غير المميز فلا يجوز توليته أيضًا، لأنه مولًّى عليه(٢٠).

وفي هذا الشرط قولان:

القول الأول: ذهب الشافعية في قول(٢١)، ورواية للحنابلة(٢٢) إلى أنه لا يشترط كون المولَّى على الزكاة بالغًا، بل يكتفى بكونه مميزًا.

واستدلوا بدليل عقلي مفاده: أن المميز من أهل العبادة، ومن ثم يجوز أن يولَّى على الزكاة كالبالغ.

القول الثاني: ذهب المالكية(٢٣)، ورواية أخرى للحنابلة(٢٤) إلى عدم جواز توليته على الزكاة، لأن عموم نصوصهم تشترط البلوغ.

واستدلوا بدليل عقلي أيضًا مفاده: أن تفريق الزكاة وتوزيعها ولاية(٢٥)، والولاية يشترط فيمن يقوم بها البلوغ، لأن غير البالغ مولًّى عليه.

لا يشترط كون المولّى على الزكاة بالغًا بل يكتفى بكونه مميزًا

الشرط الثالث: العدالة:

يشترط فيمَن يتولى الزكاة أن يكون عدلًا ثقةً مؤتمنًا، وذلك حتى تؤمن خيانته، ويوثق منه، فلا يضعها إلا موضعها، وقد اتفق فقهاء المذاهب الأربعة على هذا الاشتراط في العامل على الزكاة، وكذا الوكيل فيها.

ووجه الاشتراط: أن في العمل على الزكاة- جمعًا وتفريقًا- ولاية، والفاسق غير أمين، فهو ليس من أهل الولاية، ولا من أهل الأمانة(٢٦).

ومعنى العدالة هنا: ألا يكون فاسقًا، كما سبق، وعدالة كل أحد فيما ولي فيه، فعدالة الجابي في جبيها، وعدالة المفرق في تفرقتها، وليس المراد عدالة الشهادة؛ لأننا لو قصدنا ذلك لما احتجنا إلى الشرط الأول، وهو الإسلام مع هذا الشرط، إذ من لوازم الإسلام كون صاحبه عدلًا(٢٧).

الشرط الرابع: العلم بأحكام الزكاة:

والمقصود بهذا الشرط أن يكون العامل على الزكاة فقيهًا في أحكام الزكاة، بحيث يعرف مَن تُؤخذ منه، ومَن تُدفع له، وقدر ما يُؤخَذ، وقدر المأخوذ منه، ونحو ذلك مما يتطلبه التولي على الزكاة، لأنه إذا لم يكن عالمًا صار غير ذي كفاية لهذا الأمر فلا يولَّى(٢٨).

وبعبارة أخرى: لا تخلو حال المولَّى على الزكاة من أحد أمرين:

● كونه مُفوَّضًا بحيث يُسند إليه عموم الأمر بالنسبة للزكاة جبايةً وتفريقًا، فهذا يشترط فيه ما سبق من كونه عالمًا، فقيهًا بأحكام الزكاة عامة.

● كونه منفذًا فقط، بحيث يُعَيَّن له ما يَأْخُذ مثلًا، فلا يعتبر فيه كونه فقيهًا، وقد صرح بهذا الشرط المالكية(٢٩)، والشافعية(٣٠)، والحنابلة(٣١).

الشرط الخامس: الذكورية:

وبناء على هذا الشرط، فهل يصح أن تتولى المرأة العمالة في الزكاة أم لا؟ اختلف العلماء في ذلك على قولين:

القول الأول: لابد أن يكون العامل على الزكاة ذكرًا، وبهذا قال المالكية(٣٢)، والشافعية(٣٣)، ورواية للحنابلة(٣٤)، واستدلوا على ذلك بالآتي:

أولًا: الكتاب الكريم:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾.

ووجه الدلالة من هذه الآية: هو موطن الاستشهاد بالآية قوله تعالى: ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾، حيث جاء بلفظ المذكر، فيكون غير شامل للمرأة، فلا تكون المرأة عاملة على الزكاة(٣٥).

ثانيًا: السنة المطهرة:

أخرج البخاري من حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال: لقد نفعني الله بكلمة أيام الجمل لما بلغ النبي ﷺ أنَّ فارسًا ملَّكوا ابنة كسرى، فقال: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»(٣٦).

ووجه الدلالة من هذا الحديث: أنه عام في الدلالة على أن ولاية المرأة دليل على عدم الفلاح، وفي ذلك إشارة إلى عدم توليتها، ومن ذلك عمالتها في الزكاة.

ثالثًا: المعقول:

● لم يُنقل عن المسلمين أنَّ امرأة وُلِّيت عمالة زكاة البتة، وتركهم ذلك قديمًا وحديثًا يدل على عدم جوازه(٣٧).

● إن العمالة على الزكاة ولاية من الولايات، والمرأة ليست من أهل الولايات(٣٨).

القول الثاني: لا يشترط كون العامل على الزكاة ذكرًا، وعليه يجوز أن تتولى المرأة العمالة على الزكاة، وهذا قول عند الحنابلة(٣٩)، واستدلوا على ذلك:

بأن الأصل في الخطاب الشرعي شموله الذكر والأنثى، وإن جاء بلفظ المذكر تغليبًا، ونتمسك بهذا الأصل حتى يرد ما يدل على

التخصيص، ومن النصوص الواردة في هذا المقام قوله تعالى:﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾، فيلاحَظ أن لفظ العَامِلين الوَارد في الآية جاء مذكرًا، لكنه شامل للذكر والأنثى كالألفاظ التي سبقته في صدر الآية، والألفاظ التي لحقت بعده في الآية، ومن هنا يمكن القول بأنه كما يُعطى الفقير من الزكاة تُعطى الفقيرة، وكما يُعطى المسكين تُعطى المسكينة، وكما يعامل عليها الرجل تتعامل عليها المرأة، وهكذا دلت الآية بظاهرها على جواز أن تكون المرأة عاملة على الزكاة.

الشرط السادس: الحرية:

وبناء على اشتراط الحرية، فهل يتولى الرقيق العمالة على الزكاة أم لا؟ اختلف العلماء في هذا الشرط على ثلاثة أقوال:

القول الأول: الحرية ليست شرطًا، وعليه يجوز استعمال الرقيق على الزكاة، وهو مذهب الحنابلة(٤٠)، واستدلوا بالتالي:

أولًا: السنة: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة»(٤١).

ووجه الدلالة من هذا الحديث: أن الحديث دل بعمومه على جواز تولية العبد، فيدخل في هذا العموم جعله عاملًا على الزكاة.

ثانيًا: المعقول: إن المقصود من التولية على الزكاة يحصل بالعبد كما يحصل بالحر(٤٢).

القول الثاني: الحرية شرط على الإطلاق، وعليه لا يصح عمالة العبد على الزكاة، وهو قول الحنفية(٤٣)، والمالكية(٤٤)، ووجه عند الحنابلة(٤٥).

واستدلوا بدليل عقلي مفاده: أن العمالة على الزكاة ولاية، والعبد ليس من أهل الولايات(٤٦) لضعفه بالرق.

القول الثالث: التفصيل، وبيانه: إن كان الرقيق وكيلًا على الزكاة من صاحبها فلا مانع من ذلك، وكذلك إن كان عاملًا عليها من قبل الإمام بشرط أن يُعَيَّن له الإمام شيئًا معينًا يأخذه.

ليس لرب المال ولا لوكيله أن يأخذ نصيب العامل على الزكاة

أما كونه عاملًا عليها فلا يجوز، لكونه رقيقًا، والحرية شرط، وإلى هذا ذهب الشافعية(٤٧)، وهو قول عند الحنابلة(٤٨).

واستدلوا بدليل عقلي مفاده: أن العبد حينئذ يكون رسولًا، لا واليًا، ينفذ فقط ما عين له تنفيذه.

الشرط السابع: النسب:

يشترط في العامل على الزكاة أن يكون هاشميًا أو نحوه من آل البيت الذين لا تحل لهم الصدقة، إلا أن الحقيقة في هذا الاشتراط أن يحمل على الأخذ من الصدقة، أما التولية عليها فلا يشترط فيها، وهو ما صرح به في الجملة الحنفية(٤٩)، والمالكية(٥٠)، والشافعية(٥١)، والحنابلة(٥٢).

وبناء عليه، إن تطوع الهاشمي ونحوه بالعمالة، أو أعطي أجرته من غير الزكاة، فلا مانع من استعماله عليها، واستدلوا على ذلك:

أولًا: السنة: فحديث عبدالمطلب بن الحارث وموطن الاستشهاد منه، قوله: يا رسول الله، أنت أبر الناس، وأوصل الناس، وقد بلغنا النكاح فجئنا لتؤمرنا على بعض هذه الصدقة فنؤدي إليك كما يؤدي الناس، ونصيب كما يصيبون، قال: فسكت طويلًا حتى أردنا أن نكلمه، ثم قال: «إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس...»(٥٣).

ووجه الدلالة من هذا الحديث: إن استعمال قرابة الرسول ﷺ على الصدقة لا يجوز، وفهم من تعليل الرسول ﷺ بقوله: «إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس»، أن العامل على الصدقة من آل محمد ﷺ لا يجوز له الأخذ منها، أما كونه من يأخذ من غيرها فلم يتعرض له الحديث، فيبقى على أصل الإباحة كغيره من المسلمين.

ثانيًا: المعقول: حيث قالوا: إن ما يأخذه الهاشمي ونحوه على عمله من باب الإجارة لا من باب الصدقة(٥٤)، والهاشمي وغيره في باب الإجارة يستويان.

وهناك شروط أخرى للعامل على الزكاة منها:

- أن يكون الساعي أو الجابي رفيقًا بالمكلف: فإذا كانت زكاة سوائم مثلًا فلا يأخذ أفضلها، بل يأخذ الوسط منها، لقول رسول الله ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «إياك وكرائم أموالهم»(٥٥)، لأن الزكاة يُراعى فيها حق الفريقين معًا، وهما: حق الفقير الآخذ، وحق الغني الدافع.
- أن يكون الساعي أو الجابي لطيفًا لينًا في أقواله وأفعاله: فيستحب أن يدعو لدافع الزكاة بمثل هذا الدعاء: آجرك الله فيما أعطيت، وبارك لك فيما أبقيت(٥٦)، وبالمقابل يستحب للدافع أن يدعو قائلًا: اللهم اجعلها مغنمًا ولا تجعلها مغرمًا(٥٧)، قال تعالى:﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾.

المسألة الثانية: أجرة النائب:

لا يخلو حال النائب من أحد أمرين:

الأمر الأول: أن يكون متطوعًا بعمله في الزكاة، يبتغي بذلك وجه الله، وحينئذ لا أجرة له وأجره على الله.

الأمر الثاني: إذا طلب أجرة على ذلك فهذا أمر جائز، ولكن هل يدفعها رب المال من ماله الخاص، أو تؤخذ من الزكاة نفسها لكونه من العاملين عليها؟

يجاب على هذا: بأن رب المال يدفع أجرة الوكيل (النائب) من ماله الخاص، لأن أداءها واجب عليه(٥٨)، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، كما هو مقرر في علم الأصول(٥٩)، فلا يأخذ في مقابلته عوضًا، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لأنها من مؤنة دفع الزكاة وهي على المالك(٦٠).

ومن هنا، فليس لرب المال ولا لوكيله أن يأخذ نصيب العامل عليها، لأنه ليس

عاملًا، بل إما مالك عليه تأدية زكاته، أو وكيل للمالك فأجرته على المالك نفسه.

أما إذا كان عاملًا فقد جعل الله له سهمًا في الزكاة لقوله تعالى:﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾، فهو يستحق أجره من الزكاة ولو كان غنيًا، لقول رسول الله ﷺ: «لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة: لغاز في سبيل الله، أو لعامل عليها، أو لغارم، أو لرجل اشتراها بماله، أو لرجل كان له جار مسكين، فتصدق على المسكين فأهداها المسكين للغني»(٦١).

أما القدر الذي يستحقه العامل على الزكاة نظير عمله ففيه أربعة أقوال:

القول الأول: ذهب الحنفية(٦٢) إلى أن العامل يعطى بقدر عمله، بشرط ألا يزاد على نصف ما جمع من الزكاة.

القول الثاني: ذهب المالكية(٦٣) إلى أن العامل يعطى أجر مثله، من بيت مال الزكاة إن كان فقيرًا، ومن بيت مال المصالح إن كان غنيًا.

القول الثالث: ذهب الشافعية(٦٤) إلى أن الإمام بالخيار: إن شاء بعث العامل من غير شرط، وأعطاه بعد مجيئه أجرة مثله من الزكاة، وإن شاء استأجره بأجرة معلومة من الزكاة.

ودليلهم الأول على ذلك: الأحاديث الصحيحة، وأن الحاجة تدعو إليه لجهالة العمل، فتؤخر الأجرة حتى يعرف عمله، فيعطى بقدره.

ودليلهم الثاني: القياس، حيث قالوا: إن ما يأخذه العامل يشبه الإجارة من حيث التقدير بأجرة المثل، ويشبه الصدقة من حيث إنه لا يشترط فيها عقد إجارة، أي: لا يجب أن تكون المدة معلومة، ولا العمل معلومًا، كما في الإجارة.

القول الرابع: ذهب الحنابلة(٦٥) إلى أن العامل يعطى أجر المثل، إذا عمل من دون شرط، فإذا عمل بشرط وجب الشرط.

المسألة الثالثة: وقت تحصيل الزكاة:

ويقال في المسألة هذه أن الأموال الزكوية نوعان:

النوع الأول: الأموال الحولية (السنوية):

ومثالها: السوائم وعروض التجارة، فهذه يحدد لها شهر من أشهر السنة، يجمع فيه الساعي زكاتها، وقد استحب بعض العلماء أن يكون هذا الشهر هو المحرم، باعتباره أول أشهر السنة.

النوع الثاني: الأموال الموسمية:

ومثالها: الزروع والثمار، فتخرص، أي: تقدر زكاتها قبيل وقت إدراك الثمار، واشتداد الحب، ثم تجبى في هذا الوقت، ويوضح مقدارها قول رسول الله ﷺ: «فيما سقت السماء أو كان عثريًا العشر، وما سقي بالنضح نصف العشر»(٦٦).

وفي النهاية أختم بما بدأت به وهو أن الإسلام دين التكافل الاجتماعي الذي يكفل للفقير العاجز العيش، وأنه دين الحرية الذي أعطى الغني حرية التملك مقابل كده وسعيه، فهو دين وسط، لا هو شيوعية متطرفة، ولا رأسمالية ممسكة محتكرة، ومن ثم جاء تحذير المولى- عز وجل- على مانع الزكاة وتوعده عليها بالعقوبة العاجلة والآجلة، وهذه دلالة واضحة على أن الزكاة ذات أهمية كبيرة في سد حاجة جهات المصارف الثمانية، وبذلك تنتفي المفاسد الاجتماعية والخلقية الناشئة عن بناء هذه الحاجات دون كفاية(٦٧).

الهوامش

١- انظر: حجة الله البالغة للدهلوي: (٢/٣٩، ٤٠).
٢- انظر: الأحكام السلطانية للماوردي.
٣- أخرجه البخاري، برقم:(١٣٩٥)، مسلم، برقم:(١٣٠).
٤- انظر: الأحكام السلطانية للماوردي.
٥- انظر: مختصر خليل للشيخ خليل المالكي: (ص:٦٤).
٦- انظر: الإنصاف للمرداوي: (٣/١٩٧).
٧- انظر: المغني لابن قدامة: (٢/٦٥٤).
٨- انظر: المبدع في شرح المقنع لإبراهيم بن محمد بن مفلح: (٢/٤١٨).
٩- انظر: بدائع الصنائع للكاساني: (٢/٤٠).
١٠- انظر: جواهر الإكليل شرح مختصر خليل للأزهري: (١/١٣٨).
١١- انظر: مغني المحتاج للشربيني: (٢/٤١٣).
١٢- انظر: الإنصاف: (٣/١٩٧).
١٣- انظر: المغني: (٢/٦٥٤).
١٤- انظر: بدائع: (٢/٤٠).
١٥- انظر: المجموع للنووي: (٦/١٣٨)، المبدع: (٢/٤٠٦).
١٦- انظر: بلغة السالك لأقرب المسالك للشيخ الصاوي: (١/١٢٧).
١٧ - انظر: المجموع: (٦/١٤٢).
١٨- انظر: الإنصاف: (٣/٢٢٤).
١٩ - انظر: شرح الزركشي على مختصر الخرقي: (٢/٤٣٥).
٢٠ - انظر: كشاف القناع للبهوتي: (٢/٢٧٥).
٢١- انظر: مغني المحتاج: (١/٤١٣).
٢٢- انظر: الإنصاف: (٣/١٩٨).
٢٣ - انظر: جواهر الإكليل: (١/١٣٨).
٢٤- انظر: المبدع: (١/٤٠٦).
٢٥- انظر: كشاف القناع: (٢/٢٧٥).
٢٦- انظر: المهذب للشيرازي: (١/١٦٨).
٢٧ - انظر: حاشية الدسوقي: (١/٤٩٥).
٢٨- انظر: المرجع السابق: (١/٤٩٥)، كشاف القناع: (٢/٢٧٥).
٢٩ - انظر: حاشية الدسوقي: (١/٤٩٥).
٣٠- انظر: المهذب: (١/١٦٨).
٣١- انظر: كشاف القناع: (٢/٢٧٥).
٣٢ - انظر: جواهر الإكليل: (١/١٣٨).
٣٣- انظر: المجموع: (٦/١٧٣).
٣٤ - انظر: المبدع: (٢/٤١٨).
٣٥- انظر: الإنصاف: (٣/٢٢٦).
٣٦- أخرجه البخاري، برقم:(٤٤٢٥)، الترمذي، برقم:(٢٢٦٢).
٣٧- انظر: الإنصاف: (٣/٢٢٦).
٣٨- انظر: المبدع: (٢/٤١٨).
٣٩- انظر: كشاف القناع: (٢/٢٧٥).
٤٠- انظر: الإنصاف: (٣/٢٢٦).
٤١- أخرجه أحمد في المسند، برقم:(١٢١٤٧)، البخاري، برقم:(٦٩٣).
٤٢- انظر: المبدع: (٢/٤١٨).
٤٣- انظر: ملتقى الأبحر للحلبي:(١/١٩٠).
٤٤- انظر: جواهر الإكليل: (١/١٣٨).
٤٥- انظر: الإنصاف: (٣/٢٢٦).
٤٦- انظر: كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار لأبي بكر الحصني الشافعي: (١/٣٨٠).
٤٧- انظر: مغني المحتاج: (١/٤١٣).
٤٨- انظر: المبدع: (٢/٤١٨).
٤٩- انظر: حاشية ابن عابدين: (٢/٥٩).
٥٠- انظر: جواهر الإكليل: (١/١٣٨).
٥١- انظر: المهذب: (١/١٦٨).
٥٢- انظر: الإنصاف: (٣/٢٢٥).
٥٣- أخرجه مسلم، برقم:(٢٥٣٠) ، البيهقي في السنن الكبرى، برقم:(١٣٦٢٠).
٥٤- انظر: المجموع: (٦/١٤٢)، كشاف القناع: (٢/٢٧٥).
٥٥- أخرجه البخاري، برقم:(١٤٩٦)، مسلم، برقم:(١٣٠).
٥٦- انظر: منتهى الإرادات للفتوحي:(١/٥٠٥).
٥٧- للحديث الذي أخرجه ابن ماجة، برقم:(١٧٩٧).
٥٨- انظر: الإنصاف: (٣/٢٢٧).
٥٩- انظر: المحصول في علم الأصول للرازي: (٢/١/٣١٧)، روضة الناظر لابن قدامة: (١/١٨٠).
٦٠- انظر: المغني: (٢/٦٥٥).
٦١- أخرجه أحمد في المسند، برقم:(١١٥٥٥)، أبو داود، برقم:(١٦٣٧).
٦٢ - انظر: كنز العمال مختصر توفيق الرحمن للشيخ مصطفى الطائي وهو شرح متن كنز الدقائق للإمام النسفي:(ص:٧٤).
٦٣- انظر: جواهر الإكليل:(١/١٣٨-١٣٩).
٦٤- انظر: المجموع:(٦/١٧٤وما بعدها).
٦٥- انظر: منتهى الإرادات للفتوحي:(١/٥١٦-٥١٧).
٦٦- أخرجه أحمد في المسند، برقم:(١٤٧٠٧)،البخاري، برقم:(١٤٨٣).
٦٧- انظر: منهاج الصالحين: (١/١٦٥-١٦٦)، نيل المآرب شرح دليل الطالب للشيباني: (٣/٣٥١-٣٥٢).

ولاية التعليم في عصر النبوة والرسالة.. الوظائف والشروط والمنهج (٢-٢)

الدكتور: محمد الأنصاري

المسألة الثانية: عنايته ﷺ بالتعليم العام (تعليم العلوم الإنسانية والمادية)

لم يقتصر اهتمام النبي ﷺ بالحث على تعليم الإسلام، وتعلم أحكامه، وإنما أولى اهتمامه كذلك بتعليم الصحابة العلوم النافعة، فحرص على تعليمهم القراءة والكتابة، وتعليمهم الحرف والصناعات، فقد ثبت عنه ﷺ في السنة أنه حث على تعلم وتعليم الكتابة، والسباحة، والرماية، وركوب الخيل، يشهد لذلك قوله ﷺ: «إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة، صانعه يحتسب في صنعه الخير، والرامي به، ومنبله... ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فإنها نعمة كفرها»، وكذلك تكليفه ﷺ بوظيفة تعليم الكتابة عددا من الصحابة الذين كانوا يحسنونها، كعبدالله بن سعيد بن العاص، فقد كلفه ﷺ بتعليمها الناس في المدينة، أول قدومه ﷺ إليها، وتولى عبادة بن الصامت تعليم جماعة من أهل الصفة الكتابة والقرآن، فعنه رضي الله عنه قال: «علمت ناسا من أهل الصفة الكتابة والقرآن».

ومن الثابت هنا أنه ﷺ جعل فداء كل أسير من أسرى بدر، ممن يحسنون فن القراءة والكتابة، أن يعلم عشرة من أبناء الصحابة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة».

وثبت أيضا أنه ﷺ أمر زيد بن ثابت بتعلم اللغة السريانية ليتولى أعمال الترجمة والرد على الرسائل، وروي أنه تعلم بأمر منه ﷺ العبرية والفارسية والرومية وغيرها، فعنه رضي الله عنه قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم له كلمات من كتاب يهود، قال: إني والله ما آمن يهود على كتابي، قال فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له، فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم»، وفي رواية أخرى عن زيد بن ثابت أيضا قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم السريانية».

ولم تقتصر عنايته ﷺ بتعليم هذه الفنون والعلوم للرجال فحسب، إنما اعتنى أيضا بتعليم النساء العلم والكتابة، فعن الشفاء بنت عبدالله قالت: «دخل رسول الله ﷺ وأنا عند حفصة، فقال لي: ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة» (أبوداود).

وجملة القول، فإن ما تقدم هو قليل من كثير ورد عن النبي ﷺ في شأن عنايته بالمسألة العلمية، تعلما وتعليما، أقوالا وأعمالا، مما يبرز اهتمامه الفائق بولاية العلم والتعليم.

ومن خلال عنايته تلك، يتضح أن السياسة النبوية التعليمية سياسة في غاية الدقة والإتقان، وسيتبين هذا أكثر في العنصر الموالي.

العنصر الثاني: قواعد منهجية في ولاية العلم والتعليم

إن الدارس للسنة النبوية، المتتبع لسيرته ﷺ في شأن ولاية التعليم، ليدرك أنه ﷺ كان يتبع في تعليم الناس وتزكيتهم وإعدادهم وصياغتهم على وفق مراد الله تعالى خطة متقنة ومنهجا قويما وطريقة حكيمة، مستخلصة من بصائر القرآن وهداياته المنهاجية في التفكير والتعبير والتدبير، حيث كان يختار من الأساليب والوسائل أحسنها وأجودها، وأكثرها وقعا في نفس المتعلم، وأقربها إلى فهمه وعقله، وأشدها تثبيتا للعلم في ذهنه، مراعيا في ذلك كله مستوى الطالب وعقله ونفسه وحاله وحاجته ورغبته، ولا غرابة في ذلك كله، فالرسول ﷺ هو المعلم الأول لهذه الأمة، المعد لهذه الوظيفة من الله تعالى إعدادا من طراز خاص، حتى بلغ ذروة الكمال الإنساني في كل شيء، فكان أسد الناس، وأرشدهم وأحكمهم وأعلمهم، وكيف لا وهو الذي علم المسلمين قوله تعالى: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ (الإسراء: ٩)، فلا عجب إذن

باحث أكاديمي مغربي

أن يكون عليه السلام أهدى الناس جميعا للتي هي أقوم في كل شيء، ومن ثم أهداهم في المنهج التعليمي وأفقههم فيه، وأعلمهم بأساليبه وقواعده وخططه ومقاصده ووظائفه.

وفيما يلي أعرض أهم الأساليب والوسائل المنهجية، التي سلكها الرسول ﷺ في تعليمه لأصحابه، رغبة في بعثها من جديد، وإحيائها في النفوس الزكية، والعقول النيرة، والضمائر الحية، عساها أن تنير الطريق للراغبين من أبناء أمتنا في الاهتداء للتي هي أقوم في ولاية العلم والتعليم، فما أحوج المسلمين اليوم أكثر من أي وقت مضى، أن يعودوا من جديد، بعد تيه كبير وضلال مديد، وارتماء في أحضان السياسات التعليمية المستوردة من الغرب الضال، إلى المنهج القرآني الرباني في تعليم الأمة وتربيتها، وصياغتها صياغة إسلامية مستقيمة متوازنة شاملة على وفق مراد الرسالة القرآنية والسنة النبوية.

وأهم هذه الأساليب والقواعد المنهجية النبوية مايلي:

- ربطه ﷺ المتعلمين بالله تعالى بدءا وانتهاء، فهذا الربط شرط منهجي في ترسيخ العلم بالله تعالى في قلب المتعلم، حتى إذا أراد القراءة، قرأ كل مقروء باسم الله سواء كان المقروء وحيا في الكتاب المسطور أم كونا في الكتاب المنظور، تأسيا بأمر الله لنبيه ﷺ بذلك في أول الوحي إليه: ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق...﴾ (العلق: ١)، وعملا بقوله ﷺ: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أقطع»، هذا في

أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت بتعلم السريانية والعبرية والرومية ليتولى أعمال الترجمة

بداية التعليم، أما عند الانتهاء منه، فقد روى أبوبردة الأسلمي (ض) أن النبي ﷺ كان إذا جلس في المجلس فأراد أن يقوم، قال: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك».

- تعليمه ﷺ أصحابه العلم والعمل معا، فقد اتبع هذا الأسلوب في التعليم، وهو شرط منهجي في بيان القصد من العلم للمتعلم، وحمله على العمل بمقتضى ما يتعلمه، فعن عثمان وابن مسعود وأبي بن كعب أن رسول الله ﷺ: «كان يقرئهم العشر فلا يجاوزها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، فيعلمنا القرآن والعمل جميعا»، يشهد لذلك ما رواه أحمد عن أبي عبدالرحمن زيد بن خالد الجهني أنه قال: «حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي ﷺ أنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا فعلمنا العلم والعمل»، فالرسول ﷺ بهذا الأسلوب التعليمي، كان يعطيهم القدوة الحسنة، فالمعلم المربي لا يجوز له إلا أن يكون قدوة في العلم والعمل لتلاميذه وطلابه، ولهذا كان ﷺ متحققا بعلم القرآن متخلقا بأخلاق القرآن، يقول الشاطبي: «وإنما كان عليه الصلاة والسلام خلقه القرآن، لأنه حكم الوحي على نفسه، حتى صار في علمه وعمله على وفقه، فكان للوحي موافقا، قائلا، مذعنا، ملبيا، واقفا عند حكمه»، ولا غرابة في هذا، فالله تعالى اختاره ليكون أسوة حسنة فقال سبحانه: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ (الأحزاب: ٢١).

وبهذه الطريقة استطاع الرسول ﷺ أن يجعل العمل بالعلم عند الصحابة منهجا في التعلم والتعليم، فبورك لهم في العلم والعمل جميعا، ومن ثم وجدناهم لا يهمهم الحفظ أكثر مما يهمهم العمل بما حفظ، فقد روي أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما مكث ثماني سنين في تعلمه سورة البقرة، وروي عنه أنه قال عن أبيه: «تعلم عمر البقرة في اثنتي عشرة سنة، فلما ختمها نحر جزورا».

وقد بين عبدالله بن مسعود هذا الأمر أكثر لما قال: «إنا صعب علينا حفظ ألفاظ القرآن، وسهل علينا العمل به، وإن من بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن، ويصعب عليهم العمل به»، وأما في زمننا نحن، فقد صعب على الناس حفظه والعمل به معا، ولا حول ولا قوة إلا بالله. والقاعدة المقررة عند الشاطبي المؤطرة لهذا المسلك في التعليم هي: «إنما يكون العلم باعثا على العمل، إذا صار للنفس وصفا وخلقا».

- اتباعه ﷺ قاعدة التيسير والتخفيف في تعليم الناس، وهي قاعدة عظيمة من قواعد المنهج الإسلامي العام، ومن مظاهرها البارزة مظهران هما:

أ- أنه ﷺ كان يتخول أصحابه

بالموعظة حتى لا يملوا، وتخول المعلم المتعلم بالعلم سمة من سمات المنهج النبوي في التعليم، وقد شهد له ﷺ بسلوك هذا الأسلوب الصحابة أنفسهم، فعن عبدالله بن مسعود قال: «كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام مخافة السآمة علينا»، وبهذا المسلك استطاع ﷺ أن يحبب لأصحابه التعلم، وأن يجعل رغبتهم في الطلب قوية، وقابليتهم للتلقي عالية، فعلمهم بذلك العلم والمنهج معا، إعمالا لقوله ﷺ: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا»، فتعلموا أن الإسلام يقوم على قاعدة التيسير ونفي التعسير في جميع الأحوال، وأن التبشير وعدم التنفير ملازم للتيسير.

ب- نهجه ﷺ في التعليم سنة التدرج، فالتدرج منهج عملي في التعلم والتعليم، فقد كان ﷺ يقدم الأهم فالأهم والأولى فالأولى، ويعلم شيئا فشيئا، ليكون ذلك أجدى في التعلم، وأثبت على الفؤاد حفظا وفهما، يقول ابن حجر في هذا المعنى- عند شرحه للحديث السابق- «وكذا تعلم العلم ينبغي أن يكون بالتدريج، لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلا حبب إلى من يدخل فيه، وتلقاه بانبساط، وكانت عاقبته غالبا الازدياد بخلاف ضده»، فاتباع الرسول ﷺ لهذه السنة في تربية أصحابه كان بغرض تعليمهم العلم ومعه المنهج المتدرج في منازل العلم، حتى يدركوا أنها سنة كونية وقاعدة شرعية، يجب على العالم مراعاتها في تعليم الناس وتربيتهم.

- اعتماده ﷺ قاعدة «الحاجة والرغبة في تلقين العلم وتعليم الناس، وهما يختلفان باختلاف

حري بمناهج التربية والتعليم في مؤسساتنا اليوم أن تنهل من هذا المنهج النبوي

الأحوال والأشخاص والزمان والمكان والإمكان»، رغبة منه ﷺ في حصول المقصود دون إملال أو تنفير، ولهذا كان يراعي في المتعلمين أحوالهم وعقولهم، فيخاطب كل واحد بقدر فهمه، وبما يلائم منزلته، وكان يحافظ على قلوب المبتدئين، فيقدم لهم ما ينفعهم، وكان يجيب كل سائل عن سؤاله بما يهمه ويناسب حاله، كما أنه ﷺ كان يخص بالعلم أناسا دون أناس كراهية ألا يفهموا، فعن أنس بن مالك (ض) أن النبي ﷺ قال لمعاذ: «يا معاذ، قال: لبيك رسول الله وسعديك- قالها ثلاثا- قال: ما من عبد يشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار، قال: يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: لا، إذن يتكلوا»، فكان ﷺ يعطي لكل قوم ما تدركه عقولهم ويصلح حالهم، فأخذ الصحابة عنه ﷺ هذا الأسلوب التعليمي، فقد روي في هذا المعنى عن عبدالله بن مسعود قال: «ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة».

- اتباعه ﷺ أسلوب طرح المسألة على المتعلم، فربى بذلك أصحابه على البحث واستعمال الفكر والنظر، والاعتماد على النفس في معرفة الأشياء.

ويستفاد من هذا الأسلوب أن المنهج النبوي في التعليم منهج حواري يقوم على المساءلة والجواب والمناقشة، ويشهد لذلك شواهد كثيرة منها ما رواه ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل الرجل المسلم، حدثوني ما هي؟ قال عبدالله: فوقع الناس في شجر البوادي ووقع في نفسي أنها النخلة، قال: فاستحييت، فقالوا: يا رسول الله ما هي؟ قال: النخلة»، فكان ﷺ يقصد من اتباع هذا الأسلوب التعليمي، اختبار ذهن المتعلم وتربيته على الحوار والمناقشة والتحليل، يقول ابن حجر مبرزا بعض فوائد حديث ابن عمر: «وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم، امتحان العالم أذهان الطلبة بما يخفى مع بيانه إن لم يفهموه، وفيه التحريض على الفهم في العلم، وفيه ضرب الأمثال والأشباه لزيادة الإفهام، وتصوير المعاني لترسخ في الذهن، ولتحديد الفكر في النظر في حكم الحادثة...».

ومن ذلك ما روي عن عبدالله بن مسعود، قال، قال لي رسول الله ﷺ: «يا عبدالله بن مسعود، قلت لبيك وسعديك ثلاث مرات، قال أتدري أي عرى الإيمان أوثق؟ قال قلت: الله ورسوله أعلم، قال: الولاية في الله، الحب فيه والبغض فيه».

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «أبا المنذر أي آية معك في كتاب الله أعظم؟ قلت الله ورسوله أعلم، حتى أعادها ثلاثا، فقلت: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ فضرب صدري وقال: ليهنك العلم أبا المنذر».

هذه صور من صور المساءلة

والحوار التي سلكها الرسول ﷺ في تعليم الناس، وغيرها كثير، وهي من المعالم المنهجية النبوية في ولاية التعليم.

- مخاطبته ﷺ مخاطبيه بكلام فصل بيّن رغبة في تيسير الفهم والحفظ عليهم، فكلامه ﷺ أفصح كلام بعد كلام الله وأسهله فهما وحفظا، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ لا يسرد الكلام كسردكم، ولكن كان إذا تكلم، تكلم بكلام فصل يحفظه من سمعه».

- تعليمه ﷺ بالمحادثة والموازنة العقلية، فقد كان يسلك أحيانا مسلك المحاكمة العقلية على طريقة السؤال والاستجواب، لقلع الباطل من نفس مستحسنه، أو لترسيخ الحق في قلب مستبعده أو مستغربه.

ومما يدل على هذا الأسلوب المنهجي في التربية والتعليم، ما رواه أحمد عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه: «أن فتى شابا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنى، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه، فقال ﷺ: ادنه، فدنا منه قريبا فجلس، فقال ﷺ له: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، وفيه أتحبه لأختك؟ أتحبه لعمتك؟ أتحبه لخالتك؟ وكان الشاب يجيبه بنفس الجواب إلى أن قال: «فوضع رسول الله ﷺ يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه، قال:

المنهج النبوي في التعليم منهج حواري يقوم على المساءلة والجواب والمناقشة

فلم يكن الفتى بعد ذلك يلتفت إلى شيء».

وعلق أبوغدة على هذا المنهج النبوي في التعليم فقال: «فانظر كيف استأصل النبي ﷺ من نفس الفتى تعلقه بالزنى، عن طريق المحادثة والمحاكمة النفسية والموازنة العقلية، دون أن يذكر له الآيات الواردة في تحريم الزنى والوعيد للزاني والزانية نظرا منه أن هذا أقلع للباطل- في ذلك الوقت- من قلب الشاب بحسب تصوره وإدراكه»، فاللجوء إلى مخاطبة العقل بالأمور الحساسة المؤثرة في النفس أسلوب تعليمي ومنهج تربوي تقتضيه أحوال المتعلمين أحيانا.

- استعماله ﷺ أسلوب الإشارة مع القول في التعليم، فكان ﷺ أحيانا يشير بيديه وهو يتكلم، توضيحا للمراد، وتنبيها على أهمية ما يذكره للمتعلمين وتفهيمهم إياه، ومن ذلك ما رواه أبوموسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، ثم شبك رسول الله بين أصابعه»، وما رواه سهل بن سعد الساعدي عنه ﷺ أنه قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين، وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى، وفرج بينهما شيئا»، فكان ﷺ يبتكر الوسائل التي يسهل بها التفهيم والتعليم، ويجدد الأساليب فلم يترك أسلوبا نافعا إلا أعمله، مما يؤكد على سداد رؤيته التربوية ورسوخه المنهجي في التعليم.

- إقباله بوجهه على السائل والمتعلم، حتى يعلمه بذلك أدب التعلم والتعليم، ويرسخ في ذهنه المنهج القويم في تلقين العلم، لأنه ﷺ كان يعد علماء وأساتذة يخلفونه في أداء رسالة التعليم والتبليغ التي بعث من أجلها، فاستطاع بذلك أن يخرج علماء حملوا رسالة العلم والتعليم، ونشروا الخير في أصقاع العالم بعده في وقت وجيز، يقول أبوموسى الأشعري مبينا هذا الأسلوب النبوي في التعليم: «وكان النبي ﷺ جالسا إذ جاء رجل يسأل أو طالب حاجة أقبل علينا بوجهه فقال: اشفعوا فلتؤجروا وليقض الله على لسان نبيه ما شاء».

وجملة القول هاهنا، فإنه من خلال ما سبق، يتبين بجلاء أن المنهج النبوي في التربية والتعليم هو أرقى منهج على الإطلاق في تعليم الإنسان وبنائه، وصياغة فكره وسلوكه وأخلاقه، فهو المنهج المؤيد بالوحي والمسدد به والمستبصر ببصائره، ولذا فهو يمثل الكمال في القوامة المنهجية، حيث إنه استطاع به تخريج قادة من طراز خاص لم يعرف العالم مثلهم في الفهم والرسوخ والصفاء والصدق والجهاد، فحري بمناهج التربية والتعليم في مؤسساتنا اليوم أن تنهل من هذا المنهج النبوي، حتى تعيد للعلم جذوته وللمتعلم تعليمه وصياغته، وللعلماء والمربين مكانتهم، ولولاية التعليم وظيفتها وخصائصها ومقوماتها العلمية والمنهجية والحضارية.

التغريبُ.. مفهومًا وواقِعًا

د. فريد محمد أمعضشو

من المصطلحات التي أخذت تنتشر في كتابات مثقفينا المُحْدثين في الآونة الأخيرة، والتي تمتاز بحمولتها المعرفية والاجتماعية والسياسية والحضارية، نجد «التغريب» الذي شكل موضوعا ثريًا لغير واحدٍ من الكتاب المعاصرين.. ترى ما المقصود به؟

يُراد بـ«التغريب»، في اللغة العربية، النفي والإبعاد عن البلد (١)، يقول ابن منظور: «... وغَرَبَه، وأغْرَبَه: نَحّاه... والتغْريبُ: النَّفْيُ عن البلد... ومنه الحديث: أنّه أمَرَ بتَغْريب الزّاني؛ التَّغْريبُ: النّفيُ عن البلد الذي وَقَعَتْ الجنايةُ فيه. يُقال: أغْرَبْتُه وغَرَّبْتُه إذا نَحَيْتُه وأبْعَدْته... وغَرَبَه وغَرَّبَ عليْه: تَرَكَهُ بُعْدًا» (٢).

انطلاقًا من التعريفات المُعجمية لكلمة «تغريب» يمكن أن نسجّل المَلاحظ الآتية:

■ يستعمل علماءُ اللغة «الإغْراب» و«التغريب» بمعنىً واحدٍ، وهو التنحية والإقصاء من الوطن.

■ ورد لفظ «التغريب» في كلام النبي ﷺ بالمعنى الذي يَقصده علماءُ اللغة، والملاحَظ أن هذا المعنى شهد تطورًا واضحًا مع مرور الأيام، ودخل ميادين حسّاسة وخطيرة في وقتنا الحاضر خاصة.

■ إن «التغريب» مصدر قياسي للفعل غير الثلاثي «غَرّب». وهذا الفعل مَزيدٌ بالتضْعيف، وأظن أن معنى هذه الزيادة هو «صَيْرورة شيء شبْه شيء»، ولا سبيل إلى فهْم هذا المعنى، إذَا ما اقتصرنا على الدلالة المعجمية للتغريب، بل لابد من ربْط هذا المعنى بالدلالة السياسية والإيديولوجية والحضارية للكلمة.

■ التغريبُ انتقال إجْباري وابتعاد اضطراريّ، لا يَملك الإنسانُ السلطة لرَدّه أو دَفْعه، بل يُفرَض عليه فرْضًا، ويسمّي بعض الدارسين هذا النمطَ من الارتحَال بـ«غربة القهر» (٣).

■ تقتصر التعاريف القاموسية على إبراز الجانب الحسّي للتغريب، والذي يتجلى في النفي والإبعَاد القسْري عن الوطن والأهل، والحق أن ثمة جانبًا معنويًا للتغريب يفوق الجانب السابق في الخُطورة.

والواقعُ أن دلالة التغريب تتغير بانتقالنا من الإطار اللغوي إلى الأطر الثقافية والسياسية والاجتماعية، وتتشعّب معانيه مع توالي الأيام، فالتغريب، كما ندركه في الوقت الحاضر، ليس هو التغريب الذي كان يَعرفه «الجوهري» أو «ابن منظور».

يُطلق «التغريب»، في الاصطلاح الثقافي والفكري المعاصر، غالبًا على «حالات التعلق والانبهار والإعجاب والتقليد والمحاكاة للثقافة الغربية والأخْذ بالقيم والنُّظم وأساليب الحياة الغربية؛ بحيث يصبح الفرد أو الجماعة أو المجتمع المسلم الذي له هذا الموقفُ أو الاتجاه غريبًا في مُيوله وعواطفه وعاداته وأساليب حياته وذوقه العام وتوجهاته في الحياة، يَنظر إلى الثقافة الغربية وما تشتمل عليه من قيم ونُظم ونظريات وأساليب حياة نظرةَ إعجَاب وإكبار، ويرى في الأخذ بها الطريقة المُثلى لتقدُّم جماعته أو أمته الإسلامية» (٤).

وهذا المعنى قريبٌ من دلالة الفعل «غَـرّب» (To Westernize) في الإنجليزية، إذ يعرّف معجم «أوكسفورد» هذا الفعل على النّحو الآتي: «To Make an eastern country، person، etc more like one in the west، esp in ways of living and thinking، institutions، etc» (٥) أي جعْل الشرق تابعًا للغرب في الثقافة وأساليب العيش وطرق التفكير... وفي الفرنسية، يعني التغريب الشيء نفسَه.

ويتخذ التغريب أشكالا مختلفة، لعل أخْطرها «التغريب الثقافي»، لأنه إبْدال ثقافي يتغيّى إحْلال ثقافة أجنبية محلّ الثقافة المحلية الأصلية، مع ما يرافق ذلك من مظاهر التبدُّل والتغيير.

وعندما يتحدث الباحثون والمفكرون المسلمون عن التغريب، فإنهم يشيرون إلى واقع يومي مَعيش مشاهَد في الحياة المادية والاجتماعية والنفسية والثقافية والحضارية، واقع صنَعَته ظروفٌ تاريخية عصيبة، وتضافَرت على نسْج خُيوطه عواملُ كثيرة، وبالنظر إلى عُمق ظاهرة التغريب في حياتنا الثقافية المعاصرة، فإننا نرى هؤلاء الباحثين يستعملون عددًا من المصطلحات للدلالة عليه، نحو «الاغتراب الثقافي»، و«الإلحاق الثقافي»، و«الاسْتلاب الثقافي»، و«المَسْخ»، ... ومن المؤكّد أن مصطلح «التغريب»، بدلالته المعاصرة المعروفة، من نَتاج الفكر الغربي، ويرتبط بالحركة الإمبريالية الأوروبية التي انطلقت في القرن التاسع عشر. يقول محمد مصطفى هدارة إن «اصطلاح «التغريب» ليس من ابتكارنا في الشرق، ولكنه ظهر في المعجم السياسي الغربي باسم «Westernyation»، وكانوا يعنُون به نشْر الحضارة الغربية في البلاد الآسيوية والإفريقية الواقعة تحت سيطرتهم عن طريق إزالة القُوى المضادّة التي تحفظ

باحث أكاديمي

لهذه البلاد كيانَها وشخصيتها وعاداتها وتقاليدها، وأهمّها الدين واللغة، وفي زوال هذه القوى ضمانٌ لاستمرار السيطرة الغربية السياسية والاقتصادية حتى بعد إعلان استقلال هذه البلاد وتحرُّرها من نَيْر الاستعمار الغربي ظاهريًا» (٦).

إذن، فالموجة التغريبية تستهدف ضَرْب ثوابت الأمة الإسلامية التي تتجلى في القرآن الكريم واللغة العربية الفصحى، وتروم تقويض دعائم المجتمع الإسلامي، وذلك حتى تتمكن من تنفيذ مخططاتها التخريبية، وتمرير مشاريعها النّتنَة المسطّرة بدقة متناهية، والغربُ يعرفُ أن صراعه المباشر مع القرآن سيكون مآله الفشل والإخفاق؛ لأنه واعٍ تمامَ الوعْي بمدلول الآية الكريمة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٧)، أي إنَ القرآن تكلّؤه العناية الربانية الأزلية؛ لذا، عزم على ضرْبه انطلاقًا من جوانبَ أخرى كاللغة والأسرة.. وعليه، فقد عمَد إلى تشجيع اللغات العامّية في مجال الأدب والإعلام، وتمكن من خلْق بَلْبَلة واضطراب في صُفوف الأسرة المسلمة بوصفها عمادَ المجتمع الإسلامي، وقد استطاع التيار التغريبي أن يحقق جملة من الأهداف والنتائج؛ فوُجد له أنصارٌ من أبناء المسلمين يروّجون لأطاريحه وأفكاره ابتغاءَ الحصول على الثروة والجاه، وتولّدت طائفة من المتغرّبين الذين بَهَرَتهم الحضارة الغربية ببَهْرجها وشكلها الخدّاع.

وإذا كان التغريب في مجتمعاتنا الإسلامية أمرًا ملموسا وحقيقة مسلّمًا بها، فمِنْ حقنا أن نتساءل هاهنا: ما هي عواملَه ومسبّباته؟

إن عواملَ التغريب الثقافي والحضاري كثيرة ومختلفة؛ فمنها القديم الذي يرجع إلى ظروف تاريخية قديمة، ولكن آثاره ما تزال قائمة تُحدث أثرَها في الوقت الحالي، ومنها ما هو حديث ومستمر في وجوده وتأثيره، يعايش المسلمين في حياتهم المعاصرة، ويُحدث تأثيره فيها، ومنها أيضًا ما يُعزى إلى أجواء داخلية تتمثل بالشعوب

يتخذ التغريب أشكالاً مختلفة لعل أخطرها «التغريب الثقافي»

الإسلامية نفسها، وما تعرفه من نُظم وأعراف وعوائدَ، ومنها ما يعود إلى قوى خارجية تتجلى في الإمبريالية والصهيونية، وفي صنائعهما من التبشير والاستشراق والتنصير، وحتى لا نطيل هنا، سنركز فقط على العوامل الداخلية والخارجية (٧)، ولْتكُنْ البداية بالعوامل الداخلية:

أ- العوامل الداخلية: وهي تخصُّ كيان العالم الإسلامي الذي كان مهيّأ للاحتلال أو ذا قابلية للاستعمار بعبارة المفكر الجزائري الراحل مالك بن نبي، في كتابه النفيس «شروط النهضة»، وهذه العوامل «أشد خطرًا وتأثيرًا في عملية التغريب من العوامل الخارجية؛ لأنها تكمُن في نفوس الناس وإرادتهم وفي الثقافة والظروف المحيطة بهم، وتعمل من خلال وسائطَ داخلية تصعُب المناعة منها» (٨).

لقدْ عاشت أغلب المجتمعات العربية، في فترة من تاريخها، حالة من الجمود الفكري والتأخر الثقافي؛ فساد جوٌّ من الخمول وعدم الانتفاع بالوقت، وتخلى الفقهاء عن واجب الاجتهاد لا في مجال الفقه والتشريع فحسب، بل في جميع مجالات الفكر، واقتصر الأدب على اجترار ما قيل، وقعَد العلماء عن البحث العلمي الأصيل، وحاربوا الحركات التحديثية والتجديدية... إلخ.

كما انساقَ عددٌ من الأقطار الإسلامية وراء التوجه العَلماني الذي ينبني على فصْل الدين عن الدولة والحياة العامة، وتضييق نطاقه لينحصر في المساجد والكتاتيب وحدها، من منطلَق أن الدين هو السبب الرئيس في تخلف المجتمعات الإسلامية عن الركب الحضاري، وعدم قدرتها على اللّحاق به ومجاراة إيقاعه.

ومازال التعليم - بجميع أنواعه وفي جميع أسلاكه- في جلّ المجتمعات الإسلامية متخلفا في مناهجه وإستراتيجياته وتجهيزاته وأهدافه البيداغوجية، كما أنه ما فتئ يهتم بحَشْو أدمغة التلاميذ والطلاب بمعارف نظرية لا تُمتُّ إلى واقعهم المعيش بصلة، وتغلب على مناهجه اللفظية، ويفتقر إلى ألتوازن بين الكمّ والكيْف، وبين الدراسة النظرية والتطبيق العَمَلي، وبين التعليم الأكاديمي والتعليم المِهْني والفني، ويتميز هذا التعليم أيضًا بكونه غيرَ معمّم بعْدُ، ويعتمد الازدواجية في كثير من المنظومات التربوية العربية.. هذه الأمور وغيرُها تجعل من الصعب الاعتماد على تعليمنا في صُنع التقدم والإقلاع المنشودين والتنمية الحقيقية المُبتغاة، أو في صناعة حضارة قوية تواكب عصرها وتستَعْصي على الغزو والتغريب.

ولا ينبغي أن نُغفل ما لفساد الحُكم وغياب الحرية والعدل السياسي والاجتماعي في كثير من المجتمعات الإسلامية من بالغ الأثر في تأزيم الوضع الداخلي، ونشر ثقافة اليأس والشك وعدم الثقة في هذه المجتمعات.

هذه بعض العوامل الداخلية التي تقف وراء تأخر الأمة الإسلامية عن اللحاق بالركب الحضاري الذي يتقدم بخُطىً متسارعة إلى الأمام، والتي مهّدت لغزْوها سياسيا وعسكريا واقتصاديا واجتماعيا، ويسّرت عملية تغريبها واستلابها ثقافيًا وحضاريًا.

ب- العوامل الخارجية: علاوة على العوامل الداخلية، هناك عواملَ- لا تقل خطورة عن سابقتها- تأتي من خارج جسد الأمة الإسلامية، أو تستمد- على الأقل- دعْمها وتمويلها من خارج المنطقة الإسلامية، ومن هذه العوامل نذكر الاستعمار بنوعَيْه القديم (السياسي) والحديث (الثقافي)، والذي كان سببًا رئيسًا في تغريب كثير من الأفراد والجماعات بالقوة أو بالإغراء أو بالنموذج.

لقد ركز الغرب- لتحقيق مسعاه التغريبي- على المسيحيين العرب في بلاد الشام للنفاذ بثقافته إلى صُلب الأمة الإسلامية، كما ذكر ألبرت حوراني في كتابه «الفكر العربي في عصر النهضة»، واتخذ من البعثات التبشيرية وإنشاء مدارس التبشير المسيحي في معظم أرجاء الوطن العربي والإسلامي وسيلة فعّالة لتغريب المسلمين، وإحداث الفوضى بينهم، ومحاولة خلق قطيعة اصطناعية بينهم وبين ماضيهم المجيد.

ويُسهم الإعلام الأجنبي، بشتى أنواعه وتوجهاته، في نشر الحضارة الغربية، وتمويه الحقائق، وحمْل الآخر على تقبُّل كثير من قيم الغرب، كما تؤثر المراكز الثقافية الأجنبية المنتشرة في أنحاء الكيان الإسلامي الممتدّ، والمساعدات الفنية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية التي يقدمها الغربُ للشرق، والنشاط التجاري بين الطرفين، في تسهيل عملية التغريب واستتباع الشرق المتأخر للغرب المتحضّر.

فهذه كلها عواملُ وأدواتٌ للاستعمار السياسي والثقافي، تغذيها الحركة الكولونيالية والصليبية والصهيونية العالمية، ويتلخص هدف هذا الثالوث في إضعاف شوكة الأمة الإسلامية، وتدمير ثقافتها الأصيلة، وتفتيت شمْلها إلى عدة كيانات قُطرية، كما يهدف هذا الثالوث نفسُه إلى زرع التشكيك في قيم هذه الأمة ولغتها وتراثها، وطمْس هُويتها، وبثّ الفُرقة بين صفوف أجناسها من خلال إثارة النّعرات القبلية والمذهبية والإثنية البغيضة، ويسعى كذلك إلى إضعاف الوازع الديني لدى أبناء الأمة الإسلامية، والتشجيع على الفساد والتطرف بشتى ألوانه.

أكيدٌ أن تأثير هذه العوامل الخارجية متوقف على طبيعة البنية الداخلية للمجتمع الإسلامي، فهي تؤثر في حالة هشاشة هذه البنية وافتقادها إلى المناعة والحصانة، ويغيب تأثيرها مع تماسك الجسم الإسلامي، وتضامن مكوناته البشرية، وقوة معتقده.

الغزو الفكري الغربي الحديث لكسر شوكة المسلمين لم يترك وسيلة إلّا استخدمها لتحقيق مآربه

هذه نظرة موجزة إلى أبرز العوامل الذاتية والموضوعية التي توفر الأرضية المناسبة لتعشيش التيار التغريبي، وتيسّر أمْر عمله وتأثيره الفعّال.

ومما لاشك فيه أن للتغريب تجليات وآثارًا متعددة ومختلفة؛ منها ما يتصلُ بالفرد، ومنها ما يتصل بالمجتمع الإسلامي، ويجب أن نذكّر هاهنا بأن تغريب الفرد واستلاب ثقافته وهويته يعد الخطوة الأولى في سبيل تغريب واستلاب ثقافة المجتمع ككل، فالتغريب الثقافي والحضاري يتسلط- بداءةً- على الفرد، حتى إذا ما تمكّن من نفسه، وانتشرت آثارُه على نطاق أوسع في مجتمع إسلامي، فإنه يتحول إلى ظاهرة اجتماعية علاوة على كونه ظاهرة فردية، وفيما يلي سنبرز بعض مظاهر وآثار التغريب إنْ على مستوى الفرد أو على مستوى المجتمع الإسلامي:

أ- **بعض مظاهر وآثار التغريب الثقافي على مستوى الفرد المسلم:** إن الفرد المسلم الذي تمكن منه التغريب تظهر عليه جملة من الأوصاف والأمَارَات. فهو دائم التعلق بما في الثقافة الأجنبية الغازية له من نُظم وأفكار وعوائد وأنماط سلوكية، ويحاول جاهدًا تطبيقها في حياته الخاصة، ثم إن هذا الفرد لا يجد في نفسه أي حرج من محاكاة الغرب، والانصهار الكامل في بُوتَقته المسمومة، والأخْذ بما يُمليه حرْفيًا. وبالمقابل، نجد هذا الفرد يتحامل على التراث الإسلامي بالرغم مما يختزنه من قيم سامية، وبذور حقيقية للإقلاع والتنمية، وهكذا نرى عددًا من أبناء الأمة الإسلامية يدْعون إلى الانفصام عن الماضي الإسلامي والالتحاق بالغرب، ويعد سلامة موسى من أخْطر هؤلاء، حيث يقول في كتابه «اليوم والغد»: «يجب علينا أن نخرج من آسيا وأن نلحق بأوروبا، فإني كلما ازدادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له، وشعوري بأنه غريب عني، وكلما زادت معرفتي بأوروبا زاد حبي لها وتعلقي بها وزاد شعوري بأنها مني وأنا منها». ويقول أيضًا أدونيس (علي أحمد سعيد): «لسْنا من الماضي.. الإنسان عندنا مَلجومٌ بالماضي، نعلّمه أن يكسر اللجام ويجْمح، نعلمه أنه ليس حُزمة من الأفكار والمصنفات والأوقات يسمونها تراثا»!.

إن الفرد المسلم الذي غُرّب فتَغَرّب لا يولي أي اهتمام لمشكلات مجتمعه وأمته، بل إنه يشكل، في حد ذاته، معْوَل هدْم يعمل من داخل الجسم الإسلامي لتخريبه وإضْعافه.

هذه بعض الآثار التغريبية التي تتبدّى على مَنْ بهرتْهم الحضارة الغربية بشكلياتها الزائفة؛ فسلبت عقولهم، واستولت على عواطفهم، وأصبحوا يتنكرون لثقافتهم الإسلامية الأصيلة، ويجتهدون في تمثل مظاهر الثقافة الغازية، وقد كان معظم هؤلاء المتغرّبين أو المستَلَبين ثقافيًا ممّن عاشوا في ظَل الاستعمار ردحًا غير يسير من الزمن وتربّوا في مدارسه أو مدارس الإرساليات التبشيرية أو درسوا في الديار الغربية.

ب- **بعض مظاهر وآثار التغريب على مستوى المجتمع الإسلامي ككل:** لا يجد المجتمع الإسلامي الذي امتدت إليه أيدي التغريب غضاضة في تقليد الغرب، واتّباعه في النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ولا يتردد في الأخذ بالتيار العَلماني ونتائج الأبحاث الاستشراقية عن العقيدة الإسلامية واللغة العربية الفصحى التي تعد الوعاء الحامل لهذه العقيدة.

الملاحظُ في عدد من المجتمعات الإسلامية انتشارُ المجلات والأشرطة الهابطة، والأغاني الساقطة، والصور

الخليعة، والكتب التي تحمل في صفحاتها أفكارا هدّامة لكيان المجتمع الإسلامي، وذلك تحت ستار الحرية الشخصية، وتمثل هذه المظاهر التغريبية وسائل خطيرة في تشويه القيم الإسلامية، وطمْس هُوية المسلمين فرادى وجماعات.

وتسمح مجموعةٌ من دول العالم الإسلامي- بدعوى الانفتاح- بإنشاء المدارس والمعاهد الأجنبية، وانتشار الحركات التبشيرية فوق أراضيها، وفي ذلك فرصة سانحة لبَثّ سمومها الفتاكة، ونشر تُرّهاتها وتلفيقاتها، ومن العجب العُجاب أن هذه المعاهد تعمل بحرية تامة، وتوفّر لها الحصانة القانونية الكاملة، ويتخرّج منها أناسٌ كُثرٌ تُفتح أمامهم فرص التشغيل وغيرها.

إن المظاهر آنفة الذكر كلّها تسهم في ضعف الثقة بكل ما هو وطني وإسلامي من نظم واقتصاد وأدب وفن، وتدفع بالمجتمع الإسلامي دفعًا إلى اقتفاء سَمْت الغرب وتقليده تقليدًا أعمى في كل الأمور، بدءًا من أتْفَهها وانتهاءً بأخطرها، وتجدر الإشارة هنا إلى أن درجة التغريب والتغرُّب تختلف من مجتمع إسلامي لآخر، فهناك مجتمعات أنهَكها التغريب، وهناك أخرى لما يزال التغريب فيها محدودًا.

إن الغزو الفكري الغربي الحديث الذي يستهدف تكسير شوكة المسلمين، وتشويه هويتهم، وعزْلهم عن ماضيهم وميراثهم الحضاري، وتغريبهم عن عقيدتهم ولغتهم، لم يترك وسيلة إلا استخدمها لتحقيق مآربه، ولم يترك جهة لمس فيها الاستعداد للتعاون معه إلا تعاوَن معها وربط نفسه بها، وقد كان في طليعة هذه الجهات التي تعاونت مع المستعمر الغربي، وربطت أهدافها بأهدافه «الصهيونية العالمية» التي برزت بوصفها حركة سياسية عنصرية تتغيى بسْط النفوذ على العالم بأسره بشتى الطرق والوسائل، وقد حققت جملة من المكتسبات في الواقع الملموس، أبرزها الحصول على وطن قومي لليهود في أرض فلَسْطين المباركة.

ومن جهة أخرى، شكلت العلمانية «إحدى الوسائل الخطيرة التي مهّدت الطريقَ لحركة التغريب التي مسّت نواحيَ مختلفة» (٩).

وبناءً على ما سبق، كان من الطبيعي أن تعرف المجتمعات المتغرّبة حالات من الفوضى والتطرُّف العام، لذا، يربط بعض الباحثين بين الغلو والتغريب، يقول طارق البِشْري مثلاً: «يبدو لي أن الغلو سيبقى، بدَرجات شتى وأشكال متنوعة وعلى فترات ممتدة أو متقطعة، ما بَقيت هيمنة التغريب، ولن يضعف إلا بضعْفها» (١٠).

إن التغريب أخطرُ من الغزو العسكري؛ ذلك لأن الاستعمار العسكري حدَثٌ وقتي لحظي يتسلط على أمة من الأمم ردحًا من الزمن- قد يطول وقد يقصُر- ثم يذهب وتعود تلك الأمة إلى وضْعها الطبيعي وثقافتها الأصلية وحُرياتها التامة، وربّما بصورة أقوى وأحسن من السابق، وربما كان ذلك التحدي عاملاً من عوامل الإبداع والتفوق والتقدم نحو الأمام. أما التغريب فهو أخطر من ذلك بكثير، لأنه يضرب الأمة في موطن قوتها وبؤرة حياتها، ويقتل فيها روح المبادرة والثورة، ويهجم على ثوابتها التي لا غنى عنها في وجودها، إنه بكلمة مختصرة «احتلال العقل والنفس» (١١).

انطلاقًا من حديثنا عن حقيقة التغريب، وعوامله، ومظاهره، وآثاره، وميكانيزماته.. تبيّن لنا أن التغريب تيارٌ فتاكٌ يتخذ من التخريب شعارًا له، وأنه تحَدٍّ خطير يُجابه الأمة الإسلامية في اللحظة الحضارية الآنية بقوة، وهنا يحق لنا أن نتساءل: كيف واجه المسلمون التغريب الثقافي والحضاري؟

مما لاريبَ فيه أن أبناء الأمة الإسلامية تجنّدوا لإبْطال مفعول سُمّ التغريب؛ فقاموا بردود فعل قوية وملموسة، وهكذا «ظهرت الحركة الإسلامية مع هيمنة التغريب، وتصاعدت مع تصاعُده، وهي تعتو مع عُتوّه» (١٢).

كما نشطت حركة التعريب، واتسع نطاقها لتشمل عدة ميادين حيوية، واصطبغت بأصْباغ جديدة تماشيًا مع واقع التغريب، بحيث «لم يعُد التعريبُ في حياتنا المعاصرة مجردَ هدَف ثقافي، وإنما أصبح هدفا حضاريًا شاملا، ينطوي على جوانب سياسية وقومية لا تقل أهمية عن جوانبه الثقافية» (١٣)، ولم يقف الشعراء الإسلاميون مكتوفي الأيدي إزاء موجة التغريب التي اكتسحت العالم الإسلامي منذ القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وإنما وظفوا أشعارهم واتخذوها أسلحة فعّالة لمجاهدة التغريب... إلخ.

الهوامش

- الجوهري: الصحاح، ١٩١/١ - ابن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص٤٧٠ - الزبيدي: التاج، ٤١٠/١ - مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط، ٦٤٧/٢.

٢- ابن منظور: لسان العرب، ٦٣٨/١-٦٣٩.

٣- عبد الرزاق الخشروم: الغربة في الشعر الجاهلي، م.س، ص١٤.

٤- عمر التومي الشيباني: التغريب والغزو الصّهْيوني، مجلة «الثقافة العربية»، ليبيا، ع١٠، س٩، ١٩٨٢، ص١٦٢.

٥OXFORD UNIVERSITY;: OXFORD Advanced Learner's Dictionary. P١٣٥٥ -

٦- محمد مصطفى هدارة: التغريب وأثره في الشعر العربي الحديث، مجلة «الأدب الإسلامي»، مج١٠، ع٢، ١٩٩٤، ص٨.

٧- عمر محمد التومي الشيباني: التغريب والغزو الصهيوني ، م. س، ص١٦٠ وما بعدها.

٨- نفسه، ص١٦٢.

٩- محمد مصطفى هدارة: التغريب وأثره في الشعر العربي الحديث، ص٨، بتصرف.

١٠- طارق البشري: سيبقى الغلو ما بقي التغريب، مجلة «العربي»، ع٢٧٨، يناير ١٩٨٢، ص٦١.

١١- شلتاغ عبود: في المصطلح الثقافي والتغريب، مجلة «آفاق الثقافة والتراث»، ع٣٣، س٩، أبريل ٢٠٠١، ص٥٤.

١٢- طارق البشري: سيبقى الغلو ما بقي التغريب، ص٦١.

١٣- فؤاد زكريا: ثقافتنا المعاصرة بين التعريب والتغريب، مجلة «العربي»، ع٣٠٢، يناير ١٩٨٤، ص٣٥.

حكم التسوق الشبكي في ضوء مقاصد البيوع

وصفي عاشور أبوزيد

التسويق أو التسوق الشبكي نوع جديد من المعاملة أو البيع، وهو عبارة عن برنامج تسويقي يمنح المشاركين فيه شراء حق التوظيف لمزيد من المشاركين، وبيع المنتجات أو الخدمات، والتعويض عن المبيعات عن طريق الأشخاص الذين قاموا بتجنيدهم، فضلاً عن المبيعات الخاصة بهم. أو هو نظام تسويقي مباشر يروج لمنتجاته عن طريق المشترين، بإعطائهم عمولات مالية مقابل كل من يشتري عن طريقهم، وفق شروط معينة (١)، ولكي يتضح معناه نضرب له مثالاً يكشف عن فكرته الجوهرية.

لنفرض أن شركة تصنع الصابون وتبيعه بسعر٢٠ ريالاً أرادت اتباع هذا الأسلوب من التسويق، فتقوم بتقديم عرضها التالي لزيد من الناس: إذا اشتريت الصابون سنمنحك فرصة التسويق الشخصي لمنتجاتنا لكسب حافز مقداره ٣ ريالات عن كل مشترٍ تأتي به أنت أو يأتي به من أتيتَ به، كل ما عليك هو أن تقنع اثنين من معارفك بشراء هذا الصابون والتسويق له، يقوم زيد بإقناع خالد وعمرو بالشراء وحثهما على تسويقه حتى يظفرا بالحوافز، يشتري خالد وعمرو، ويكسب زيد الحافزين الموعودين (٣×٢=٦ريالات)، هل ينتهي التسويق الشبكي هكذا؟ لا، إذ يقوم خالد بإقناع ثلاثة من زملائه بشراء المنتج والتسويق له، فيحصل هو على ثلاثة حوافز(٣×٣=٩ ريالات)، وعلى نفس المبلغ (٩ريالات) يحصل زيد، وهو المشتري والمسوق الأول.

فلو فرضنا أن هؤلاء الثلاثة أقنع كل واحد منهم ثلاثة آخرين بالشراء فسيحصل كل واحد من الثلاثة على ثلاثة حوافز (٣×٣=٩ ريالات)، وبالتالي سيكون نصيب خالد تسعة حوافز (٩×٣=٢٧ ريالات)، وسينال زيد المتربع على رأس الشبكة المبلغ ذاته (٢٧ ريالاً)، وهكذا دواليك، تتضخم الشبكة على هيئة شجرة متفرعة الأغصان، أو هرم يتسع كلما اتجه إلى قاعدته، في سلاسل لا متناهية من المشترين المسوقين، وهذا رسم توضيحي لبيان طبيعة هذا التسويق أكثر:

ومن العجيب أن يصبح التسويق في هذا الأسلوب هدفًا ومقصودًا للمنتجين والعملاء، بدلاً من أن يكون وسيلة لبيع المنتجات، وبهذا أصبح التسويق مخدومًا بعد أن كان خادمًا.

وهذا النوع من التسويق له أسماء ومرادفات كثيرة، فقد يسمى التسويق المتعدد المستويات، أو التسويق لقاء عمولات احتمالية، أو التسويق الطبقي، أو التسويق الهرمي، أو نظام التسلسل الهرمي، وغير ذلك(٢)، وله شركات متعددة لكن مضمون عملها متقارب إن لم يكن واحدًا، منها «بزناس» و«جولد كويست»، و«برايم بنك»... وغيرها.

ومن الخصائص المشتركة لشركات التسويق الشبكي:

١- شراء المنتج- ولو مرة واحدة- شرط للحصول على العمولات، والمضي قُدمًا في عملية التسويق: «اشتر لتسوق، فقد تكسب».

٢- توظيف غير محدود للمسوقين من المشاركين في سلسلة لا نهاية لها.

٣- كلما كنت أسبق في الاشتراك كنت أكثر حظًا، وأعظم أجرًا، والعكس صحيح، جاء في إعلان لإحدى هذه الشركات: «سوف تخسر كثيرًا إذا تأخر انضمامك إلينا يومًا واحدًا، كلما انتظرت أكثر.. كلما خسرت أكثر.. ابدأ الآن».

٤- تضع جميع الشركات خطًا أحمر لكبح تضخم عمولات رؤساء الهرم، يختلف من شركة لأخرى، حتى لا تلتهم العمولات جميع أموال الشركة.

٥- لا يمكن الدخول في عملية التسويق الشبكي إلا عن طريق مسوق قبلك، فلو ذهبت راغبًا في الاشتراك سيطلب منك الموظف رقم المسوق الذي أتى بك، حتى تدخل تحت شبكته، وإلا سيتبرع- مسرورًا- بإدخالك في شباك من يحب.

٦- لا تهتم بالمنتجات بقدر اهتمامها بتوظيف المسوقين والاشتراك في النظام الشبكي.

باحث في المركز العالمي للوسطية - الكويت

٧- الغالبية الساحقة من المنتجات تستهلك من قبل المسوقين لا المستهلكين، فالمسوق هو المستهلك، بخلاف التسويق التقليدي الذي يمثل فيه المستهلك الطرف الأخير في العملية التسويقية، يقول بعض الخبراء: «إن هذه الصناعة برمتها قد تم بناؤها بالكامل تقريبًا على الاستهلاك الشخصي للمنتجات عن طريق الموزعين»(٣).

الحكم الشرعي للتسويق الشبكي

اختلف العلماء المعاصرون في حكم هذا النوع من التسوق أو التسويق، فذهب فريق إلى تحريمه، وذهب فريق آخر إلى تجويزه، وفيما يلي عرض رأييهما مع أدلة كل رأي:

قول المحرمين وأدلتهم

وممن حرم هذه المعاملة هيئات علمية ومجامع فقهية مثل اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، ومجمع الفقه الإسلامي بالسودان، ولجنة الفتوى بجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر، ودار الإفتاء بحلب، ومركز الفتوى بالشبكة الإسلامية القطرية.

كما كتب فيها جماعة من المختصين في الاقتصاد الإسلامي وفقه المعاملات المالية المعاصرة، منهم د. سامي السويلم- وهو أول من حرر فيها القول- ود.إبراهيم الضرير، ود.علي السالوس، ود.رفيق يونس المصري، ود.حسين شحاتة، ود.علي محي الدين القره داغي، ود.يوسف بن عبدالله الشبيلي، ود.عبدالله الركبان، ود.محمد العصيمي، والشيخ محمد المنجد، ود.عمر المقبل، ود.حسين الشهراني، ود.بندر الذيابي، ود.سلمان العودة، ود.عبدالمحسن العبيكان، ود.عبدالمحسن الزامل،

بعض العلماء المعاصرين أجازوا التسوق الشبكي إلّا أن فريقًا منهم ذهب إلى تحريمه

ود.عبدالحي يوسف، ود.أحمد السهلي، ود.عبدالرحمن الأطرم، ود.عبدالمحسن جودة، ود.سعد الخثلان، والشيخ علي حسن الحلبي، ود.عبدالله سمك، ود.أحمد الحجي الكردي، ود.رياض محمد المسيميري، ود.رجب أبومليح، والشيخ محمد الحمود النجدي، ود.خالد المشيقح(٤)، واستندوا في رأيهم إلى عدد من الأدلة، هي:

أولًا: أنها تضمنت الربا بنوعيه:

ربا الفضل وربا النسيئة، فالمشترك يدفع مبلغًا قليلًا من المال ليحصل على مبلغ كبير منه، فهي نقود بنقود مع التفاضل والتأخير، وهذا هو الربا المحرَّم بالنص والإجماع، والمنتج الذي تبيعه الشركة للعميل ما هو إلا ستار للمبادلة، فهو غير مقصود للمشترك، فلا تأثير له في الحكم.

ثانيًا: أنها من الغرر المحرَّم شرعًا،

لأن المشترك لا يدري هل ينجح في تحصيل العدد المطلوب من المشتركين أم لا؟ والتسويق الشبكي أو الهرمي مهما استمر فإنه لابد أن يصل إلى نهاية يتوقف عندها، ولا يدري المشترك حين انضمامه إلى الهرم هل سيكون في الطبقات العليا منه فيكون رابحًا، أو في الطبقات الدنيا فيكون خاسرًا؟ والواقع أن معظم أعضاء الهرم خاسرون إلا القلة القليلة في أعلاه، فالغالب إذن هو الخسارة، وهذه حقيقة الغرر، وهي التردد بين أمرين أغلبهما أخوفهما، وقد نهى النبي ﷺ عن الغرر، كما رواه مسلم في صحيحه.

ثالثًا: ما اشتملت عليه هذه المعاملة من أكل الشركات لأموال الناس بالباطل، حيث لا يستفيد من هذا العقد إلا الشركة ومن ترغب إعطاءه من المشتركين بقصد خداع الآخرين، وهذا الذي جاء النص بتحريمه في قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾، (النساء: ٢٩).

رابعًا: ما في هذه المعاملة من الغش والتدليس والتلبيس على الناس، من جهة إغرائهم بالعمولات الكبيرة التي لا تتحقق غالبًا، وهذا من الغش المحرَّم شرعًا، وقد قال ﷺ «من غش فليس مني»، (رواه مسلم في صحيحه)، وقال أيضًا: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبيَّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما»، (متفق عليه).

خامسًا: أن الاشتراك في «بزناس» وما يشابهها من شركات التسويق الشبكي لا يجوز شرعًا لكونه قمارًا، فإنّ المنتج في شركات التسويق الشبكي ليس مقصودًا للمسوقين، إنما المقصود الأول والدافع المباشر هو الدخل الذي يحصل عليه المشترك من خلال هذا النظام، ولما كانت الأحكام تُبنى على المقاصد والمعاني لا على الألفاظ والمباني، فإنّ المنتج يسقط عند التكييف الفقهي لشركات التسويق الشبكي، ويصبح الأمر من الوجهة الفقهية لا يعدو كونه تجميع اشتراكات من أفراد تديرهم الشركة، ويدفع فيه الأشخاص الذين هم في أسفل الشبكة حوافز من سبقهم في

أعلاها، بالإضافة إلى عمولة الشركة، فالتسويق الشبكي في حقيقته يتكون من حلقات مقامرة.

سادسًا: القول إن هذا التعامل من السمسرة غير صحيح، إذ السمسرة عقد يحصل السمسار بموجبه على أجر لقاء بيع السلعة، أما التسويق الشبكي فإن المشترك هو الذي يدفع الأجر لتسويق المنتج، كما أن السمسرة مقصودها السلعة حقيقة، بخلاف التسويق الشبكي فإن المقصود الحقيقي منه هو تسويق العملات وليس المنتج، ولهذا فإن المشترك يُسوّق لمن يُسوِّق، هكذا بخلاف السمسرة التي يُسوق فيها السمسار لمن يريد السلعة حقيقة، فالفرق بين الأمرين ظاهر.

سابعًا: القول إن العمولات من باب الهبة ليس بصحيح، ولو سلم فليس كل هبة جائزة شرعًا، فالهبة على القرض ربا، ولذلك قال عبدالله بن سلام لأبي بردة، رضي الله عنه: «إنك في أرض الربا فيها فاش، فإذا كان لك على رجل حقٌّ فأهدى إليك حمل تبن أو حمل شعير أو حمل قت فإنه ربا»، (رواه البخاري)، والهبة تأخذ حكم السبب الذي وجدت لأجله، ولذلك قال ﷺ: «أفلا جلست في بيت أبيك وأمك فتنظر أيهدى إليك أم لا؟» (متفق عليه)، وهذه العمولات إنما وجدت لأجل الاشتراك في التسويق الشبكي، فمهما أعطيت من الأسماء، سواء هدية أو هبة أو غير ذلك، فلا يغيِّر ذلك من حقيقتها وحكمها شيئًا(٥).

يتضح من أدلة هذا الفريق أنه نظر إلى مجموع عمليتي التسويق الشبكي (الشراء والتسويق) باعتبارهما صناعة تجارية متكاملة، مع مراعاة

الأصل في المعاملات المالية هو الحِل وقررت ذلك قواعد الشريعة

للأصول العامة التي جاء بها الشرع في أبواب المعاملات، مثل النظر إلى الحقائق والمآلات، والمقاصد والنيات، وسد باب الحيل والذرائع المفضية إلى الحرام.

قول المجيزين وأدلتهم ومناقشتها

وذهب بعض أهل العلم المعاصرين إلى جواز التسويق الشبكي، ومن هؤلاء أمانة الفتوى بدار الإفتاء المصرية (٦)، والدكتور صالح السدلان، والشيخ أحمد الحداد، والشيخ محمد العمراني، والشيخ عبدالرحمن الهرفي، والشيخ إبراهيم الكلثم (٧).

واستدلوا لرأيهم بعدد من الأدلة هي:

أولا: الأصل في المعاملات المالية الحل، كما هو مقرر في قواعد الشريعة، قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ (البقرة: ٢٧٥)، ولا يعدو التسويق الشبكي أن يكون نوعًا من البيوع الجديدة التي لم يأتِ نصٌّ من كتاب ولا سنة بالمنع منها، فتُرد إلى أصلها من الإباحة.

ونوقش هذا الدليل بأنه قد دخل على هذه المعاملة جملة من الأمور التي يكفي بعضها للنقل عن أصل الإباحة إلى التحريم، ومن ذلك القمار والغرر وأكل المال بالباطل، فكيف بها مجتمعة؟

ثانيًا: أنه من قبيل السمسرة المشروعة، فالشركة تعطي هذه العمولات مقابل الدلالة على منتجاتها وشرائها، شأنها شأن أصحاب العقار الذين يخصصون جزءًا من مبلغ الأرض المبيعة للوسيط الذي قام بدلالة المشتري عليها.

ونوقش هذا الدليل بوجود فروق مؤثرة بين السمسرة وعمولات التسويق الشبكي، يمتنع معها الإلحاق والقياس، فالسمسرة لا يشترط فيها شراء السمسار لأي شيء، وعملات التسويق الشبكي يشترط فيها شراء المسوق لمنتج الشركة، والسمسرة يستحق السمسار نصيبه على كل معاملة، أما في التسويق الشبكي فلا يستحق المسوق العمولة إلا بشروط، والسمسرة تكون السلعة فيها مقصود المشتري لذاتها أما التسويق الشبكي فالعمولة فيه مقصود المشتري.

ثالثًا: أن الثمن الذي يدفعه المشتري في الظاهر هو مقابل السلعة، والعمولة التي يأخذها في مقابل جهد المسوق وسعيه، فما دامت السلعة قد توسطت فلا قمار ولا ربا.

ونوقش هذا الدليل بأن السلعة هنا غير مقصودة، فوجودها غير مؤثر، والغرض الحقيقي من هذه المعاملة هو العمولات، والسلعة جاءت غطاء لإضفاء المشروعية، وهذا ضرب من التحايل المحرم الذي جاءت نصوص الشريعة بسد بابه والتحذير من أربابه.

رابعًا: أن العمولات في التسويق الشبكي من باب الجعالة الجائزة في الإسلام، والتي يستحقها المشترك عند إتيانه بعملاء جدد للشركة.

ونوقش هذا الدليل بوجود اختلاف حقيقي بينهما من وجهين، أحدهما أن الجعالة لا يشترط فيها الشراء، بخلاف التسويق الشبكي، والآخر أن

جمهور الفقهاء أوجبوا حقًّا للعامل في الجعالة إن انتفع بجزء عمله صاحب الجعالة، فإنه يشترط في الجعالة عدم استفادة الجاعل من جزء عمل العامل، وقد تقدم إمكانية حرمان المشترك من عمولات من سوق لهم إذا لم يحقق الشرط المطلوب.

خامسًا: أنها من باب عقد الوكالة الجائزة بأجرة، فبعد إتمام عملية بيع وشراء المنتج، تقوم الشركة بإبرام عقد وكالة لتوزيع المنتجات أو تفويضها شفويًّا بذلك، يحصل بموجبه الموزع على عمولات مقابل جهده في التسويق.

ونوقش هذا الدليل بامتناع التخريج على الوكالة لما بين المعاملتين من فروق، أظهرها أن الوكيل في عقد الوكالة لا يدفع ليصبح وكيلًا، بل يأخذ الأجرة المتفق عليها بشرطها، بينما في التسويق الشبكي يدفع الوكيل أجرة ليدخل في شبكة التسويق، وهذا يجعل التخريج على الوكالة غير مستقيم(٨).

ومن أدلة هذا الفريق يتضح أن النظر فيها كان إلى ظاهر المعاملة دون ربط بين ركنيها، الشراء والتسويق، وذلك بفصل عملية الشراء عن التسويق، واعتبار كل منهما معاملة مستقلة، مع إلغاء لأثر مقاصد المشترين ونياتهم، ما دام أن كلا العقدين قد استوفى شروط الصحة الظاهرة.

وهو الأمر الذي يذكرنا بالخلاف في زواج المصلحة المبني على النظر إلى العقود، فهناك من أخذ بظاهر العقد ما دام تحققت شروطه وانتفت موانعه دون النظر إلى مآلات العقد أو طبيعته وتحقق مقصوده ومعانيه، وهناك من اعتبر المقاصد والمعاني حتى لو تحققت الشروط وانتفت

العقود تبنى على المقاصد والمعاني لا على الألفاظ والمباني

الموانع ما دام الغرض أو القصد ظاهرًا وواضحًا.

مقصد هذا البيع وأثره في الاستدلال

من خلال عرض أدلة الفريقين يتضح لكل ذي نظر دور مقصد هذا العقد في الاستدلال على منعه أو إباحته، ولا شك فيما ذهب إليه الفريق الثاني من أن الأصل في العقود الإباحة، وهذا عقد جديد لم يأت نص بتحريمه فيبقى على أصل الحل، ولكن ما دخل عليه من مخالفات تقضي عليه بأنه ربا، وبأن فيه غررًا، وغشًّا، وتحايلًا، وغير ذلك مما يضعه في قلب البيوع المحرمة.

ولقد كان مقصد العقد وطبيعته هو مناط الدليل بتحريم هذا النوع من التسوق، إذ المنتج في شركات التسويق الشبكي ليس مقصودًا للمسوقين، إنما المقصود الأول والدافع المباشر هو الدخل الذي يحصل عليه المشترك من خلال هذا النظام، كما استندوا إلى أن العقود تُبنى على المقاصد والمعاني لا على الألفاظ والمباني، وأن التسويق في هذا الأسلوب انقلب إلى غاية للمنتجين والعملاء، بدل أن يكون وسيلة لبيع المنتجات، وبهذا أصبح التسويق مخدومًا بعد أن كان خادمًا، وأن السمسرة مقصودها السلعة حقيقة، بخلاف التسويق الشبكي فإن المقصود الحقيقي منه هو تسويق العملات وليس المنتج.

وبهذا يتبين أن مقصد هذا البيع أو العقد كان هو المرجع في الاستناد والاستدلال لتحريمه، كما كان المقصد منه هو المستند أو الدليل للرد على من ألحقه بأنواع أخرى من المعاملة مثل السمسرة والجعالة والهبة والهدية والوكالة وغيرها.

الهوامش

١- التسويق الشبكي تحت المجهر: ٦. زاهر سالم بلفقيه. بحث منشور على شبكة صيد الفوائد، وراجع: التسويق الشبكي: تكييفه وأحكامه الفقهية: ١٤-١٥. بندر الذياني. بحث تكميلي للماجستير من معهد القضاء العالي للقضاء. إشراف الدكتور يوسف الشبيلي، والتسويق التجاري وأحكامه: ٥٢٢. حسين الشهراني. وهو جزء من رسالة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. إشراف: د.عبد الرحمن الأطرم، ود.عبد المحسن جودة، والمرجعان الأخيران غير منشورَيْن.

٢- رجع التسويق الشبكي لسالم بلفقيه: ٥-٨.

٣ - التسويق الشبكي تحت المجهر لبلفقيه: ١٠.

٤- راجع ملحقا بأسماء المحرمين في المرجع السابق، بحث زاهر سالم بلفقيه: ٢٠-٢١.

٥- راجع فتاوى اللجنة الدائمة: فتوى رقم (٢٢٩٣٥) بتاريخ ١٤-٣-١٤٢٥هـ، وفتاوى الشبكة الإسلامية: رقم الفتوى: ١٩٣٥٩، بتاريخ الأربعاء ١٩ ذو الحجة ١٤٢٤ / ١١-٢-٢٠٠٤م، وفتوى مجمع الفقه الإسلامي بالسودان بتاريخ: ١٤٢٤/٤/٢٥هـ، وفتوى أخرى بتاريخ ١٤٢٩/١/٢٨هـ.

٦- في الفتوى الصادرة حول شركة شينل بتاريخ: ٢٠٠٧/٢٧٣م، بإمضاء: أحمد ممدوح سعد، عمادالدين أحمد.

٧- راجع ملحقًا بأسماء المجيزين في بحث زاهر سالم بلفقيه: ٢١.

٨- انظر: المرجعين السابقين، والتسويق الشبكي لبلفقيه: ١٦-١٨، وتعقيب الشيخ إبراهيم الكلثم على فتوى د. السويلم في موقع الإسلام اليوم، والتسويق الشبكي للذيابي: ٣٠-٥٠.

دورة «العربية وطرائق اكتسابها»

التحرير

صورة جماعية للمشاركين في الدورة

جانب من الحضور

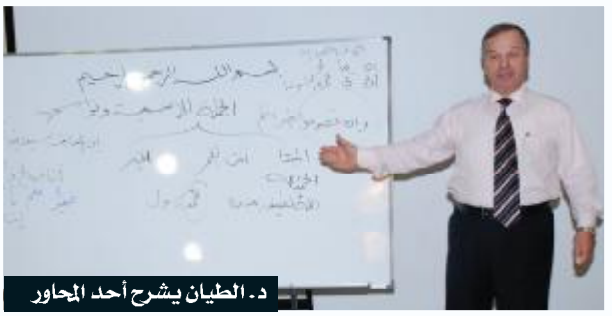
د. الطيان يشرح أحد المحاور

عقدت مجلة «الوعي الإسلامي» دورة تدريبية في اكتساب مهارات اللغة العربية في العمل الوظيفي تحت عنوان «العربية وطرائق اكتسابها» للدكتور محمد حسان الطيان منسق مقررات اللغة العربية في الجامعة العربية المفتوحة، وذلك في مسرح المسجد الكبير بحضور جميع موظفي المجلة.

وتأتي الدورة في إطار خطة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الاستراتيجية القائمة على التدريب باعتبار أن العنصر البشري أساس الرقي والتقدم في مختلف ميادين العمل، وأن حضارة الأمم مرتبطة دائمًا بالإنسان وإمكاناته.

وتعتبر الدورة إضافة حقيقية لموظفي المجلة لما تحققه من اكتساب مهارات جديدة في فنون اللغة العربية، بالإضافة إلى تنمية القدرات اللغوية للموظفين، وبناء قاعدة علمية في اللغة، إلى جانب تطوير دورة الإنتاج الوظيفية المعمول بها في المجلة، مع الأخذ في الاعتبار كيفية استثمار المهارات والقدرات في العمل الوظيفي.

وتناولت الدورة محاور عدة في أهمية العربية ومنزلتها، وكيفية اكتساب العربية، وتعلم النحو الوظيفي والبلاغة، ومبادئ القراءة الصحيحة، ومزاولة الفصاحة قراءة وكتابة وكلامًا، ومهارات الكتابة بالعربية وشروطها، وأثر وسائل الإعلام في اكتساب هذه الملكة.

هذا إلى جانب مناقشة بعض المقالات في النحو والبلاغة واللغة والإعلام، وسبل الارتقاء بلغة الإعلام، وسمات اللغة في الإعلام العلمي، والنظر في روائع البيان النبوي، وفرائد الأبيات والشواهد واللطائف والطرائف.

وتعد هذه الدورة باكورة دورات المجلة التدريبية في مجالاتها الفنية، وذلك في سياق حرص إدارة التحرير على تطوير آلية العمل، وتحسين مخرجات المجلة بما يتوافق مع متطلبات المجتمع.

لغة وأدب

الأصالة والحداثة

مازالت قضية الأصالة والحداثة تشغل الأذهان، وتملأ الساحة الأدبية العربية بالضجيج والعنف، ومازال الصراع بينهما قائمًا، ومازالت الهوة عميقة بينهما أيضًا، ومازالت الكتب والإصدارات تتوالى وتملأ المكتبات في كلا الاتجاهين، ولما يتبلور الموقف الإيجابي المتخفي عنهما.

ورغم أننا نقدر جهود أصحاب الأصالة والمحافظة على التراث الديني والفكري والأدبي واللغوي ونقدر فيهم حماسهم وغيرتهم الدينية والعربية، إلّا أننا في الوقت نفسه نرى في كتاباتهم وأحاديثم هجومًا عنيفًا، ينسف كل أعمال الأدباء العرب المحدثين، ويلصق بهم الشبهة والريبة جميعًا، والدافع الديني النظيف الملتزم لا يبرر مثل ذلك الهجوم، ولا يخدم الأدب والفكر بشيء، وإنما الاتزان والموضوعية والبحث عن البديل هو المجدي في مثل هذه الحالات.

لذلك كانت دعوتنا إلى أدب قرآني جديد، وترسيخ هذا الأدب في الأذهان، ودراسة أبعاده ومزاياه وسماته وتشجيعه.. وهذا خير عمل يمكن أن يقدمه أصحاب الأصالة والغيرة الدينية والعربية، بدل إعلان الحرب، والانشغال بتعميق الهوة بين الموقفين المتخاصمين، ولن يثبت إلا الأصيل الأصيل.

التحرير

أصالة الإعراب في بيان المعنى

أنس بن محمد عزت أغا

كثُرت في عصرنا الدعوةُ إلى العامّية، بحُجج واهية لا تقوم لها قائمة، منها أن الإعراب فُرِضَ على العربية فرضًا، ولا أثر له في المعنى. وكان وراءَ هذه الدعوات أيد غربيّة مُعادية بعد أن جنّدَت جنودًا لها من أبناء جلدتنا، غذتهم بلبانها، فعادوا إلينا مَزهُوين بما حُشي في دماغهم مُدّعين أنّهم سيجددون العربية ويعيدون لها مجدها(١)، فهَبّ أصحابُ الغيرة من علمائنا - حفظهم الله جميعًا - للذود عن هذه اللغة الشريفة التي هي لغة كتاب الله - سبحانه - فردوا كثيرًا من هذه الشبهات، ولا يزالون.

من بين من تصدوا للذود عن اللغة العربية الدكتور محمد حسن جبل، إذ بيّن في كتابه النافع «دفاع عن القرآن الكريم: أصالة الإعراب ودلالته على المعاني في القرآن الكريم واللغة العربية» أنّ الإعراب أصل أصيل في لغتنا، وليس دخيلًا كما يذكر المستشرقون وخُدّامهم، وأنّ القرآن الكريم نزل مُعْرَبًا، وليس الإعراب دخيلًا عليه، وقد عرض لتيك الشُّبهات شبهةً شبهةً، ثم جعلها تتهاوى واحدة تلو الأخرى، ثم من الكتاب أتى بشواهد تطبيقيّة لأصالة الإعراب في القرآن الكريم، وفي الباب الرابع أتى بأمثلة عملية لدَلالة الإعراب على المعاني واختلافها باختلاف الحركة الإعرابية(٢). وهأنذا أثبت أهم هذه الأمثلة متصرفًا فيها بعض الشيء لغرض البيان والتوضيح، وهي:

١-في أسلوب المفعول معه: «ما زال خالدٌ وزيدًا حتى كَتَب الرِّسالة». ضَبْطُ «زيدًا» بالنصب يعني أنّ خالدًا استمر في دفع زيد إلى الكتابة حتى كتب، وضَبْطُه بالرّفع يُوهم أن الاستمرار منهما معًا، ويحوج إلى تصحيح العبارة.

٢-أسلوبُ ظروف الزمان والمكان، نحو: «سَحَرَ، وبُكْرَةَ، وغُدْوَةً». فمثل هذه تُضبَط بالنصب من غير تنوين إذا أُريد بها سحرُ يومك الذي أنت فيه وبالتنوين إذا أُريد سحرُ يوم غير معين.

٣-في أسلوبِ الحال مثل: «تكلّمَ مرشدًا»، إذا ضبطتَ «مرشدًا» بالنصب كانت حالًا، وإنْ ضَبَطتَها بالرفع صار المعنى: أنّ شخصًا اسمُه مرشدٌ قد تكلم.

الدعوة إلى نبذ الإعراب دعوة خبيثة تهدف إلى قطع الصلة بيننا وبين القرآن الكريم

ومثله: «زيدٌ كاتبًا أفضلُ منه شاعرًا»، فالكلام على «زيد» في حالتين من حالاته، وهو في الكتابة أفضل منه في الشعر، فإذا تغير الإعراب فصار «زيد كاتبٌ أفضلُ منه شاعرٌ»، كان الكلام على شخصين زيدٍ الكاتب، والشاعر الذي هو أفضل منه.

٤-أسلوب التمييز في مثل: «فاطمةُ أكرمُ أُمًّا، وأشرفُ زوجًا»، المدح موجّه إلى زوج فاطمة وأمِّها، فإذا جررْتَ، بأن قلت: «فاطمة أكرمِ أمٍّ وأشرفِ زوج»، صار المدح منصبًّا على فاطمةَ نفسِها باعتدادها الأشرفَ والأكرم.

وكذلك قولك: «كم كتابًا عندك»؟ إذا نصبت «كتابًا» كان الكلام استفهامًا، وإن جررْتَ، بأن قلت: «كم كتابٍ عندك»! صار الكلام إخبارًا بكثرة ما عندك من الكتب.

وكذلك قولك: «عندي حُبٌّ عسلًا». فالنصب يعني أنّ عندك من العسل ما يملأ الحُّب الذي هو وعاءُ العسل، فإذا أضفتَ، بأن قلت: «عندي حبُّ عسلٍ»، صار المعنى أنّ عندك وعاءَه، وليس هناك ما يقطع بوجود عسل أو عدمه.

٥-أسلوب الاستثناء في نحو: «ينجح المستذكرون غيرُ المرهَقين»، رفع «غير» يعني أن المستذكرين الذين ليسوا مرهقين ينجحون، ونصبُها يجعل المعنى أن المستذكرين سينجحون إلا المرهقين منهم، ففي رفع «غير» لم يقطع على المرهقين بشيء، إذ قال إن غير المرهقين ينجحون ولم يشر إلى المرهقين، وفي نصبها حُكْمٌ جازم إن المرهقين لا ينجحون.

٦-أسلوب التعجب في مثل: «ما أحسن الشباب يا رجالُ»، ضبط «الشباب» بالرفع يجعل الكلام نفيًا لإحسان الشباب، أو استفهامًا عن الشيء الذي أحسنه الشباب، ورفع أحسن وجر الشباب يجعل المعنى استفهامًا عن الشيء الحسن في الشباب: أهو القوة أم العلم؟ وفتح الاثنين معًا يجعل الكلام تعجبًا من حسن الشباب.

٧-أسلوب النداء في نحو: «يا رجل، تحمّلْ مسؤوليتك»، بضم «رجل» يكون الكلام موجّهًا للمخاطَب خاصة، فإذا قيل بالنصب كان عامًّا موجّهًا إلى كل من يصدق عليه أنّه رجل.

٨- أسلوب التحذير والإغراء في نحو:

باحث سوري

«الأسدَ والنمرَ»، النصب يعني التحذير، والرفع يعني الإخبار مع تقدير كلام، وكذلك: «الجدّ الجدّ». النصب يعني الإغراءَ، والرفع يتيح الإخبار كقوله:

● أنا أبو النّجم، وشعري شعري.

٩- أسلوبُ الاختصاص في نحو: «نحن-المصريين- مرابطون للذّود عن الإسلام»، النصب يعني اختصاص المصريين بالمرابطة، والرفع يُضيعُ معنى الاختصاص.

١٠-في قولك: «زيدٌ متطبب ماهر» رفع «متطبب» يعني وصفَه بالمهارة من حيث هو طبيب، دون نفي مهارته في مجالات أخرى، وضبطه بالنصب يعني أن انصباب المهارة عليه مقيد بهذه الصفة، وكأنه في غيرها ليس كذلك، أي إن مهارته إنما تكون في الطب لا غير.

١١- «بكم ثوبُك مصبوغ»؟ في رفع «مصبوغ» ينصَبُّ على صبغ الثوب، وفي حالة نصبه يصير التساؤل عن ثمن الثوب نفسه وهو مصبوغ.

١٢- «أناقص المال»؟ ضبط «المال» بالنّصب موجّه إلى المخاطَب: هل سيَنْقُص هو المالَ؟ وفي حال الرفع يكون التساؤل عن نقص المال: أهو واقع أم لا؟ لأن الفعل هنا يستعمل لازمًا ومتعديًا.

١٣- «أنت مضيع ود أخيك»، تنوين «مضيع» ونصب «ودّ» يعني أن ذلك سيحدث مستقبلًا، وجر «ود» بالإضافة، مع عدم تنوين «مضيع»، يعني أن ذلك قد وقع من قبل.

١٤- «ارم خالد»، بناء «خالد» على الضم يجعله منادى مأمورًا بالرمي، وضبطه بالنصب يجعله مفعولًا به، فيكون راميًا في الجملة الأولى مَرميًّا في الثانية.

١٥- «هذا الضاربُ الظالم»، نصب

«الظالم» يفيد أن الضرب واقع عليه، وأن المشار إليه هو الذي ضرب الظالم، ورفع الظالم يعني أنك تخبر عن المشار إليه بأنه ضارب ظالم.

١٦-أسلوب واو المعية، في نحو: «لا تظلم الناس وتنصحهم بأن يصبروا»، بنصب المضارع «تنصح» ينصَبُّ النهي على الجمع بين إيقاع الظلم والنصح بالصبر، وبجزمه تنهى العبارة عن الأمرين ولو غيرَ مجموعين، وبرفع «تنصح» النهي عن الظلم وحده و النصح بالصبر مُتَاح.

١٧-أسلوب فاء السببية، في نحو: «وددت لو تزورني فأكرمك». نصب «أكرم» يعني أن الإكرام مُسَبّب عن الزيارة مُعَلّق عليها، ورفعه يعني أنه يكرمه دائمًا دون تعليق على الزيارة، لكنه بوده أن يزوره.

١٨-أسلوب «أو» الغائية، في نحو: «سأشكو أو أحصل على حقي»، ضبط الفعل «أحصل» بالنصب يعني استمراره بالشكوى إلا أن أو إلى أن يحصل على حقه، فهناك إصرار على الحصول على الحق، وعلى الاستمرار في الشكوى حتى يحصل عليه، في حين أن ضبط الفعل بالرفع يجعل المعنى وقوع أحد الاحتمالين دون ربط وترتيب.

١٩-أسلوب «حتى»، في مثل: «جاهدت في صباي حتى أستريح في شيخوختي» رفع أستريح يكون عندما يقال هذا القول في سن الشيخوخة، فقائله يحكي عن حال حاضرة، وأنه مستريح الآن بسبب جهاده الماضي، والنصب يدل على أن الاستراحة غاية لطلب الوصول إليها مستقبلًا.

٢٠-وفي مثل عبارة «سيروا لا يلتفت منكم أحد»، إذا رفعنا «يلتفت» كانت «لا» نافية والجملة حالية، أي سيروا غير ملتفتين، وإذا جزم تكون «لا» ناهية، والمعنى، طلب السير وطلب عدم الالتفات دون ربط بينهما.

٢١-في أسلوب العطف، نحو «فلانٌ متهمٌ بقتل السائق وابنه»، رفع «ابنه» يعني أن الابن متهم أيضًا، وجر لفظ «ابنه» يعني أن الابن مقتول أيضًا.

٢٢-«كانت الشمس طالعة والمطر منهمرًا»، بنصب «منهمرًا» تكون الجملة إخبارًا عن الأمرين، طلوع الشمس وانهمار المطر، دون ربط بينهما فيحصل التزامن وعدمه، وبرفعها تكون تعبيرًا عن التزامن، أي إن الشمس طلعت في حالة انهمار المطر.

ولعل من تأمل هذه الأمثلة-وهي غيض من فيض- أيقن أن الإعراب أصل أصيل في لغتنا، وأن الدعوة إلى نبذ الإعراب واعتماد العامية دعوة خبيثة هدفها الأول والأخير قطع الصلة بيننا وبين القرآن الكريم، حتى يعود أشبه بتراتيل نرددها ولا نعي منها شيئًا، ﴿وَيَمكرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال٣٠).

الهوامش

(١) للدكتورة نفوسة زكريا سعيد كتاب قيم في هذا المجال، عنوانه: «تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر»، فانظره فإنه مهم.

(٢) انظر كتابه المشار إليه ص ١٥٠ وما بعدها، ط البربري للطباعة الحديثة، مصر.

دراسة بلاغية نقدية

«يا أبت» وحقيقة حرف التاء

د.رفيق حسن الحليمي

قد يغيب عمن يتدبرون النص القرآني وينظرون في رسم المصحف الشريف، وتحديداً في قوله تعالى على لسان المتكلم: «يا أبت» حقيقة حرف «التاء»، ولماذا ألحقت بالمنادى «أب»، وحذفت منه ياء المتكلم «يا أبي» فأصبحت «يا أبتِ» بكسر التاء، ولماذا جلبت التاء في صيغة النداء هذه؟

في القرآن ثماني آيات، نادى فيها الابن أباه وجاء رسمها على هذا النحو: «يا أبتِ»، أربع منها على لسان إبراهيم عليه السلام:

﴿إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر﴾ (مريم: ٤٢).

﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني﴾ (مريم: ٤٣).

﴿يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيًا﴾ (مريم: ٤٤).

﴿يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن﴾ (مريم: ٤٥).

وواحدة على لسان إسماعيل: ﴿قال يا أبت افعل ما تؤمر﴾ (الصافات: ١٠٢).

واثنتان على لسان يوسف: ﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾ (يوسف: ٤)، وقوله: ﴿يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل﴾ (يوسف: ١٠٠).

والثامنة على لسان ابنة شعيب: ﴿قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ (القصص: ٢٦).

ففي هذه الآيات لازم حرف التاء المنادى! فما السر في ذلك؟

للنحاة والمفسرين أقوال متوافقة حول هذه الصيغة، وهي أن التاء جاءت عوضًا عن ياء المتكلم المحذوفة «يا أبي»، فلا يقال: «يا أبتي» بإثبات الياء، قالوا: لئلا يجمع بين العوض (التاء) والمعوض (الياء) (١)، بمعنى: إما أن تزاد التاء وتحذف الياء، وإما أن تزاد الياء وتحذف التاء، فلا يجمع بين زائدتين، لذلك بقيت التاء - في هذا النداء- وحذفت الياء، إذ لا يجوز إثباتها (٢)، وقالوا وحركت التاء بالكسرة للدلالة على الياء المحذوفة، كما تحذف الياء في نداء «يا غلام» بدلا من «يا غلامي»، ومن المعلوم أن أكثر القراء على هذه القراءة «يا أبتِ» باستثناء مقرئ بلاد الشام عبدالله بن عامر اليحصبي (ت ١١٨ هـ)، فقد قرأ «يا أبتَ» بفتح التاء (٣)، وقالوا: «ومن قرأ «يا أبتَ»، قد حذف الألف «يا أبتا»، واستبقى الفتحة «يا أبتَ»، للدلالة على الألف المحذوفة، وأجازوا نداء الأم على شاكلة نداء الأب، فقالوا: «يا أمتَ» بفتح التاء وكسرها (٤)، ولم يجيزوا صيغة هذا النداء في غير الأب والأم، بمعنى أن هذا اللون من النداء محصور في نداء الأب والأم، ولم يرد في القرآن سوى نداء الأب «يا أبتِ» بكسر التاء في قراءة الجمهور، وبفتح التاء في قراءة ابن عامر اليحصبي مقرئ الشام.

زيادة حرف التاء في نداء الابن لأبيه (يا أبتِ) وتصغير: ابن (يا بني) في نداء الأب لابنه

والسؤال: لماذا جلبت التاء وحذفت ياء المتكلم في هذا النداء، مع أن ياء المتكلم هي الأصل في نداء الواحد لأبيه، إذ نقول «يا أبي» كما نقول «يا أخي - يا جاري- يا عمي...»، لكن النص القرآني عدل عن هذه الصيغة- وهي المستخدمة في النداء- إلى صيغة جديدة، وهي «يا أبت» فأتى بالتاء - وهي حرف طارئ- عوضًا عن الياء المحذوفة، فما السر في ذلك، وما الفرق - إن وجد- بين قولنا «يا أبي» و«يا أبت»، وهل هناك ملمح بلاغي ودلالة بيانية ومعنى إضافي تحمله لنا هذه الصيغة في هذا النداء؟

إن جوابي: بالإثبات وبنعم، فهناك فرق بين «يا أبت» وبين «يا أبي» فرق في دلالة الخطاب، وفي الحالة الشعورية والنفسية للمتكلم، يكشف عنها سياق الآيات، فإذا تدبرنا هذه الآيات فسوف نجد أن السياق يستدعي موقفًا شعوريًا وإحساسًا عاطفيًا وتحببًا وإشفاقًا من الابن على أبيه، لا تمثله صيغة «يا أبي» التي تستخدم في النداء العادي، ولمختلف الناس ممن نناديهم بمقدار ما تمثله صيغة «يا أبتِ»، فإبراهيم عليه السلام يبدي خوفًا وإشفاقًا على أبيه من أن يمسه عذاب من الرحمن، ومن ولاية الشيطان ومن خطيئة عبادة الأصنام، وقد صرحت إحدى الآيات - على لسانه- بتخوفه على أبيه وحدبه عليه: ﴿يا أبتِ إني أخاف أن

كاتب وأكاديمي فلسطيني

ت ت

يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليًا﴾، ويوسف في طفولته ينادي أباه في حبور وبهجة وسرور، ليخبره بما رأى في منامه، فالنداء في هذه الآية يحمل معنى التحبب والتودد، وكذلك نداء إسماعيل لأبيه ينطوي على معنى الطاعة والانصياع لأمر الله سبحانه، كما يحمل معنى الشعور بالصبر، وحث الأب على الاستجابة لنداء السماء، وابنة شعيب في خطابها ﴿يا أبت استأجره﴾تستثير في الشيخ الكبير عاطفة الأبوة، والشفقة والحنان للاستجابة لطلبها، والله أعلم.

ولعل ما يقوي ما ذهبنا إليه قراءة ابن عامر وهي: ﴿يا أبتَ﴾ بفتح التاء، إذ الأصل «يا أبتا»، وهذه الصيغة تذكرنا بصيغة أخرى من صيغ النداء تسمى «الندبة» تأتي للتفجع والتوجع، وصيغته «وازيداه» حيث تزاد الألف والهاء على المنادى العام، ولو أراد الواحد منا نداء الأب في سياق الندبة فينبغي أن يقول: «وا أبتاه» فيجلب التاء حتى لا يقول «وا أباه»، لأن صيغة هذا النداء تنصرف إلى الغائب، والمفروض أن تنصرف إلى ضمير المخاطب، ولا يصحّ نداء المخاطب إلا بزيادة حرف التاء، ومن هنا لازمت التاء نداء الأب: «يا أبتَ»، للتحبب والإشفاق واستثارة العاطفة الأبوية، والله أعلم.

ولعلنا لم نبالغ عندما قلنا إن نداء الابن لأبيه قام على صيغة «يا أبت»، وقلنا إنها للتحبب، كما أن نداء الأب لأبنه - في النص القرآني تحديدًا- قام على صيغة أخرى، للعطف والتحبب والشفقة أيضًا، وذلك بتصغير «ابن»، في النداء، وقد يأتي التصغير للتحبب كما تشير إلى ذلك كتب النحو، فقوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿يا بُنيّ اركب معنا﴾ (هود: ٤٢)، وقول يعقوب لابنه يوسف: ﴿يا بُنيّ لا تقصص رؤياك على إخوتك﴾ (يوسف: ٥)، وقول لقمان لابنه ﴿يا بُنيّ لا تشرك بالله﴾ (لقمان: ١٣)، وقوله: ﴿يا بُنيّ إنها إن تك مثقال حبة من خردل﴾ (لقمان: ١٦)، وقول إبراهيم لابنه إسماعيل: ﴿يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك﴾ (الصافات: ١٠٢).

ففي هاتين الصيغتين من النداء يتجلى الأدب القرآني والخلق الكريم القويم في كيفية خطاب الابن لأبيه وفي خطاب الأب لبنيه، ولعل في ذلك عبرة وعظة ودروسًا في التربية والأخلاق والقيم، لنا جميعا من آباء وأبناء، ولمن ألقى السمع وهو شهيد.

الهوامش

١- النسفي: تفسير النسفي ج٢ ص ٢١١، ج٣ ص ٣٦.
٢-ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ج٣ ص ٢٧٦.
٣- تفسير النسفي: (الموضعان السابقان).
٤- شرح ابن عقيل: (الموضع السابق).

ثمرات المطابع

الاختلاف

رسالة موجزة وتأصيل منهجي لمعاني الاختلاف يقدم من خلالها المؤلف أحمد القزعل توضيحًا عمليًا يميز من خلاله الاختلاف المشروع من الاختلاف المذموم، تقع الرسالة في حوالي ٥٠ صفحة من القطع الصغير.

الإسلام وقضايا العصر

هذا الكتاب يتعلق بموضوع بالغ السعة والشمول تناول فيه المؤلفان د.بدر عبدالرزاق الماص والاستاذ د. يحيى سالم الصالح قضايا عصرية من منظور إسلامي مثل قضية التقاليد والعادات وقضية الانحرافات الخلقية وقضية العلمانية، وقضية المرأة وغيرها كل ذلك بأسلوب مبسط من خلال هذا الكتاب الذي يقع في حوالي ٢٢٤ صفحة من القطع المتوسط.

سفينة الخير الكويتية وعطاؤها بين موانئ النكبات

في مجلد واحد يضم في ثناياه ٩٠٠ صفحة من القطع الكبير صدر هذا الكتاب عن اللجنة الشعبية لجمع التبرعات في الكويت، وهو من تأليف د.عبدالمحسن الجارالله الخرافي، وهذا الكتاب سفر موثق للمسيرة العطرة للجنة الشعبية الكويتية لجمع التبرعات منذ انشائها وحتى توقف جمع التبرعات في اكتوبر ٢٠٠٤م، كما يوثق أسماء أهل الخير الذين وضعوا كل ثقتهم في هذه اللجنة والجهات والبلدان الاجنبية التي قدمت لها اللجنة مساعدات أو أقامت فيها مشروعات خيرية.

عكاكيز

عبدالصمد الإدريسي

لا يقلق «عمر الحداد» شيء كما تقلقه حالته الخاصة التي لم يعد يطيق الظهور بها أمام الناس، إنه معاق لا يتحرك إلا بعكازين اثنين يتبعانه كما يتبعه ظله.. هذا أمر عادي فمئات من الناس أمثاله.. لكن ما يزعجه هو أنه ليس الوحيد في بيته.. إن ولديه معا يعانيان مما يعاني منه.. لكن هذه المرارة أيضا استساغها منذ مدة ولم يعد يشعر بحرج مع مرور الوقت، بل سلم لقضاء الله وواسى نفسه بأن المؤمن مبتلى، وأن السعادة في الدنيا شيء آخر قد يتجاوز البدن، وأن القناعة كنز لا يفني.

لِمَ القلق وهذا أمر وراثي، كتب عليه وعلى أبنائه، ولم تنفع عقاقير الأطباء ولا جراحة الجراحين في إخراج هذا الداء الذي يسكنه، وإنقاذ أبنائه معه من مرض يكمن متربصا في أبدانهم الصغيرة في سنواتهم الأولى، ثم لا يلبث أن يفعل فعله فيعيقهم عن المشي بعد سنوات قليلة، هاهو مسلم للقضاء، راض بنصيبه، فما الذي يقلقه إذن؟

إن الذي لا يحتمله «عمر الحداد» ولا يبعث في نفسه الارتياح هو حين يرافقه أبناؤه لضرورة ما، أو يتمشون جميعا في الشارع بعكاكيزهم، إن الأمر يبدو كما لو كان جوقة من نوع خاص لها وقع لا يستقيم ميزانه، فيكون المشهد مثيرا للانتباه ولمشاعر أخرى، والنظرات التي يقرأها في عيون الناس من حوله، وإن كان يعلم علم اليقين أنها مشاعر إشفاق ودعاء، يتمنى معها لو أن له نفقا في الأرض أو سلما في السماء يمرون منه حتى لا تراهم أعين الفضول، إنه يحس بعيون الناس ونظراتهم كأنها تنتصب له في الأرض وتوشك أن تشل خطاه، لا.. ليس هذا فقط، إنها تشعره في نفسه بشيء من الضعف أمام أولاده لا يعرف كنهه ولا تفسيره، بل الحق أنه يتمنى في بعض الأحيان لو لم يتعامل الناس معه بشيء من التفضيل أو يعطونه حق الأسبقية في المصالح والإدارات أو يعطف عليه أحدهم هنا أو هناك.

هاهو عمر الحداد يصنع آلة تشبه السيارة لكنها رفعت الحرج الذي تشعره به العكاكيز الستة

في المرة الأخيرة في «البلدية» ما إن دخل حتى قدمه أحدهم، وسمع بعض التمتمات وهو يجتاز الصف الطويل الذي ينتظر الناس فيه دورهم، لم يلتفت ليرى من هذا اللئيم الذي ضاقت به نفسه، فقد رد عليه أحدهم:

حرام عليك والله.. هذا «مخصوص».. احمد ربك على الصحة والعافية.

كلنا «مخصوصون».. المشكل يا سيدي في البلدية، لماذا لم تعمل مكانا خاصًا بـ«المخصوصين»؟

ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.. نحن مسلمون.

علا الضجيج وحوقل من حوقل واسترجع من استرجع، وخرج «عمر» وقد قضى حاجته، ثم أرسل زفرة طويلة أتبعها لازمته المعتادة: «اللهم إني أسألك العفاف والكفاف والغنى عن الناس».

سار يعبر الطريق تختلط في سمعه بقايا كلام الناس مع منبهات السيارات المارقة أمامه، وكاد أن ينقلب على ظهره وهو يتراجع من الشارع اتقاء لسيارة مجنونة.. سأل بعض من لعاب أمانيه، تذكر أن لا طاقة له بسيارة تقله هو وأولاده، إن دخله من ورشة الحدادة التي يمتلكها لا يكاد يكفي احتياجاته اليومية، فكر في العكاكيز الستة في بيته، ثم خطرت له فكرة ابتسم لها في نشوة ومضى يعبر الشارع كأنما حيزت له الدنيا كلها.

انقلبت نفسية «عمر الحداد» رأسا على عقب منذ خطرت له الفكرة، ورفرفت الابتسامة على محياه، وهو يرى مشروعه الصغير يوشك أن يكتمل، وخبرته في الحدادة جعلته يصنع حلمه بيده، فاعتكف يشتغل، ثم يفكر ويعمل، ثم يعدل ويضيف ويجرب، واحتاج أن يذهب إلى مركز لقطع الغيار المستعملة، فساعده صاحبه بما استطاع ولم يأخذ منه شيئا، ثم استدعى أحد التقنيين من معارفه فلم يبخل عليه بخبرته، واكتشف أن القدر مازال يبتسم له.

فرك يديه من النشوة وهو يرى جهده يثمر يانعا، وصرخ صرخة مدوية أوشكت أن تهد أركان ورشته المتهرئة، ثم رقص في خفة كبهلوان يقلد أعرج، نادى ولديه وزوجته لحضور هذا الحفل الخاص الذي يوقن أنه لا يعدله أي حفل آخر من حفلات الدنيا، وسادت لحظة صمت وترقب، ثم..

ثم أدار المحرك، فزفر زفرة كأنما

باحث مغربي

نفثها شيطان مريد، انطلقت على إثرها هذه الآلة العجيبة تذرع الشارع، وصاحبها لا يكاد يصدق أنه من فعلها، والتفت إلى ولديه من خلفه وقد ضاق بهما الفضاء من فرط الفرح والدهشة، ثم أطل عليه ابنه من خلفه وهو يشده من كتفه:

لا عكاكيز بعد اليوم يا أبي..

قال وهو يزيد من السرعة:

ولا نظرات تلاحقنا في الحل والترحال يا بني.. هذا حلمي الذي كبر معكما فكان ثالث أبنائي.

وطارت دمعته مع رياح السرعة في الهواء، وهو يدخل الشارع الرئيسي في المدينة، ولاحظ عيون الدهشة والإعجاب تشيعه وهو على آلته الهجينة التي لا يُعرف لها اسم، فهي خليط بين رأس دراجة نارية وذيل سيارة كلاسيكية بالية، لم تكن تصلح لشيء، جَمّلهَا «عمر» بحذقه وبراعته، وصاغها من معاناته وجهده، وصبغها بماء أمانيه وحلمه، فلست تستطيع تحديد جنسها ولا شكلها من بعيد مهما كان نظرك حديدا، وما يهمه من شكلها أو جنسها وقد رفعت عنه الحرج الذي تشعره به العكاكيز الستة؟

كان يخترق الشوارع لا يعبأ بمن حوله، كأنه محمول على شعاع من خيال، وأنفه الصغير يعوزه عن استنشاق كل هذا الهواء العليل، يود لو طالت أنفاسه لا تنقطع.. من قال إن الحياة لا تستحق أن تعاش؟! ألا فلتطل الشوارع ما شاء لها أن تطول، وليحملق فيه من أراد من أصحاب العيون الكبيرة والغائرة، هاهو يمشي في وسط الشارع كغيره من أصحاب السيارات، ومن حين لحين يقف مزهوا ليستقبل تهاني بعض من يعرفونه في الشارع، فلا يكاد يقف حتى يتحلق الناس حوله ما بين مهنئ ومستطلع وضاحك، ثم لا يستسلم لهم

قليلا، حتى يدير مفتاح المحرك ويدعهم في دهشتهم يعمهون.

ما هذا؟

إنه لم يخطئ في حق أحد في الشارع، ولم يجتز الإشارة الحمراء، فما لهذا الذي أمامه يستوقفه ويأمره بالتنحي جانب الطريق؟

ركن آلته العجيبة إلى جانب الطريق، ثم نزل من السيارة التي وقفت أمامه رجل طويل القامة فخم المنظر.. فجاءه في موكب من الغموض والحيرة، قال وعيناه محجوبتان بنظارة سوداء:

أهلا «سي عمر» مبروك ال...

رد ومشاعر من الزهو والخوف تتجاذبه:

الله يبارك فيك.. هذا حلمي تحقق.

ما اسم هذا ال... المولود الجديد؟

هههههه.. لم نسمه بعد.. هذا يومه الأول.

عندك رخصة؟ أو أي وثيقة خاصة به؟

لا.. لا.. قلت هذا يومه الأول.

وكيف تخرج به دون رخصة؟

ثم قبل أن يجيب استطرد الرجل:

أنا أمامك اتبعني.

طافت سحابة من الهم والضيق في جو «عمر الحداد» وأدار مفتاح المحرك بيد مرتعشة، وعيناه تغرقان في الدموع..

لقد ظن أن معاناته انتهت، وأن القدر ابتسم له.. ولحظه الهزيل هذه المرة على الأقل.. لكن الدنيا غدارة بالفعل.. لم تمهله حتى ساعة من نهار.. إنه لم يعرف أي نوع من المتابعة من قبل، حتى قاد نفسه برجليه إليها.. يا لغبائه، لِمَ لمْ يستعطف الرجل ليعفو عنه؟ إنها غلطته الأولى؟ آه.. من عكازي الحبيبين!! القناعة..ثم القناعة..

أوقف المحرك وسحب عكازيه من خلف الآلة العجيبة، ثم تبع الرجل بعد أن نزل من سيارته أمام بناية أنيقة.. دخل تسبقه تمتماته، وترك ابنيه في الخارج يقطر قلبهما حيرة وفزعا.

جلس في الكرسي أمامه، وفكر أن يتوسل إليه قبل أن يسجل في حقه محضرا هو بريء منه، أو على الأقل لا قصد له فيما يتضمنه، ثم ابتدره الرجل فجأة بالحديث وهو ينزع نظارته ويقول مبتسما:

أتعرف لماذا أنت هنا؟

والله العظيم.. لا علم لي.. إن الحيرة تكاد تقتلني.. ولم أفهم ما قصة الأوراق التي تحدثت عنها.

هههه.. صحيح.. أنت لا تعرف ماذا ارتكبت من حماقة.. لكني سأوضح لك لماذا جئت بك؟

لماذا يا سيدي؟

أنا مسؤول قسم الاختراعات والإبداع.

ثم أقبل نحوه ووضع يديه على كتفيه وأضاف:

أحييك أولا على عصاميتك وجهدك، وحتى لا يضيع حقك، يجب أن تسجل براءة اختراع لإبداعك العظيم.. أنت مبدع حقا!

صَوَابٌ مَهْجُورٌ

تصوير ونص: حياة الياقوت

قيل قديمًا «خطأ مشهور، خير من صواب مهجور». وإذا كان المعيار هو الشهرة، ألم يأنِ للصواب أن يكون مشهورا ومعمولا به؟ في هذه الزاوية، نقبض على خطأ لغوي مشهور سوّل له إهمالنا أو جهلنا أن يظهر على اللافتات أو المنتجات أو في وسائل الإعلام. هذا، لننبّه وننوّه ونصحّح، لا لنفضح. ليكون الصواب هو المشهور والمجهور، وليستقيم درب لساننا العربي.

أنقذوا خاله!

الخطأ: خالي من الشوائب.

الصواب: خالٍ من الشوائب.

هذا من الأخطاء الطريفة، إذ إن كتابته هكذا تعني أن خال المنتجين (أخو والدتهم) ذو شوائب. والصحيح هو كتابة «خالٍ» بحذف الياء واستعمال تنوينٍ الكسر عوضا عنها لأنه من الأسماء المنقوصة.

والاسم المنقوص أي اسم في نهايته ياء مكسور ما قبلها، شريطة أن تكون غير مشددة. فـ«محامٍ» و«قاضٍ» من الأسماء المنقوصة، بينما «أمانيّ» و«عربيّ» ليسا كذلك لأن الياء مشدّدة.

وياء الاسم المنقوص تحذف في كل الأحوال ويوضع تنوين كسر بدلا عنها، ويستثنى من هذا حالات:

١- إذا دخلت أل التعريف على الاسم، فنقول «الراعي» وليس «الراع».

٢- في حالة النصب، فنقول رأيت الجانيَ وليس «الجان».

٣- في حالة الإضافة، فنقول ساعي البريد وليس «ساع البريد».

هكذا تنبت التنبيهات

الخطأ: تنبية

الصواب: تنبيه

طبعا يمكن أن نجد منفذا لغويا لمن كتب هذا الملصق، وهي بأن نفترض أنه يقصد أن يقول «تنبيت»، فربما كان يريد التكلم عن تنبيت الحبوب مثلا أي إنباتها. لكن وبالنظر على بقية الملصق، نكتشف الحقيقة المؤسفة.

الخلط بين الهاء في نهاية الكلمة والتاء المربوطة شائع بشكل شنيع، ومع ذلك فطريقة التفرقة بينهما سهلة إلى حد الإبهار. ما عليك إلا أن تحاول وضع تنوين على الكلمة وتنطقها. جرب أن تنوّن «مياه» و«تنبيه» و«وجوه» وستجد نفسك تقول «مياهُن» و«تنبيهُن» و«وجوهُن»! حاول الآن أن تنوّن «نجاة» «مقالة» و«قطة»، وستجد أنها «نجاتُن» و«مقالتُن» و«قطتُن».

باحثة كويتية

رمضان.. شهر الخير والبر والنصر

في استقبال شهر رمضان العظيم

عبدالغني أحمد ناجي

الشهر عاد بموكب الرحمات
فاستقبلوه بخالص التوبات
رمضان عاد تحفنا أنواره
رمضان عاد بعاطر النفحات
في كل عام عودة ميمونة
أنوارها قدسية الهالات
شهر يعود كأنه فجر تلألأ
لأ نوره في حالك الظلمات
يأتي بخير ما رأيت نظيره
تنداح فيه مهابط البركات
فقيامه غفران ذنب الصائمي
ـن التائبين، ورافع الدرجات
فالصوم طب للنفوس وبلسم
ومعود الإحسان في الكربات
هو صانع صلب الإرادة عندما
ندع الطعام وسائر الشهوات
هو موقظ لضميرنا ومعلم
حسن السلوك وصالح العادات
من ثم قال نبينا وحبيبنا
صوموا تصحوا من أذى الآفات
ما أروع الفطر الموحد جمعنا
عند الغروب على اختلاف جهات
ما أروع الشهر الفضيل بليلة
هي في الزمان تفاخر السنوات
قد أنزل القرآن فيها هاديًا
أعظم بهذا الهدي في الآيات
الله شرف قدرها فكأنها
بين الشهور مليكة الأوقات
ما أسعد المرء الذي يسعى لها
في الوتر بالإخلاص والصلوات
رمضان عاد مذكرًا بمواقف
للمسلمين تجاه كل طغاة
«بدر» تذكر بانتصار جدودنا
في غزوة هي أروع الغزوات
يوم التقاء المسلمين وجمعهم
لا يعدل الكفار في القوات
المسلمون سلاحهم إيمانهم
إيمانهم أقوى من العدات
في الشهر كان الفتح ميمون الخطا
غفل القلوب تفتحت لهداة
في مكة جمع النبي خصومه
بعد انتصار الحق في الجولات
أضحى القوي وقد عفا عن جرمهم
والعفو أروع في حمى القدرات
ليت الصيام يردنا لفضيلة
ويعيدنا لتآلف وثبات
حتى يكون الصف صف أخوة
لا غل ينخر أو بغيض شتات
ليت القلوب تضم خير مودة
في ظل صوم باعث الرحمات
ليت اللسان يعف عند تفوه
حتى يكون اللفظ كالزهرات
ليت الضمائر لا تنام فنومها
سبب الفساد ومبعث العلات
ليت الأيادي يستمر سخاؤها
نحو الفقير بوافر الصدقات
ليت العيون تعفُ عن نظراتها
لمحرم وخباءة السوءات
ليت الصفاء يرف بين جموعنا
إن الصفاء دعامة الخيرات
هذا الذي نرجوه بعد صيامنا
وقيامنا، وزكاتنا، وصلاة
خير الثمار من العبادة منهج
تصحو به الأخلاق بعد سبات
حتى يصير الناس مثل ملائك
يتفيأون الظل طيب حياة
ندعوك يا رب الصيام وشهره
أن تغفر الآثام والزلات
فاجعل ثواب صيامنا وقيامنا
يوم الحساب الخلد في الجنات

شاعر مصري

قراءة في دفتر قديم

أمالي شيخ العربية أبي فهر محمود أحمد شاكر رحمه الله
قيَّدها بخط يده تلميذه الدكتور يعقوب يوسف الغنيم

التحرير

التعريف بفنّ الأمالي

الأمالي عبارة عن مجالس علمية، تتكوّن من شيخ هو المُملي (المتحدّث بالفوائد والنُّكت العلمية)، وتلميذ هو المستملي (أي طالب الإملاء).

والعادة أنّ كتب الأمالي متنوعةٌ بحسب موضوع الدروس التي يُطلب لها الإملاء، فقد يكون موضوعها شرحًا لكلام العرب وحكمائهم وشعرائهم وخطبائهم، مقرونة بفنون النقد والموازنة، وأطراف من غريب اللغة ونادرها، وطائفة من قصص العرب وكلام الأعراب في باديتهم، بالإضافة إلى بعض مسائل العربية والتاريخ، وقد تكون الأمالي موضوعة لفن التفسير أو الحديث وغير ذلك.

ومن كتب الأمالي على سبيل المثال: أمالي القالي، أمالي ثعلب، أمالي المرزوقي، الأمالي لابن البرِّي، الأمالي للزجاجي... وغيرها.

وكتابنا الذي نعرّف به يندرج في الأمالي الأدبية، لأنه تناول بالتفصيل ما جرى في مجالس شرح كتاب الأصمعيات.

حكاية هذا السِّفْر (قراءة في دفتر قديم)

ترجع حكاية هذه التقييدات النفيسة البالغة الأهمية إلى ما يزيد على نصف قرن من الزمان، حيث بدأ الأستاذ الدكتور يعقوب الغنيم كتابتها عام ١٩٥٧م في أوراقه الخاصّة ودفاتره الشخصية، بعد أن يسّر الله له المعرفة بشيخ العربية العلامة محمود شاكر رحمه الله، وأنعم الله عليه بموافقة شيخه على عقد لقاء علميّ يجمعه بعصبة صالحة من مُحبّي الأدب والعربية، يشرح لهم فيها كتاب الأصمعيات، للإمام الحافظ أبي سعيد عبدالملك بن قريب الأصمعي البصري اللغوي الإخباريّ العلامة، وهي مختاراتٌ شعريةٌ عظيمةُ الوقع على قلوب المتخصصين من أهل اللغة والأدب، واختيارُ تلاميذ شاكر لكتاب الأصمعيات أو اختيار شيخهم له دليلٌ على مدى العمق الأدبيّ والثراء اللّغويّ الذي اكتنف تلك الفترة الزمنية (فترة الخمسينيات)، ممّا جعل أهل ذلك الزمن ممّن تعبوا في تكوين أنفسهم ولا يزالون على قيد الحياة اليوم، هم مشاعل العلم والمعرفة في يومنا الحاضر، وحريٌّ بمن أراد بعث المعرفة العربية، وأن يوقد جذوتها أن يستنير بهم ويتعلّم من خبراتهم.

ومن رحمة الله تعالى وألطافه بالكاتب المقيِّد لهذه الكنوز اللغوية والفوائد والنُّكت العربية أن هيّأ له صحبة نافعةً وعقلًا حاضرًا وفهمًا نفّاذًا وطبيعةً عربية تحبّ التغرّب وتفرح بالتميّز، دلّته- وهو في مقتبل عمره- على السّبيل السوية في طلب العلم، وشدّت أزره بشيخ العربية أبي فهْر، سيّد الأدب وعبقريّ زمانه فيها، وهذا ما جعل لهذه الأماليّ وزنًا وحضورًا عند مَن يعرف قيمة الأشياء، ويُقوّم الجهد الشاق الذي يلزم لتحصيلها وتهذيبها.

عمل الدكتور الغنيم

حاول الأستاذ أن يغتنم لحظاته مع شيخه، وفي الوقت نفسه كان حريصًا على التقييد والمتابعة لما يدور في مجلس شيخه الحافل بالفوائد ذات اليمين وذات الشمال، ولأن هيبة شيخه كانت تمنعه من أن يستوقفه أو يقطع على السامعين لذة المتابعة، أخذ على نفسه أن يكون حاضر البال قدر استطاعته، وهذا ما جعله يُسجل ما جرى في تلك المجالس العامرة، ولم يترك شاردة ولا واردة إلا قيَّدها، ساعده على ذلك فيما يظهر سرعةٌ في الكتابة ودقةٌ في النقل واطّلاعٌ أدبيّ وافر، وقبل ذلك وبعده كان يعترف لشيخه بالفضل عليه بعد فضل الله تعالى، فيقول: «واليوم وبعد وفاة الرجل الذي علّمنا وفتح أمام أعيننا مجالات المعرفة بالثقافة العربية...»، وقد كتب عنه بعد رحيله مقالات راقية، تتمتع بحسٍّ أدبي فيّاض، ووفاء نادر لشيخه شاكر رحمة الله عليه.

وإنما يدرك مدى التعب والنصب الذي يهزّ مَن تحمّل هذه التَّبعة العارفون بمشقة الطريق وقلة الصبر على لأوائه، على حدّ قول الحكيم:

لا يَعْرِفُ الشَّوْقَ إلاَّ مَنْ يُكَابِدُهُ
وَلاَ الصَّبَابَةَ إلاَّ مَنْ يُعَانِيهَا

هذا ومن باب الأمانة العلمية في هذه الأمالي، فقد أشار الأستاذ الدكتور يعقوب الغنيم إلى أنّ شرح أبي فهر للأصمعيات لم يستوعبها كلّها، بل كانت آخر قصيدة شرحها الأستاذ هي التاسعة والعشرون، لدُرَيْد بن الصمَّة، والتي يقول في مطلعها:

يَا راكِبًا إمَّا عَرَضْتَ فبلِّغَنْ
أبا غالب أنْ قَدْ ثأَرْنَا بغالب

وسبب انقطاع المجلس للظروف السياسية التي حفلت بها تلك المرحلة الزمنية.

نموذجان من القصائد المشروحة

القصيدة الأولى: لسُحَيْم بن وَثِيل الرِياحيّ، ومطلعها:

محمود شاكر

أَنَا ابنُ جَلا وطلاعُ الثَّنايَا
متَى أضَعُ العمامَةَ تَعرِفُوني

وعن عمل صاحب الكتاب فيها، فقد أشار الدكتور الغنيم إلى أن كتاب الأصمعيات مطبوع بتحقيق العلامة أحمد شاكر وعبدالسلام هارون، وذكر أنهما ترجما لشاعر القصيدة وبيّنا جوّها العام، وعدّدا مراجع القصيدة، وشَرَحا الأبيات، ومع ذلك فإنّ عمل العلامة أبي فهر كان أوسع من كل ذلك.

وهذا وصف للمجلس الأول من تلك المجالس العامرة:

بدأ الشيخ محمود شاكر بقراءة القصيدة مقسّما إياها إلى أقسام، ثم تحدث عن الشاعر سحيم بن وثيل الرياحي، ثم شرح الغالبَ الأعمَّ من مفردات القصيدة، وأوضح الخلاف الواقع في رواياتها، ثم بيّن معاني الأبيات في جملتها، وحدّد الساقط منها من الأصمعيات وذَكر مكان تخريجه.

وبعد انتهاء القصيدة عاد العلامة شاكر ليتحدث عنها وعن الشاعر باستفاضة، فأفاض في الحديث عن نسبه، ونشأته، وإسلامه، وسكنه بالكوفة، وحكاية مفاخرته بنحْر إبله.

ثم أورد أبوفهر بعض الفوائد المتعلقة بالألفاظ التي مرّت في القصيدة.

ولم يغبْ عن الشيخ أن يَذكر مقاطيع رُويت عن سحيم، والكتب التي نبّهتْ عليها.

كما لم يفُتْ الأستاذ الغنيم أن يلقي لقارئ كتابه فوائد أعزَّ من الذهب الإبريز،

عبدالله الغنيم

ومن ذلك مثلًا حديثه عن كتاب منتهى الطلب من أشعار العرب، وأنه من أحسن وأجمل ما وضع في بابه، وأنّ الشيخ شاكر كان كثير الاعتماد عليه، والاحتفاء به.

القصيدة الثانية: وهو قصيدةٌ من غير الأصمعيات للشاعر الأخطل، وهي من أعظم القصائد العربية المُطوّلة، ولو صلُح أن يُنتصر لها لكانت معلّقة لجمالها وقوة سبكها، ومطلعها:

خفَّ القطينُ فراحوا منكَ أو بكرُوا
وأزعجتهُمْ نوًى في صرفِها غيرُ

آخر الكتاب

من مزايا هذه التقييدات النافعة أن منشئها الدكتور الغنيم أضاف إليها بعض الزيادات الرائعة ممّا كان يتحفهم بها شيخه أبوفهر رحمه الله، ومن أجمل ما أثبته في سلْخ الكتاب، بعض المختارات الشعرية التي كان يطربهم بها الإمام الأديب شيخ العربية، وأبدعُ تلك المختارات أوّلُها، وهي لكُثيّر عزّة، التي يقول في مطلعها:

خليليَّ هذا ربعُ عزَّة فاعقلا
قَلُوصيْكُما ثمّ ابكيا حيثُ حلَّت

وهذه المقطوعة الرقراقة ذكر منها الغنيم في كتابه أبياتًا سبعة، والمذكورُ منها في الديوان أكثر وألذّ.

والحقّ أن هذا الكتاب جليل القدر، عظيم الفائدة، لا يملّ القارئ منه، ولا يشبع متتبعُ الفائدة من اقتناص نكته وشوارده.

المنَسِّق العام لبرامج معهد المخطوطات العربية فيصل الحفيان:

العلم العربي الإسلامي يمر بثلاث مراحل العطاء والمراوحة والتداعي

حوار: محمد عويس

فيصل عبدالسلام الحفيان، سوري، من مواليد مدينة حمص عام ١٩٥٩، شغل منصب مُنَسِّق برامج معهد المخطوطات العربية (المسؤول الأول عن المشروعات العلمية التي يتبنَّاها المعهد، وهي مشروعات بحثية متَخَصِّصة، وعلمية، وإعلامية)، والمعهد هو أحد الأجهزة المتخصِّصة التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليسكو- إحدى منظمات جامعة الدول العربية)، ويتولى رئاسة تحرير مجلة معهد المخطوطات العربية، ودورية أخبار التراث العربي، وخبير بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، بالإضافة إلى عضوية لجنة جائزة إحياء التراث المنبثقة عن إحدى لجان المجمع، ويتولى الإشراف العلمي على برنامج أكاديمي (علم المخطوطات وتحقيق النصوص) والذي ينفذه معهد البحوث والدراسات العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ويمنح بموجبه درجتي الماجستير والدكتوراه، فيصل الحفيان يرى ان تراثنا- وخاصة العلمي منه- هو وجهنا الذي يميزنا في عصر العولمة، وليس بإمكاننا العودة إلى الحياة إلا عن طريقه، إيمانًا به (لا سكنًا فيه) ونقدًا له (لا نقضًا) وانطلاقًا منه (لا وقوفًا عنده). مجلة (الوعي الإسلامي) التقت الحفيان، وكان هذا الحوار:

● برأيك.. ما إشكالات التراث العلمي؟

■ إشكالات التراث العلمي يمكننا تقسيمها إلى صنفين رئيسين: الأول، ذو طابع بنيوي، وله تجليات ثلاثة مرتبطة بعلميته ذاتها، وتاريخيته، ولغته، ومصطلحه، والثاني، خارجي ظرفي، ويندرج تحته أمران: محدودية تناسخ نصوصه، وخطورة التصحيف والتحريف عليه، كما أنه يوجد عنصر خارجي مهم، يتمثل في تلك الفجوة الزمنية الواسعة التي غاب فيها العلم العربي الإسلامي.

وبصورة أكثر تفصيلا يمكننا حصر أربعة إشكالات رئيسة يعاني منها التراث العلمي العربي، هي على الترتيب: الجهل به على مستويات عدة.. الأفراد، والمراكز الوطنية، والبيوتات، والمؤسسات الإقليمية، إن تراثا عامة، والعلمي منه خاصة، مظلوم، واقع بين مطرقة أبنائه وسندان غرمائه، مبينًا أن هؤلاء وأولئك غافلون عن قضيتين مهمتين، الأولى هي أن العلم تراكمي بطبعه، وأن شيئًا لا يمكن أن يقوم على شيء، وأن ما خلفه العرب في ميدان العلم ستظل له على نحو ما قيمة، وسيبقى فيه شيء يؤخذ ويُفاد منه، ويُبنى عليه، ويُطور منه.

أما القضية الثانية فهي أن العلم كائن حي، ومعرفة مراحل نموه تفيد، وتُعطي العظة وتعلم الربط بين الأسباب والنتائج، وبذلك نتفادى المزالق، ونتعلم من التجارب. وإن الجهل بالمراحل التي مر بها هذا الكائن تؤدي إلى أن يُستغلق علينا، ومن ثم يتحول إلى لغز مستحيل الحل.

● وما التساؤلات التي يُثيرها التراث العلمي العربي؟

■ أربعة أسئلة واضحة، الأول هو سؤال المعرفة، وملخصه أننا لا نعرف حتى اليوم هذا التراث، وليست لدينا خريطة واضحة له، أما السؤال الثاني فهو سؤال النشر، فالنشر الذي يتناول التراث العلمي العربي هو نشر عشوائي واعتباطي، والجهود التي تمت في هذا المجال هي جهود جزئية، غير مدروسة، وانتقائية ، اما السؤال الثالث هو سؤال القراءة، فهناك القراءة الافتخارية للتراث، وهي نوع من أنواع القراءات الانهزامية التي تُخلي ساحة الفعل،

وتهرب إلى تهويمات الحلم، أما النوع الثاني من القراءة فهو القراءة الناقضة، أي الهدامة، وهي قراءة تقف في مواجهة الأولى، وتزيد عليها سوءًا، لأنها ليست مجرد انهزام وسلب، ولكنها تعدٍّ وهدم. بينما يوجد التساؤل الرابع والأخير هو الخطاب أو المثاقفة، ومعرفة كيفية عرض صورتنا، وتوصيل صوتنا، من خلال تراثنا العلمي.

● ما واجبنا حال التعامل مع تراثنا العلمي؟

■ من المهم أن نتذكر ونحن نتعامل مع تراثنا العلمي خصوصًا، وتراثنا عمومًا، أنه قد حان الوقت لكي ننتقل من مرحلة العمل الجزئي إلى مرحلة العمل الكلي. بدون أن نغفل المراحل الزمنية لغروب العلم العربي إذ إن العلم العربي الإسلامي مر بثلاث مراحل، الأولى هي مرحلة الألق (العطاء)، والثانية هي الغروب (المراوحة)، والثالثة هي العَتمة (التداعي)، ومازالت الأخيرة قائمة. ولا خلاف على خطر المرحلة الأولى في تاريخ العلم الإنساني، كما أنه لا خلاف على أن الأخيرة هي حقًا تداع وانهيار، فقد كان التداعي لافتًا، علىً رغم مقدماته، والنذر التي سبقته، أما المرحلة الثانية، ثمرة الأولى وحاضنة الثالثة، فمُستخفية، ولا تزال، ذلك أنها اصطبغت بصبغة المراوحة، والمراوحة حركة، لكنها حركة توازي السكون، لأنها توهم بالانتقال، وليست في الحقيقة كذلك، وهذا الوهم هو بوابة الاستخفاء والالتباس، سواء على صاحب الحركة نفسه أم على المراقب له. فهي تؤدي إلى نوع من الذهول، ليس الذهول عن التقدم فحسب، ولكنه الذهول عن الذهول، وهو ما يستدعي صورة ذلك التصنيف القديم للجهل، فثمة جاهل، وثمة جاهل يجهل أنه جاهل، فحالة المراوغة كانت نوعًا من الجهل بالجهالة. كما أن الصدمات المتتالية لم تفلح في إعادة الوعي إلى

صحيح البخاري من أفضل الكتب خدمة لسنة الرسول ﷺ والمشككون دعاة شهرة

العقل الذي ذُهل عن أنه ذاهل، فظلت عوامل النخر والسوس ترعى في بنيته إلى أن أتت عليه، وكان لابد أن يتداعى البنيان ويسقط. أما أولئك الذين التبس عليهم الأمر، فرأوا في «الغروب» حركة لا تختلف عن حركة «الألق»، فلم ينتبهوا إلى أن الحركة مجردة لا قيمة لها، كما أن قيمتها إنما هي بما تثمره من انتقال وتقدم، هذا إضافة إلى أن ثمة فرقًا جوهريًا بين الحركة الصاعدة، والحركة الهابطة، الحركة إلى الأمام، والحركة إلى الخلف.

● هل يمكن ان يتكلم العلم بالعربية مرة أخرى؟

■ الإجابة على هذا السؤال تجسدت في تظاهرة أقيمت في القاهرة عام ٢٠٠٣ بعنوان «عندما تكلم العلم بالعربية» حيث شدّدت على أن استشراف المستقبل لا يتحقق من دون أساس من الأمس، الأمس الذي يعطي القوة ويمنح الدافع. فالماضي والمستقبل إذن وجهان لعملة واحدة، والسؤال بصيغة المستقبل لا ينفي أن نتحدث عن الماضي، وهذه العناصر تمثلت في مجموعة من المحاور التي اعتمدت عليها التظاهرة، ومنها المعارض الثابتة والمتنقلة، والتي تم تقديمها بأكثر من لغة عن التنويعات الحضارية، والتراث العلمي العربي. وقد شارك في الاحتفالية الأطفال والشباب على حد سواء، فجرى إطلاق «حافلة علوم» التي جابت شوارع القاهرة وحطت رحالها أمام المدارس، واستثارت الطلبة في مجال الرياضيات من خلال تراث الفنون الزخرفية الإسلامية. وإلى جانب الهندسة والنجوم والكواكب وألعاب الضوء، أقيمت ورش عمل لتعليم مبادئ العزف على العود، ولقاءات للتعريف بهذه الآلة الموسيقية العربية الأصيلة، والتعريف بالمخطوط، والحديقة العربية، والعلم والموسيقى والشعر العربي.

● وهل هناك منهج مرتبط بتحقيقه؟

■ يمكننا اتباع منهج خاص بتحقيق التراث العلمي، ولكن هذا المنهج لا يمكن أن يكون شيئًا أصم، أو ساذجًا للحد الذي يجعل منه خطوات آلية تصلح لجميع النصوص بمستوياتها وموضوعاتها وانتماءاتها المختلفة، فالتحقيق عملية عقلية شديدة التركيب، يتعامل فيها عقل ما مع نتاج عقل آخر، وعليه أن يستنبطه، ويدخل في تلافيفه، وهو في جوهره مرتبط بثلاثة أمور: المحقق (انتسابه وتكوينه)، والنص (ذاته ومشكلاته)، ومكتبة النص، أي مصادره السابقة، وامتداداته اللاحقة؛ ينابيعه وروافده من ناحية، ومصابه من ناحية ثانية. وهذه الأمور يتجلى فيها المنهج الحق في خدمة النص التراثي العلمي. وأود أن أضيف ان قضية البحث عن منهج خاص بتحقيق التراث العلمي لا تزال تحتاج إلى كثير من التنظير الذي يضع في حسبانه طبيعة نصوصه وملامحها.

● وما دور المحقق هنا؟

■ في رأيي أن المحقق هو المتخصص في العلم الحديث، والدارس للعلم القديم وتاريخه معًا، فلابد إذن من أن تنصرف فئة من الذين درسوا العلوم الحديثة إلى تاريخ هذه العلوم. وبذلك يمكن الجمع بين أمرين: فهم العلم القديم الفهم الحق، وإدراك العلاقات بينه وبين العلم الحديث. فهم وإدراك يكشفان الحركة الداخلية للعلم عبر الزمان، ويحققان الربط بين المستور والمرئي.

أوزبكستان.. قراءة في آلية تطوير مؤسسات المجتمع المدني

علاء فاروق

أوزبكستان دولة ذات حضارة قديمة، وعضو نشط وفعال في الكثير من المؤسسات الدولية الكبرى مثل: الأمم المتحدة، منظمة شنغهاي للتعاون، منظمة المجتمع الاقتصادي، منظمة معاهدة الأمن الجماعي، منظمة المؤتمر الإسلامي، والكثير من المؤسسات المالية والاقتصادية الدولية، مما يؤكد أهميتها وريادتها في المنطقة.

نجحت أوزبكستان خلال الفترة القصيرة الماضية- (فترة الاستقلال) وهي قصيرة بالمعايير التاريخية- في وضع نفسها على الخريطة الدولية، وأصبحت دولة ذات تأثير واضح في المنطقة.

وساعد على تَبَوُّء هذه المكانة الدولية نجاحُ هذه الدولة الفتية في التجديد الديموقراطي للمجتمع، والإصلاح الأساسي للاقتصاد والعلاقات الاجتماعية، وهي تجتاز الآن بثقة مرحلة انتقالية لتصبح متكاملة مع المجتمع العالمي، وتحقق تطورًا اقتصاديًا كبيرًا وثابتًا.

كلمة الرئيس.. قراءة وتعليق

وأخيرًا، ألقى الرئيس الأوزبكي، إسلام كريموف، كلمة في الجلسة المشتركة للمجلس التشريعي ومجلس الشيوخ (برلمان) لجمهورية أوزبكستان، التي عقدت في ١٢ من نوفمبر ٢٠١٠، أعلن فيها عن حزمة إصلاحات ينوي تنفيذها، كي تسير بلاده على طريق الديموقراطية وتحديث البلاد.

ومثّلت الكلمة خريطة طريق واضحة المعالم، فاشتملت على خَطّين رئيسين، الأول: تقييم الفترة الماضية، والثاني: وضع رؤى استشرافية للفترة القادمة، وبين التقييم والرؤية الاستشرافية كان الهدف واضحًا، وهو إصلاح وتحديث أوزبكستان، للوصول لنموذج «الدولة الديموقراطية الحقوقية المنفتحة»، والتي يعد الإنسان فيها هو القيمة الكبرى مع مصالحه وحريته وحقوقه.

وأهم ما تناولته الكلمة- من وجهة نظري- التأكيد المستمر في خطابات الرئيس على نظرية النقد الذاتي، والتفكير النقدي عند التطرق لما تم إنجازه في الماضي، وتقييم كل مرحلة- ويحدث ذلك غالبًا كل عام- وهو ما لا يجعله يشعر بنشوة الإنجاز متناسيًا ما طرأ خلال المرحلة من إخفاقات أو سلبيات، سواء من الأداء الحكومي أو البرلماني، وهو ما يبني عليه نظرته الاستشرافية، من تجنب مثل هذه السلبيات أو الإخفاقات. وكان الرئيس في هذا واضحًا في خطابه، بل انتقد بعض الأمور خلال تقييمه للفترة الماضية.

ومن الأمور المهمة التي تناولها الرئيس في كلمته أيضًا التأكيد على الخصوصية الأوزبكية، والتي تمثلت في اختيار بلاده للنموذج الأوزبكي الخاص بها للتطور، وعدم استيراد نموذج آخر ربما يصطدم بالبيئة الأوزبكية، أو يلجأ لعلاج المشكلات والقضايا بنظرية «الصدمة»، وهذا ما رفضته البلاد منذ استقلالها حتى عند تعاملها مع أصعب الأزمات، ومنها الأزمة المالية العالمية، واعتماده النموذج «الارتقائي التدريجي»، وهذا ما جعل المؤسسات الدولية تثني على ما يحدث في أوزبكستان من خطوات جادة لتحديث البلاد.

وتطرق الرئيس في كلمته أيضًا إلى حزمة الإصلاحات التي قام بها خلال فترة الاستقلال حتى يومنا هذا، مؤكدًا أهمية ما تم خلال تلك الفترة من تعديلات دستورية مهمة شملت مختلف القطاعات من مؤسسة الرئاسة حتى مؤسسات المجتمع المدني، مرورًا بالاقتصاد والإعلام والقضاء... إلخ، ما يصب في مجمله في مصلحة المواطن الأوزبكي، وشعوره بأهميته وحقوقه وثقته في مستقبل بلاده.

وأخيرًا ما قدمه الرئيس في كلمته من تقييم وتقويم يتطلب النظر إليه بجدية كبيرة من قبل المؤسسات التنفيذية في أوزبكستان، والمسارعة في تنفيذ الإصلاحات المهمة التي أقرها الرئيس؛ لتعد خطوة هامة تضاف إلى

باحث في قضايا آسيا

مئات الخطوات التي اتخذها الرئيس وشعبه منذ الاستقلال، حتى أصبحت أوزبكستان رائدة في المنطقة، ولها كلمتها في المحافل الدولية.

منهجية «الدمقرطة» في أوزبكستان

نجحت أوزبكستان في التجديد الديموقراطي للمجتمع والإصلاح الأساسي للاقتصاد والعلاقات الاجتماعية، كما ذكرنا آنفًا.

وتحديدًا لاستراتيجية إصلاحها، أخذت حكومتها في الحسبان أن الإصلاحات ستكون ناجحة فقط في حالة حل جميع المسائل المتعلقة بالملكيات من خلال الخصخصة المتوافقة، ومن خلال تكوين اقتصاد متعدد البُنَى، والذي فيه يتم إعطاء الأولوية للملكية الخاصة.

وتقوم الإصلاحات في أوزبكستان على بعض المفاهيم الهامة مثل الحداثة والإصلاح والتحرر، وهذه الثلاثة لها طابع مميز، وهذا يشمل توجهها الاجتماعي، وتحسين مستويات المعيشة، وإعداد جيل صحي أخلاقيًا وذهنيًا.

الديموقراطية والمجتمع المدني

وقد كان الاتجاه الهام في غرس الإصلاحات الديموقراطية هو تطوير عمل مؤسسات المجتمع المدني القائم على مبدأ «من دولة قوية إلى مجتمع مدني قوي».

وهدفت سلسلة المشروعات والبرامج التي قد نفذت إلى خلق الأجواء من أجل الأداء الحر للأحزاب السياسية، ووسائل الإعلام الجماهيرية المستقلة، وأجهزة المواطن ذاتية الحكم، والمؤسسات الأخرى للمجتمع المدني.

وقد تم خلق الأجواء اللازمة لتكوين وتطوير البُنَى غير الحكومية العامة في الساحات الإعلامية والسياسية والاجتماعية، كما تم مضاعفة عدد منافذ وسائل الإعلام المطبوعة خلال العشر سنوات الماضية.

أما تنمية مجالس الإدارات لمؤسسات المجتمع المدني، فلم تكن عملاً منفصلاً، أو إجراء ذا مرحلة واحدة، لكنه نشاط مستمر منظم، ويجب أن يكون مرتبطًا بشدة بالتاريخ والتقاليد والقيم القومية، وعقلية وطريقة الحياة.

تطوير المجتمع المدني

وعملية تكوين وتطوير المجتمع المدني مرتبطة بصورة مباشرة بتنمية الوعي القانوني والسياسي في المجتمع ككل، وكذلك برغبة الناس في الإصلاح الديموقراطي المستمر، وتأكيد القيم الديموقراطية العالمية.

ولابد للدولة التي تريد تفعيل مثل هذه المؤسسات، والاستفادة منها في تنمية الوعي السياسي والاجتماعي أن تهتم جيدًا بالمبادئ الإنسانية، واحترام الحقوق والحريات للمواطنين، بغض النظر عن انتمائهم القومي، وانتسابهم الديني، ووضعهم الاجتماعي، وعقائدهم السياسية.

وأظن أن أوزبكستان بدأت تنتهج هذا، وتلتفت بقوة إلى هذه المؤسسات؛ لمعرفتها الجيدة بالدور الذي تقوم به مثل هذه المؤسسات في التنمية والتطوير.

والمتابع للوضع في أوزبكستان أخيرا، وحسب ما وصلنا من معلومات، يرى أن هذه الجمهورية تُجري دائمًا إصلاحات من حين لآخر؛ بهدف تعميق الديموقراطية في المجتمع، خاصة في الحياة التشريعية والتنفيذية.

وهذا يؤكد أن أوزبكستان تطبق مبدأ «الإصلاحات» ليس من أجل الإصلاح فقط، ولكن قبل كل شيء من أجل الإنسان، ومن أجل تأمين مصالحه.

مقترحات وتوصيات

- التوسع في تمويل بعض مؤسسات المجتمع المدني، والإفساح لها أكثر بممارسة الأعمال التي تساعد في بناء المجتمع الأوزبكي، وهذا مطلب من مطالب الرئيس في كلمته الأخيرة.

- سن قوانين جديدة من شأنها ترسيخ مبدأ المشاركة السياسية للمواطنين، وتعميق روح الديموقراطية في اختيار المرشحين للبرلمان أو الرئاسة.

- التوسع في عمل أنشطة متنوعة تجمع الشباب وتحاورهم، وتسمع لهم، وتستغل طاقاتهم في بناء المجتمع بشتى توجهاته الاقتصادية والرياضية والاجتماعية، لاستغلال كل طاقاتهم في الأعمال التنموية والتطويرية، ولإبعادهم بقدر كبير عن الأفكار الراديكالية أو التطرفية.

- تخصيص بعض هذه المؤسسات المدنية للنشاط الديني الوعظي؛ للتعريف بوسطية الإسلام وسماحته، وبُعْده عن التشدد والتطرف، ومن شأن مثل هذه المنظمات أيضًا أن تُقرّب أكثر بين الأقليات العرقية الموجودة على أرض البلاد.

- تأسيس جمعيات حكومية يكون من شأنها منافسة المؤسسات الخاصة في تقديم كل ما هو جديد للمجتمع؛ بهدف تنشيط المؤسسات الخاصة، وليس التغطية عليها.

- قيام أوزبكستان بدور قوي وفعال في التقريب بين مؤسسات المجتمع المدني بداخلها والمؤسسات الدولية الأخرى، تحت إشراف رسمي من الحكومة، وبهدف تبادل الخبرات بين المؤسسات.

وأختتم كلمتي قائلاً: «إضافة لما سبق من قراءة لما حدث في البلاد خلال السنوات الأخيرة، وأنها تسير على طريق الإصلاح وتحديث البلاد، أود أن أقول: على أوزبكستان أن تهتم بصورة كبيرة وهامة بتطوير وتنمية العلاقات البينية بين بلدان آسيا الوسطى، وذلك لمكانتها الدولية ووجودها في العديد من المنابر الدولية؛ حتى يَنْتُج عن هذا تكتل «وسط آسيوي» تكون له كلمته المسموعة.

وعليها أيضًا القيام بدور تصفية كل الخلافات بين بلدان وسط آسيا؛ للبَدء في صفحة جديدة يسودُها التعاون والتآخي، لما نعرفه من أهمية العلاقات الدولية، ودورها في تقدُّم الدول أو تأخرها، فمهما فعلت أوزبكستان من إصلاحات وهي منغلقة على نفسها، فسيكون الحفاظ على هذا التقدم صعبًا إن لم تنفتح أكثر، وأن تسعى- لما لها من مكانة كبيرة في المنطقة- لقيادة هذه المبادرة، وأوزبكستان قادرة على تنفيذ هذه المبادرة في تجميع قُوى البلاد المجاورة كي تصبح المنطقة تكتلاً سياسيًا واقتصاديًا كبيرًا.

طالب العلم المنشود.. من هو؟

د. حسين حسين شحاتة

لطالب العلم مكانة عظمى في الإسلام، فلقد أثنى الله عليه في القرآن فقال عز وجل: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة: ١١)، وأثنى رسول الله ﷺ فقال: «من خرج في سبيل العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع» (رواه الترمذي)، وقال ﷺ: «وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع» (رواه الترمذي).

وحتى ينال طالب العلم هذا التكريم السابق يجب أن تتوافر فيه مجموعة من القيم والخصال والسلوكات والأفعال، من أهمها على سبيل المثال حسبما يتسع له المقام ما يلي:

■ الالتزام بالقيم الإيمانية: ومنها الإيمان بأن طلب العلم عبادة وفريضة وجهاد ولقد ربط الله بين العلم التقوى، فقال ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٨٢)، وأكد رسول الله ﷺ على أن طلب العلم فريضة فقال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» (الطبراني وابن ماجه)، وأن لطالب العلم ثوابا في الدنيا، وثوابا في الآخرة، فإن مما يلحق المسلم بعد موته: علم ينتفع منه، مصداقا لقول رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث» منها «علم ينتفع به» (مسلم).

■ الالتزام بالقيم الأخلاقية: ومنها الإخلاص والصلاح والإحسان والأمانة والصدق والصبر والمثابرة والمرابطة وعلو الهمة والعزة والتواضع، والباعث على ذلك هو ابتغاء مرضاة الله، ولقد أثنى الله على رسوله ﷺ فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، وقال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (البخاري).

■ الالتزام بالسلوك المستقيم، سلوك الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، فتجد طالب العلم متواضعا ولينا ومتعاونا ومنضبطا ومنظما ومنمقا يتعامل مع زملائه بالحسنى ويدعو إلى الخير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، صاحب رسالة سامية ونافعة وهي التنافس في طلب العلم النافع للناس جميعا، ملتزما بقول الرسول ﷺ: «قل آمنت بالله واستقم».

■ التفوق في الدراسة، فطالب العلم مقدام ومبدع ونموذج يحتذى به، يجمع في دراسته بين الأصالة والمعاصرة، يتقن الأخذ بالأسباب ليكون من المتفوقين الناجحين ودليل ذلك قول الرسول ﷺ: «إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملا أن يتقنه» (البيهقي)، وقوله ﷺ: «الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها» (الطبراني).

■ المواطنة: طالب يحب وطنه ويسعى لنهضته وتقدمه، يضحي بكل عزيز لديه من أجله، يشارك مع الآخرين في عمل الخير، آخذا بأمر الله عز وجل: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، يقول لإخوانه الذين يعملون من أجل الوطن: نتعاون معا فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه.

هذا هو الطالب المنشود في الإسلام الذي نريده لتحقيق العزة لله ولرسوله وللمؤمنين وللوطن.

الأستاذ بكلية التجارة - جامعة الأزهر

أسرتي

مفهوم الأسرة

لم تحظ ظاهرة في المجتمع الإنساني بقدر كبير من الاهتمام في الدراسة والبحث مثلما حظي به نظام الأسرة، وذلك لأنها، أي الأسرة، هي السكن الحاضن لأي إنسان منذ مولده، فهي واقع دائم يعيش فيه بفطرته الحيوية ودوافعه الاقتصادية والنفسية، وواقع اجتماعي تحياه الأسرة ذاتها في كنف معتقدات عقل المجتمع الجمعي بتقاليده وعرفه وقيمه وعاداته.

فالدوافع والاحتياجات الفطرية للإنسان، والسنن والقوانين الاجتماعية التي يفرزها العقل الجمعي يتكامل تأثيرها في منظومة من العلاقات والتفاعلات الاجتماعية تنشأ بين اعضاء وحدة اساسية بشرية يتزاوج مؤسسوها وينجبون أطفالهم ويعتنون بهم، وتتشكل بينهم وذويهم من أصول وفروع، شبكة من علاقات القرابة قد تضيق وتتسع في هيكلها البنائي ووظائفها حسب نمط الزواج والأسرة السائد في المجتمع.

فنحن بصدد أنماط متعددة ومتنوعة من الزواج والأسرة وخط الانتساب وإقامة القرابى الذي قد يختلف في نفس الزمن من مجتمع لآخر أو يتباين في نفس المجتمع من مرحلة تاريخية لأخرى.

التحرير

الخاطبة أيام زمان.. والخاطبة الـ«مودرن»

علي ابراهيم كشك

كانت الخاطبة في الماضي سيدة تتمتع بعلاقات اجتماعية تقوم بجمع مجموعة من صور الفتيان والفتيات على اختلاف مستوياتهم، ثم تقوم بعرض هذه الصور على الطرف الآخر، وإذا أعجب العريس بالصورة تقوم الخاطبة بتحديد ميعاد مع أسرة العروس، لكن حاليًا كادت هذه المهنة أن تندثر.. وأصبحت مقصورة على بعض الأحياء أو المجتمعات، أو تغيرت صورتها

أصبحت الخاطبة، حاليًا «مودرن» فهي صديقة أو زميلة في العمل أو حتى أخت العريس أو العروس ترى كلا الطرفين، وتحاول تحديد ميعاد في أي مكان، قد يكون منزل العروس أو أي مكان عام.

■ **ولكن ترى هل يمكن أن يقوم أي شاب أو فتاة بدور الخاطبة؟ وهل يوافق الشباب على الزواج بهذه الطريقة؟**

هذا ما سنحاول أن نعرفه من خلال حواراتنا مع الشباب، والتعرف على المواصفات التي يرى كل منهم وجوب توافرها في شريك الحياة.

■ **وجدي المصري (كلية التجارة - محاسب)**

– هناك شباب ليس لديهم الجرأة في الحديث مع الفتاة وهؤلاء يحتاجون لمن يتوسط لهم في الزواج. وعن نفسي لا يمكن أن أفكر في الارتباط عن طريق الخاطبة حتى لو كانت الخاطبة احدى زميلاتي أو من أقاربي، لانه بالتأكيد سيكون في مثل سني وبالتالي فليس لديه الخبرة الكافية للحكم علي هذه الانسانة، فانا اريد أن اختار من سأرتبط بها بنفسي، واتمنى ان تكون متدنية، لديها القدرة على تحمل زوجها في كل المواقف – ذات جمال هادئ – بسيطة – رقيقة – ملتزمة.

■ **ممدوح عطية (بكالوريوس زراعة).**

– ليس لدي مانع من الارتباط بعروس يعرفني عليها أحد زملائي أو أقاربي، وبعد أكثر من مقابلة مع أسرتها ومعها، يمكنني تحديد ما اذا كنت شخصيتها تلائم شخصيتي أم لا، فالزواج مسؤولية ليست سهلة، وتحتاج الى كثير من التأني قبل الاقدام على هذا الأمر.

■ **زينب يوسف (مدرسة لغة عربية).**

– يمكن أن أوافق على الارتباط عن طريق الخاطبة بشرط أن تكون هناك صلة قرابة بيننا، أي أن تكون الخاطبة في هذا الزمان إحدى قريباتي مثلا حتى تكون أهلا للثقة.. وعن مواصفاتها في فتى أحلامها تقول: أن يكون شهمًا كريمًا متدينًا، حنونًا، متدينًا، غير متزمت.

■ **أحمد الحسيني (بكالوريوس حاسب آلي)**

خبير تربوي

– بعد تخرجي مباشرة تم تعييني في إحدى الوظائف الحكومية، ورغب الأهل في أن أرتبط، وعن طريق أحد زملاء والدي تم التعارف بفتاة من إحدى الأسر الطيبة، وبالفعل تمت الخطبة بصورة تقليدية، وفي اثناء الخطبة حدث تقارب كبير بيننا وتفاهمنا جداً، ولكن لظروف خاصة فسخت الخطبة، فمعنى هذا أن الزواج عن طريق الخاطبة أو زواج الصالونات ليس سيئًا، بل على العكس، تكون الأمور كلها واضحة من البداية وعلى أساس سليم. فكلا الطرفين يعرف ظروف الآخر وما الذي ستقوم بتقديمه كل أسرة، وأعتقد أن الزواج بهذه الطريقة ينجح في غالب الأحيان، وعن نفسي ليس لدي مانع من الارتباط بهذه الطريقة لانني جربتها من قبل ووجدت أنها افضل الطرق للزواج.وأتمنى ان ارتبط بانسانة على خلق، متدنية، هادئة الطباع، لها شخصية مستقلة.

■ **كمال رمضان (بكالوريوس خدمة اجتماعية)**

– في رأيي أن الخاطبة هي شخصية غير محببة للطرفين لأنها لا تعرف طبيعة أو أخلاق أي منهما، وبعد المقابلة يجد كل من الطرفين اختلافات كبيرة بينهما، وبالطبع الخاطبة في الماضي كانت تقوم بالتوفيق بين «العرسان» والعرائس، تبعًا لمصلحتها الشخصية، وهذا كان يجعل البعض من هذه الزيجات تفشل، أما الخاطبة في هذه الأيام فقد اختلفت صورتها، فيمكن أن يكون صديقًا أو زميلًا في العمل ويأتي بالعروس المناسبة.

من صفات فتى الأحلام عند معظم الفتيات أن يكون متدينًا ومثقفًا

ولا أخفي عليك سرًا، فقد قمت بهذا العمل مرة واحدة في حياتي، كانت العروس أخت أحد اصدقائي، وكانت في سن خالي، ففكرت أن اعرفهما ببعض، لعل وعسى.. ولكن لم يوفقا، ومن يومها قررت ألا أقوم بهذا الدور مرة أخرى فما لا أرضاه لنفسي لا أرضاه للآخرين.

وأتمنى أن يوفقني الله إلى إنسانة أختارها بنفسي، حتى أتعرف على طباعها وتتعرف على طباعي، ولكن أرفض الزواج بالطريقة التقليدية بالرغم من أن والدتي كل يوم تأتي لي بعروس، ولكن الزواج خطوة ليست سهلة، وخاصة للشاب، ولابد أن أكون مستعدا لهذه المسؤولية أكمل استعداد.

■ **نبوية عباس (مدرسة)**

– لعدم وجود اختلاط بين الشباب، انتشر موضوع الخاطبة لان الشباب يسعى لتكوين نفسه اقتصاديًا، فليس لديه وقت لتكوين علاقات أو للبحث عن شخصية الفتاة، الحال نفسه بالنسبة للفتاة.

وانا أرى أن اللقاءات الاجتماعية عن طريق الأسرة، هي أفضل شيء، على ألا يحدث ارتباط إلا بعد أكثر من مقابلة، ليقتنع كلا الطرفين بالآخر، وذلك في اطار عائلي، لهذا فأنا أرى أن موضوع الخاطبة لابد منه لاقتران الفتى بالفتاة.

وعن مواصفاتها في فتى أحلامها تقول: أن يتمتع بأخلاق طيبة وسلوك ملتزم – إمكانياته المادية تتيح له أن ينفق على بيته.

■ هدى علام (كلية آداب قسم حضارة أوروبية)

– انا غير مقتنعة نهائيًا بموضوع الخاطبة، فلابد أن أختار من سأرتبط به بنفسي، ولابد أن يكون الاختيار بناء على اقتناع.

وعن نفسي أتمنى أن ارتبط بانسان قادر على تحمل المسؤولية – له هدف يسعى لتحقيقه – مستنير في الأفكار والطباع – متدين – متفاهم.

■ **أماني غازي (ماجستير تربية)**

– مهنة الخاطبة كانت زمان، أما حاليا فهي غير موجودة بمعناها التقليدي لأن ظروف المجتمع تغيرت، فقد خرجت الفتاة الى ميدان العمل، فتبدلت الخاطبة الى ما يشبه الترشيح من إحدى القريبات أو الصديقات للزواج من فتاة معينة فتتم المقابلة في إطار العمل أو المنزل. ولكن رأيي الخاص هو أنه يجب أن تكون هناك فترة تعارف بين الشاب والفتاة، قبل أن تتم خطوة عملية للزواج، كأن يكون مثلا من الأقارب أو الزملاء في العمل أو عن طريق الصداقة بين الأسر المختلفة.

وعن مواصفاتها في فتى أحلامها، تقول أماني: أن يكون مثقفا – متدينًا – من عائلة محترمة – ذا ثقافة واسعة في شتى المجالات – له هدف واضح في الحياة ويبحث عمّن يشاركه في تحقيق هذا الهدف.

التزكية ودورها في تربية أفراد الأسرة

أحمد حسن الخميسي

لقد اهتم القرآن الكريم بتربية الإنسان أيما اهتمام، وتحدث عنها بمفردات عديدة منها: التزكية والتطهير اللتان وردتا مع بعضهما في قوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم﴾ (التوبة: ١٠٣).

الصدقة تطهر الناس من الذنوب والأوزار، وتنمي حسناتهم، حتى يرتفعوا بها إلى مراتب المخلصين الأبرار، وادعُ لهم بالمغفرة، فإن دعاءك واستغفارك طمأنينة ورحمة لهم (١).

ويقال: زكّى الشيء: نماه وزاد فيه، وزكى ماله: طهره بأداء الزكاة، وزكى نفسه: مدحها ونسبها إلى الطهر (٢).

فالتزكية تتضمن معنى النماء أو التطهير بحسب وقوعها في سياق الكلام.

وسنتدبر هذه المفردة في آيات القرآن، فقد حوت هذه المعاني وزيادة، وسنجد مدى صلة التزكية بالنفس وتأثيرها فيها.

المبادرة إلى التزكية

يحرص الإنسان في حياته على صحة جسمه، فيأخذ بالأسباب التي تؤدي إلى ذلك، ويحرص العاقل على سلامة نفسه، فيزكيها بتطهيرها من الذنوب، وتنميتها بفعل الخيرات والطاعات قال الله تعالى: ﴿قد أفلح من تزكى. وذكر اسم ربه فصلى﴾ (الأعلى: ١٤-١٥).

فالمسلم يزكي نفسه بذكر الله وإقام الصلاة، ولعل التسبيح الذي يتكرر كثيرًا في ركوع الصلاة وسجودها، وهو من ذكر الله يزكي النفس أكثر من غيره، ومما جعلني أؤكد ذلك أن سورة الأعلى ابتدأت بالأمر بالتسبيح ﴿سبح اسم ربك الأعلى. الذي خلق فسوى﴾ (الأعلى:١-٢).

التزكية فعل إيجابي يقوم به المسلم ليؤدي إلى نمو الخير في نفسه

ويتفق التسبيح مع التزكية، فالتسبيح هو تنزيه لله تعالى عن النقائص، والتزكية تطهر النفس من الموبقات، فالمسلم الحق الذي يسعى إلى التزكية يتوب إلى الله وينقي نفسه من الذنوب، وينزه اعتقاده عن الشرك، وبما أن التسبيح له أهمية في تزكية النفس، أمر الله به في القرآن في مواضع عدة منها قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنو اذكروا الله ذكرًا كثيرًا وسبحوه بكرة وأصيلًا﴾ (الأحزاب: ٤٢).

وقال رسول الله ﷺ «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» (متفق عليه) (٣).

وطريق التزكية معروف في القرآن: إنه الإيمان والعمل الصالح.

ومن الأعمال الصالحة التي تزكي النفس وتبعد عن النار الصدقة لوجه الله تعالى الذي قال في كتابه ﴿وسيجنبها الأتقى. الذي يؤتى ماله يتزكى. وما لأحد عنده من نعمة تجزى. إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى. ولسوف يرضى﴾ (الليل: ١٧-٢١).

وقد أمر الله نبيه أن يأخذ (صدقة) من الذين اعترفوا بذنوبهم، لتطهرهم من الذنوب والأوضار، وتنمي حسناتهم حتى يرتفعوا بها إلى مراتب المخلصين الأبرار فقال سبحانه ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾ (التوبة: ١٠٣).

ومما يزكي النفس الإيمان بالغيب، والاعتقاد الجازم بأركان الإيمان الستة، فالإيمان بالغيب يعمق المراقبة في نفس المسلم لله تعالى، ويعيش المؤمن وهو يشعر أن الله يسمعه ويراه، ويعتقد أن الله سيحاسبه على أعماله، فيخشاه، ويقيم صلاته على أحسن وجه، ويعبد ربه كأنه يراه...

قال تعالى: ﴿إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه إلى الله المصير﴾ (فاطر: ١٨).

إن التزكية فعل إيجابي يقوم به المسلم، ليؤدي إلى نمو الخير في نفسه، وزيادة تقواه، ومما يدل على ذلك أن

كاتب سوري

الله تعالى وصف الذين يتمسكون بآداب الزيارة، والذين يغضون أبصارهم (بالزكاء) فقال سبحانه: ﴿فإن لم تجدوا فيها أحدًا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعلمون عليم﴾ (النور: ٢٨).

وقال سبحانه ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون﴾ (النور: ٣٠).

وعلمنا القرآن في آياته وقصصه أن نختار الطيب الحلال وعبّر عنه بـ «أزكى» في قوله تعالى: ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعامًا فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدًا﴾ (الكهف: ١٩)، إن الآية تشير إلى أن نربي أولادنا على حسن التصرف عند تكليفهم بشراء حاجات من السوق أن يختاروا منها ما هو طيب وصالح، وهذا يحتاج إلى تدريب لهم منذ الصغر على اختيار الأزكى.

التزكية فلاح ونجاح

قد بشر الله تعالى كل مؤمن «يتزكى» بالفلاح ودخول الجنة فقال: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ (الأعلى: ١٤) وقال ﴿قد أفلح من زكاها﴾ (الشمس: ٩)، دلت الآيتان وغيرهما أن المفلح هو من زكى نفسه «أي نماها وأعلاها بالطاعة والصدقة واصطناع المعروف» وهو من عالج نفسه بالمجاهدة والتزكية إلى أن دخل دائرة الفلاح.

وجزاء المفلحين الذين تزكوا، هو دخول الجنة خالدين فيها يتنعمون ﴿ومن يأته مؤمنًا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى. جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى﴾ (طه: ٧٥-٧٦).

بشر الله تعالى كل مؤمن يتزكى بالفلاح ودخول الجنة

إن الآية تصف الذي قام بالتزكية بالإيمان والعمل الصالح، وتقرر أن مآله الجنة التي حسنت مستقرًا ومقامًا.

رسول الله يزكي

ويحتاج المسلم إلى من يأخذ بيده إلى طريق التزكية، ويبصره بسبيلها، ففي عهد النبي ﷺ كان الصحابة يتوافدون على الرسول ﷺ فيستمعون منه وهو يتلو عليهم آيات ربه، فيزكيهم ويرقيهم، كما أنه يبيّن لهم طريق الهدى بوصاياه وإشاداته، ومما يؤكد ذلك قصة ابن أم مكتوم الذي جاء رسول الله ﷺ ليتزكّى، قال الله تعالى: ﴿عبس وتولى. أن جاءه الأعمى. وما يدريك لعله يزكى. أو يذكر فتنفعه الذكرى﴾ (عبس: ١-٤)، ومن الأمور المهمة في دعوة الرسل (عليهم السلام) «التزكية» فقد أمر الله عز وجل سيدنا موسى عليه السلام بالذهاب إلى فرعون، لدعوته كي يزكى نفسه ويطهرها من الذنوب والآيات، ويؤمن بالله ويطيعه ويخشاه فقال عن ذلك «اذهب إلى فرعون إنه طغى. فقل هل لك إلى أن تزكى. وأهديك إلى ربك فتخشى﴾ (النازعات: ١٧-١٩)، وأكد القرآن مهمة سيدنا محمد ﷺ في تزكية النفوس فقال في آياته: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (الجمعة: ٢)، ﴿لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولًا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (آل عمران: ١٦٤).

والملاحظ من الآيتين السابقتين أن الأميين كانوا في ضلال مبين فكانت التزكية لهم عملية تحول، حيث أقلعوا عن شركهم ودخلوا في الإسلام طائعين، وهذا ما تدعوهم إليه الآيات التي كان يتلوها عليهم الرسول ﷺ.

ومما يؤكد على أن من مهام الرسول محمد ﷺ التزكية ما ورد في دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام إذ قال كما ورد في القرآن: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولًا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ (البقرة:١٠٩).

إن التزكية التي تحقق التغيير في اعتقاد الإنسان وأعماله هي تربية ترمي إلى تنقية المرء من الذنوب، وتنمية الإيمان في قلبه، والعمل الصالح في

حياته.

ومن سياق الآيات نجد أن التزكية قد اقترنت بتلاوة الآيات القرآنية وسماعها مع تعليم الكتاب والحكمة، مما يرشدنا إلى أن تلاوة القرآن وسماعه تزكي المؤمن ونفسه قال تعالى:﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾ (الأعراف: ٢٠٤).

وقال رسول الله ﷺ «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده» (رواه مسلم).

والرحمة من الله تزكية «وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود الإلهي غير مضنون بها على أحد ولكن لابد من الاستعداد للقبول بتزكية النفس وتطهيرها عن الخبث والكدورة» (٤).

وبما أن الأب مسؤول عن تربية أبنائه، يجب عليه أن يجمع أفراد أسرته في الأسبوع أكثر من مرة، ليقرأوا القرآن ويتدارسوه، فتنزل عليهم الرحمات وتزكوا النفوس، وتغدو أسرة مباركة.

التزكية بين الحقيقة والادعاء

تزكية الإنسان نفسه ضربان: أحدهما بالفعل وهو محمود، وإليه قصد بقوله: ﴿قد أفلح من زكاها﴾ (الشمس: ٩)، وقوله: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ (الأعلى: ١٤).

والثاني: القول كتزكية المرء نفسه وهو مذموم وقد نهى الله عز جل عنه فقال ﴿فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾ (النجم: ٣٢)، أي لا تمدحوها على سبيل الإعجاب، ولا تشهدوا لها بالكمال والتقى، فالله تعالى هو العالم بمن أخلص واتقى ربه في السر والعلن (٥).

فعلى المرء أن يتحقق بالتقوى والتزكية، وذلك بأخذه بأسبابها- كما بينا- وعليه ألا يدعي أنه هو الذي زكى نفسه فيمدحها، بل الواجب أن يعيد الفضل لله وحده فهو الموفق لكل خير، وهو المزكي سبحانه، وهذا واضح جليّ في الآيات الكريمة التالية:

﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا﴾ (النساء:٤٩)، ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدًا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم﴾ (النور: ٢١).

نسبة التزكية

مما سبق لاحظنا أن التزكية تكون من الإنسان، ومن الرسول، ومن الله. وللراغب الأصفهاني كلام جميل ومفيد في هذا المعنى إذ يقول: «بزكاء النفس وطهارتها يصير الإنسان بحيث يستحق في الدنيا الأوصاف المحمودة، وفي الآخرة الأجر والمثوبة، وهو أن يتحرى الإنسان ما فيه تطهيره وذلك ينسب تارة إلى العبد لكونه مكتسبًا لذلك نحو ﴿قد أفلح من زكاها﴾، وتارة ينسب إلى الله تعالى لكونه فاعلا لذلك في الحقيقة نحو ﴿بل الله يزكّي من يشاء﴾ وتارة إلى النبي لكونه واسطة في وصول ذلك إليهم نحو ﴿تطهرهم وتزكيهم بها﴾ (التوبة: ١٠٣) و﴿يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم﴾ (البقرة: ١٥١).

وتكون تزكية الله ايضًا بالاختيار مثل تزكيته للرسل نحو ﴿قال إنما أنا رسول ربك لأهب لكل غلامًا زكيًّا﴾ (مريم: ١٩). (٦).

التزكية تربية

نخلص في ختام الحديث عن التزكية إلى أنها تربية للإنسان، تطهره من الشرك والذنوب، وتنمي فيه عناصر الخير، فيغدو إنسانًا مؤمنًا موحدًا ومسبحًا لله بذكره وفعله، ومقيما للصلاة بخشوع، مما يرفعه إلى مصاف عباده المفلحين الذين يتقربون إليه بأعمالهم تزكية، فيرضى عنهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم.

الهوامش

١- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني- حلب- دار القلم العربي ١٩٩٤م- ١٤١٤هـ ٥٦٠.
٢- المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تونس.
٣- خ ١١/١٧٥- م (٢٦٩٤).
٤- ميزان العمل، أبوحامد الغزالي، مكتبة الجندي، القاهرة ١٩٧٣م. ص ٣٣.
٥- صفوة التفاسير، مرجع سابق، ج٣، ص ٢٧٧.
٦-المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دار المعرفة بيروت مادة (زكا).

ما الفرق بين الرجل والمرأة؟

د. مي علي كشك

– عندما تتعامل مع شريك حياتك، وعند الاختلاف على رأي ما فإنه يبرز إلى الذهن سريعًا أن هناك اختلافًا ما بين حكمك وحكم شريك حياتك على الموضوع نفسه.

– فكل من الرجل والمرأة يتصرف بطريقة مختلفة إزاء المواقف التي تواجهه في حياته، فالمرأة تستطيع الحديث والتعبير جيدًا عما تشعر به، سواء كان ضيقًا أو فرحًا، إذ تشعر أن للكلمة بالإضافة للفعل أيضًا، تأثيرًا فاعلًا، على حين يفضل معظم الرجال الفعل، أو العمل أولًا، ويجد كثيرون منهم صعوبة في التعبير عن مخاوفهم، أو ما يضايقهم، أو يفرحهم.

– وقد أظهرت الدراسات والفحوص – عن طريق الأجهزة الطبية الدقيقة – أن مخ الرجل، ومخ المرأة متشابهان في نواح كثيرة ولكنهما مختلفان مثلًا في الجزء المسؤول عن ترجمة المواقف والعواطف، حيث ظهر أن هذا الجزء عند المرأة يتحكم في الاستجابات العاطفية بصورة أكثر نشاطًا مما عند الرجل.

كما يختلف الرجل عن المرأة في القدرات الإدراكية التي تشمل الذاكرة، والتميز، فمثلًا يجيد الرجل الاختبارات الخاصة المجردة، كالأشكال والرسوم الهندسية، والتغيير أو التبديل فيها، ولكن هذا الاختلاف لا يمنع أن تبدع فيها المرأة أيضًا.

أما مجالات تحديد كل شكل من هذه الاشكال على حدة، مع تذكر اللون، والمكامن فتبرز فيها مهارة المرأة بصفة خاصة، وإن كان الأمر لا ينفي إبداع الرجل في هذا المجال أيضًا.

● وقد أجريت دراسة طريفة على الأزواج والزوجات عندما يكونون في «السوبر ماركت» لتسوق مستلزمات بيتهما، فلوحظ أن الزوجة تربط بين الأشياء في أثناء اختيارها وشرائها لما تحتاج إليه، فمثلًا عندما تتوجه للقسم الخاص بمنظفات الملابس، فهي تتذكر كل ما تحتاج إليه من مزيلات البقع، ومنظفات الأواني، والأرضيات، والموبيليا، وورنيش الأحذية، والفرش أو الفوط الخاصة بهذه المنظفات، مما يدهش الزوج فيما بعد عند دفع ثمن الفاتورة، إذ إن الزوجة لم تذكر من قبل أنها تحتاج لكل هذه الأنواع من المنظفات!!

– على حين يتوجه الزوج في أثناء تجواله بالسوبر ماركت إلى الأشياء التي تستهويه، مثل القسم الخاص بالإلكترونيات أو بالأجهزة، أو بالأقلام (المفكرات) أو الميداليات، أو حافظات النقود والأحزمة الجلدية، وقد يقدم على شراء أي من هذه الأشياء، رغم أنه لم يكن يفكر في شرائها قبل توجهه لهذا القسم.

● التعبير عن العواطف

– يحسن الرجل التعبير عن عواطفه تجاه مخطوبته قبل إتمام الزواج، على حين تشعر المرأة بالحرج من التعبير عن عواطفها في هذه المرحلة، أما بعد الزواج فيختلف الأمر، حيث يعتبر الرجل أن رسالته قد وصلت، وأن زوجته الآن تأكدت من صدق مشاعره، ولم تعد هناك أهمية لتكرار كلمات الحب كما كان يفعل في بداية ارتباطها، هذا في الوقت الذي تؤكد فيه الزوجة أهمية تعبير الزوج عن حبه وعواطفه تجاهها باستمرار، وليس في فترة الخطبة فقط، وذلك لاستمرار الحوار والعلاقة بصورة أفضل، وألا يكون الحوار مقتصرًا فقط على المسؤوليات أو المشكلات.

– لذلك فالحوار والكلام بين الزوجين، يحتاج إلى ذكاء كل منهما، متى يبدأ؟ ومتى يكف؟ وأن يتبادل كل منهما الدور في الكلام، وفي الإنصات، حتى يظل دفء المشاعر بينهما دائمًا.

إن كثيرًا من حالات الطلاق تحصل بسبب إغضاب أحد الطرفين للآخر

أسباب الطلاق ونظرة المجتمع للمطلقة!

عبدالحميد بن حسن

لا تلجأ إلى الطلاق إلا حينما تستعصي الحلول، فهو أبغض الحلال إلى الله تعالى، ويكون مباحًا إذا لم يكن فيه إيذاء بالباطل، ومتى طلق الرجل المرأة فقد آذاها، قال تعالى: ﴿فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا﴾. أي فإن أطعن أمركم فلا تلتمسوا طريقًا لإيذائهن ﴿إنّ الله كان عليًا كبيرًا﴾، أي فإن الله تعالى أعلى منكم وأكبر، وهو وليهن ينتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن.

وبناء على ما تقدم، علينا معرفة الأسباب المتفشية في المجتمع، تلك التي تؤدي إلى الطلاق، ولاسيما آثارها على الأسرة والمجتمع، والأهم، نظرة المجتمع للمطلقة، وبذلك، ينبغي لمن يرغب في الطلاق أن يراعي جملة من الأمور.

ثمة أسباب كانت تقف وراء الطلاق - قديمًا- منها:

- إيغار صدور الرجال من قبل الأهل إذا حصل للرجل مع الأيام تعلق شديد بأمه، مما يؤثر على حياته الزوجية إذا لم تكن الزوجة على وفاق مع حماتها، فإذا صادف ووقع الطلاق بين الزوجين، زاد إيغار الصدر من قبل الأهل.
- ما قد يحدث من هنات أو ذنب عادي، مثل إجابة غير مستحبة.
- الرغبة في تبديل الزوجة.
- اشتراط الجديدة طلاق القديمة.
- استبدال زوجة جديدة بواحدة من الزوجات الأربع، تكون غالبًا الأضعف، وهي حالة شديدة الندرة.

ولكن من خلال استقراء أسباب الطلاق ومبرراته، نجد أنها متعددة ومتنوعة، ويهمنا أن نذكر الأسباب المتفشية في المجتمع حاليًا:

السبب الأول

عدم التزام الطرفين أو أحدهما بشرع الله جل وعلا، وهذا هو أعظم سبب لتفشي الطلاق في المجتمع، ولذلك وجهان:

١- أن يكون الزوج غير محافظ على طاعة الله جل وعلا، ومرتكبًا للمحرمات من مسكرات ومخدرات، مما لا يمكن معه الاستمرار في الحياة الزوجية، وخاصة إذا كانت المرأة مستقيمة على شرع الله.

٢- قد تكون الزوجة غير مستقيمة على شرع الله، فلا تطيع ربها، ولا تطيع زوجها، وتحب مخالفته، ولو أطاعت ربها لأطاعت زوجها في غير معصية الله، من هنا تتعثر العشرة الزوجية بينهما، فيحصل الطلاق والفرقة.

السبب الثاني

الغضب لأتفه الأسباب، فإن كثيرًا من حالات الطلاق تحصل بسبب إغضاب أحد الطرفين للآخر، أو غضب أحد الطرفين من الآخر، فيشتد الخصام، بطول النزاع حتى يصل الأمر إلى التلفظ بالطلاق.

السبب الثالث

تدخل بعض أفراد الأسرة في الحياة الزوجية مثل والدي الزوج أو والدي الزوجة وغيرهما، ويكون التدخل بما يضر الحياة الزوجية، ويعكرها لا بما ينفعها ويصفيها، أما التدخل لقصد الإصلاح والخير، فأمر مطلوب شرعًا.

السبب الرابع

كاتب صحافي

الجهل بالسنة في الطلاق، فإن المسلم لو التزم بشرع الله في إيقاع طلاقه لا يطلق إلا بالسنة فلا يوقعه إلا في طهر لم يجامعها فيه، وتكون طلقة واحدة، فلا يوقع الطلاق في الحيض ولا في طهر جامعها فيه، ولا يزيد على طلقة واحدة، لو حصل ذلك لقلّت حالات الطلاق، ففي اتباع شرع الله الخير والصلاح، وفي مخالفته الشر والفساد.

ووجه الغرابة في هذه الكارثة المدمرة - الطلاق - ومن خلال قراءة ملفات المحكمة، أن إيقاع الطلاق قد يحصل لأسباب تافهة، ومن ذلك أن تقلب المرأة بيت زوجها جحيمًا، لأنه لم يحقق رغبتها في شراء ثوب معين، أو في زيارة في مناسبة معينة، أو لم يقم بتجديد فرش المنزل وهكذا... بل قد تطلب منه الطلاق لذلك، ومن ذلك أن يأتي الزوج فيجد المرأة لم تجهز حاجته من طعام أو لباس، فيقلب المنزل رأسًا على عقب، وأخيرًا يتلفظ بالطلاق، وقد طرقت امرأة الباب على زوجها، وهو نائم، فطلقها، لأنها أزعجته، وطلق رجل زوجته، لأن ولده مرض، وطلبت امرأة طلاقها، لأنها سمعت أن زوجها فكر في الزواج بأخرى، وهكذا...

إنعكاسات الطلاق

بعد الطلاق مباشرة، تحصل فورة من الشعور بالحرية، تدوم عدة أيام أو أكثر، ثم يليها شعور قوي بالانكسار والندم ناتج من الاعتياد والفشل سواء كان هذا الطلاق تم في سبيل تحقيق رغبة أخرى أم لا.

ويشعر المطلقان مهما كانت رغبتهما في الانفصال بأنهما فقدا قدرًا من سنين العمر الجميلة التي ذهبت عبثًا. وبالتالي فإن ندبة نفسية سوف ترتسم وتثبت في القلب مهما كان المطلق راغبًا في الانفصال.

ومقابل هذه الندبة تشكل ندبة

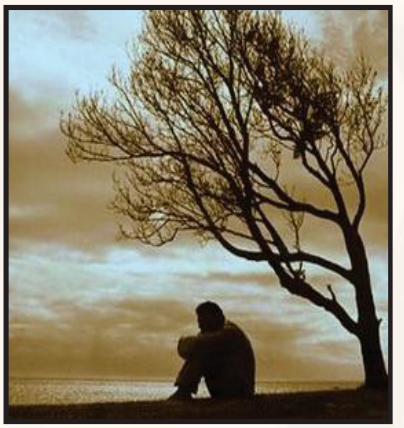

اجتماعية، ترتسم خاصة على حياة المرأة، ما يؤدي الى موقف اجتماعي جديد تجاه المطلقة، يتمثل في كثير من الأحيان فيما يلي:

١- في استبعادها عن حياتها الاجتماعية السابقة، ومن بعض التخوف منها.

٢- في تشديد الأهل عليها ومنعها من التصرفات العادية التي كانت تقوم بها، وذلك حفاظًا على سمعة الأسرة.

٣- في نظرة الرجل للمرأة المطلقة بكونها مفقودة الحواجز.

٤- في الإحجام عن التفكير بالزواج من المطلقة حتى لو كانت مغبونة.

٥- في حال وجود بنات شابات، يتشدد المجتمع في الإقدام على الزواج من بنات المرأة المطلقة.

٦- يسارع الأب الى تزويج بناته من زوجته المطلقة خاصة عند وجود زوجة جديدة.

٧- تحول الأولاد المفتقرين الى الرعاية الحقيقية نحو طريق الفساد، أو تحول الأولاد الى أدوات استخدام لايصال رسائل الكره بين الزوجين المطلقين، مما يؤدي الى (الانكشاف المبكر) لمشكلات الحياة الحقيقية بالنسبة للأطفال، وتراكم العقد النفسية في المستقبل، فقل من ينظر بمرآة الفهم الى قلوب الأطفال، كما يتحول الأطفال الى كرة مضرب يرمي بها كل من الطرفين في هدف الآخر، مدعيًا عدم رغبته في تربية الصغار، أو يتظاهر بعدم اهتمامه بتدريس الأطفال والإنفاق عليهم، إضافة الى تعلم الأطفال نقل الكلام والنميمة والتصرف السيئ، ناهيك عن شعور المعنيين بالأسى والإهانة، إضافة الى الصعوبات المالية التي تتعرض لها المرأة المطلقة.

نظرة المجتمع للمطلقة

ينبغي أن يعيد المجتمع نظرته الخاطئة الى المطلقة، فهي تحتاج إلى نظرة عطف وحنان، ثم ان كثيرًا من المطلقات لم يكن هن السبب في طلاقهن، فهناك من تطلق وهي المظلومة، وهناك من تطلق، لأن الله جل وعلا بعدله لم يجعل في قلبها حبًا لزوجها أو العكس وغير ذلك. ثم إن هناك من المطلقات المستقيمات على شرع الله من يكن خيرًا من البكر، بل هناك من تركت زوجها أو رغبت في الطلاق منه ابتغاءً لوجه الله، كأن يكون الرجل الذي طلقها تاركًا للصلاة أو مرتكبًا لكبائر الفحشاء والمنكر، لا يمكن للصالحة العفيفة العيش معه، فهذه ينبغي أن تجل وتحترم أكثر من غيرها لصلاحها وتقواها، ثم إن على المطلقة أمورًا هي:

أولًا: أن تتقي الله جل وعلا، وتصبر وتعلم أن الخيرة فيما اختاره الله، ﴿وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم﴾.

ثانيًا: أن تعلق رجاءها بخالقها جل وعلا، فهو يرزق من يشاء بغير حساب.

ثالثًا: أن تعلم أن الدنيا متاع، والآخرة خير لمن اتقى، ولتكن نظرة المسلم والمسلمة مطلقة أو ذات بعل الى الآخرة ومستقبلها الجنة والنجاة من النار، وتعمل لذلك.

رابعًا: أن تراجع حساباتها مع نفسها، فتنظر إلى السبب في طلاقها، فإن كان لها فيه مشاركة فلتقلع عن ذلك، ولتعدل من تصرفاتها ومعاملتها مع الآخرين.

الأطفال والانفصال

بشرى شاكر
باحثة مغربية

الطلاق أو الانفصال كلمتان لمعنى واحد، فهو نهاية زواج وعوامل جديدة تعيشها الأسرة بعد أن كانت مترابطة، وإن كان هذا الأمر هو أبغض الحلال عند الله ولا يلجأ له إلا بعد أن يستوفي الطرفان كل وسائل الصلح والترغيب من قبل الأهل والأقرباء والأصدقاء أيضا، ولأن الإسلام يعلم الضرر الذي ينجم عنه سواء لكلا الطرفين أو للعائلتين وبالأخص بالنسبة للأطفال.

هذا الطفل الذي من المفروض أن نهيئ له جوا تربويا جيدا يجعله ينمو ويكبر بنفسية مستقيمة وسليمة تجعله إنسانا فاعلا في مجتمعه، هذا والأسرة مجتمعة ومترابطة فكيف إذن لو توجب على هذا الطفل أن يعيش مع أحد الأبوين أو في تناوب بينهما بعد انفصالهما؟

حينما يتعذر الإبقاء على عقد الزواج فإن الحل الأنسب وإن كان الأبغض هو الطلاق، وأحيانا يكون أفضل للطفل من العيش في أسرة دائمة المشاكل وكثيرة الصراخ مما لن يوفر له بالتأكيد جوا تربويا سليما، ولكن يبقى أن هذا الطفل يتأثر بهذا الانفصال الذي قد يكون مفاجئا له فيتحول من حضن أسرة بأب وأم إلى أسرة جديدة تكونها الأم أو الأب وربما مع شريكين جديدين.

والطلاق حينما يكون واقعا لابد منه، فليكن كما أمر الله سبحانه أي بالإحسان، ونسب المعروف للإمساك إذ قال سبحانه وتعالى في سورة البقرة: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾. الإحسان ينبني على المعروف ولكن أيضا على استمرار المودة والابتعاد عن البغض والكراهية، وذلك لكي لا يتأذى كلا الطرفين وبالأخص حتى لا يشعر الأطفال بتغيير كبير يصيبهم بأزمات نفسية، كما انه من الإحسان أن يؤدي الرجل مهر المرأة وكامل حقوقها وعليه أيضا رعاية الأطفال نفقة وحضورا.

الأسرة هي مجتمع مصغر بأفراد يكونونها، فإن صلحت صلح هذا المجتمع وإن فسدت فسد، وعلينا أن نفهم أن الطفل هو فرد كامل يؤسس بدوره دعامة قوية في البيت ويشكل دعامته المستقبلية بل يمثل دعامة مجتمع الغد والمستقبل، وكأي شخص يكون هذا المجتمع المصغر فإن الفرقة التي تنتج فيه والتغيير الذي يحدث بعد الانفصال يؤثران فيه بشكل كبير وخاصة أنه ألف العيش بين والديه وفتح عينيه على عالم شكلاه معا.

الأكثر عرضة لهاته المشاكل هم الأطفال الذين يرفضون الحزن والقلق ويخفون همهم وإحساسهم

ولعل من قيم الإسلام النبيلة هو اهتمامه بتربية الأطفال بين والديهم رغم الانفصال حتى إنه حرم كتم المرأة لحملها بعد انفصالها، أولا لمحاولة إصلاح ذات البين قبل الوصول إلى قرار الطلاق النهائي ولكن أيضا إدراك منه أن التربية السليمة يجب أن تكون بين الوالدين ولا يمكن الاستغناء عن أحدهما والاكتفاء بطرف واحد فقط حتى بعد الانفصال، وقد قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

الطفل هو ضحية هذا الطلاق أو الانفصال، فالأب والأم ينسيانه في خضم مشاكلهما ولا ينتبهان إلى أنه يعيش وإياهم هاته المراحل دون رغبته، فهو لم يختر أن يولد بهذا البيت ولم يكن طرفا في قرار الانفصال، ومع هذا فهو يعيش نفس المشاعر بل بزيادة أكبر إذ إنه لا يعرف لم يحصل كل هذا؟ ولماذا تتحول عائلته التي أهدته الحب والحنان في الأول إلى عائلة لا تطيق بعضها البعض وتريد أن تحدث فرقة لم يهيأ لها هذا الطفل نفسيا؟!

ولنحاول فهم ما يحصل، يمكننا أن نتحدث عن منظومة الثنائي الذي يشكله الأب والأم والذي يؤدي فيها كل منهما الدور المنوط بجنسه، فلكل منهما خصائصه الوراثية ولكل منهما شخصيته الخاصة، بمزاياها وهفواتها ونقط ضعفها والابن هو نتاج للقاء الاثنين منذ كان نطفة.

وغالبا ما نتحدث عن العلاقة الثنائية بين الطفل ووالدته، وهذا أمر ضروري في التربية ولكن العلاقة الفعلية رغم ثنائيتها بين الأم وطفلها خلال السنتين الأوليين من عمره، إلا أنها في الحقيقة علاقة ثلاثية فوجود الأب ضروري جدا لنمو نفسي سليم للطفل.

فالطفل يبدأ بالإحساس بوالده وهو بعد جنينا داخل الرحم سواء من خلال مشاعر أمه أو من خلال ترجمة صوت الأب.

خلال السنوات الأولى من عمر الطفل يكون التعايش بين الأم والطفل ذا أهمية قصوى وله خصوصية كبيرة، حيث يتطلب الطفل في هذه المرحلة حنانا وعطفا، وتواجد الأم وفقدانها يعد بمثابة خطر جسيم يلحق بالطفل فيؤثر على نموه العقلي وبالتالي الجسمي أيضا، وكلما كانت علاقة الأم بالوالد علاقة جيدة وآمنة كلما استطاعت أن تلعب دورها في هذه المرحلة كما يفترض بها وكما يجب، وانطلاقا من السنة الثانية ولاسيما في سنتيه الثالثة والرابعة يبدأ الطفل بالابتعاد نسبيا عن أمه والتوجه نحو محيطه ولكي يحصل هذا من الضروري تواجد الأب الذي يساهم في إقحامه بشكل صحي في مجتمعه.

الطفل يحمل على عاتقه ثقل هذا الانفصال لأنه يعيش احتفاء بهذا الحلم المفقود فينكر موت الثنائي الذي يمثله أبواه ويبقي في مخيلته على صورة اصطناعية للثنائي الفقيد.

لذلك نجد أنه بالنسبة للطفل طلاق الوالدين ليس بالأمر الهين أبدا مهما كان الاهتمام الذي يمكن أن يحظى به من قبل محيطه الأسري فهو يعيش نزاعا داخليا صعبا، إذ تكون هاته التجربة قاسية وعنيفة عليه. وتبدي الدراسات النفسية أن الأطفال الذي يحضرون شجارات والديهم ونزاعاتهم يعيشون حالة الطلاق الذي يحصل بينهما بشكل نفسي واجتماعي أسهل من الذين يصدمون بفكرة انفصال والديهم دون أن يلاحظوا أية بوادر نزاعية خارجية تدل على أنهم سوف يقدمون على فعل الطلاق والانفصال. وهنا لا نريد أن نقول أن النزاعات شيء صحي بالنسبة لأطفال الأزواج الذين يريدون الطلاق، ولكن نريد أن نثبت أن الطفل الذي ننساه في حساباتنا الراشدة هو أيضا مكون مهم في الأسرة وعلى المنفصلين أن يدرجوا له خبر انفصالهم بطريقة تمكنه من تفهم حدوث الانفصال ولا نفاجئه بوقوعه دون أخذ رأيه أو حتى إعلامه.

وبصيغة أخرى، الأطفال الذين يعيشون حياة عائلية مضطربة بين والديهما والتي تكون عادة مليئة بالشتائم والنزاعات، ينظرون للطلاق على أنه نهاية حياة مأساوية وكريهة وربما فرجا، أما بالنسبة للأطفال الذين يعيشون وسط عائلات لا تعاني من مشاكل كبيرة، ينظرون للطلاق على أنه فاجعة حلت بهم وينغمسون في مشاكل نفسية واجتماعية خطيرة.

والأكثر عرضة لهاته المشاكل هم الأطفال الذين يرفضون الحزن والقلق ويخفون همهم وإحساسهم بنوع من النفي وتبريرات كثيرة.

ويصعب أن نفسر تأثير الانفصال على الطفل الرضيع ولكن قد يعزز هذا الانفصال العلاقة بين الأم والطفل بشكل أكبر مما يعيق العلاقة الحسية بين الرضيع وبين الأب، ويتأقلم الطفل في هذه السن عادة مع الوضع بسبب غياب والده ولكنه يكون أكثر إحساسا بالتقلبات المزاجية لوالديه مثل التوتر والكآبة وقد يعبر عن ذلك بكثرة حركته أو عنفه وبكائه، واكتساب النطق قد يساعده على التعبير عن ألمه.

أما تأثير الطلاق على الطفل بين السنتين والثلاث سنوات فإن حدوث الانفصال قد يؤثر سلبا على تعلمه مهارات النطق وتطوره الحركي أيضا.

والانفصال بعد هذه السن عموما يجعل الطفل يتوجه بثقته نحو الطرف الذي بقي معه ويتعامل مع الطرف الآخر بحذر شديد أو تجاهل تام أو ينفر منه ويكون وفيا لطرف دون الآخر. وفي سن متقدمة فإن الطفل يحاول أن يلعب أدوارا مختلفة أحيانا كثيرة يدفعه لها الآباء أنفسهم فإما يقوم بدور الوساطة بين والديه وإما بدور الرسول أو بدور الصديق المؤتمن من قبل الطرف الأقرب إليه، وغالبا ما يكره الطرف الآخر ويحتقره لأنه يسمع من قبل طرف واحد، ومرات يحس انه رجل البيت وأن عليه أن يحل محل الأب الغائب وأحيانا يرى نفسه في دور المنقذ والمراقب.

وهذه بعض النصائح التي يمكن أن تساعد الأطفال في حال أصبح الطلاق أمرا حتميا:

- لا يجب أن نحدث الأطفال بطريقة سلبية عن الطرف الآخر سواء من قبل الأم أو الأب أو من قبل العائلة.
- في حالة الشعور بالغضب فمن الأفضل اللجوء إلى صديق للحديث عن مشاكل الانفصال دون أن تصب جام غضبك على طفلك أو تقحمه في متاهاتك المزاجية.
- لا تشعر طفلك بأنه غير وفي في حال كان يلاعب بفرح الطرف الغائب عن البيت أو يظهر غبطة لرؤيته وحضوره.
- حينما يلتقي الوالدان أمام طفلهما فعليهما إبداء الاحترام لبعضهما البعض، فلقاء الطفل بوالديه ليس مناسبة لبدء الشجار من جديد.
- علينا أن نترك الطفل يتحدث حينما يرغب إلى الطرف الغائب عن البيت عبر الهاتف مثلا.
- لا تسأل طفلك عن الآخر إن لم يرغب بإعطائك أية تفاصيل عن الوقت الذي أمضاه معه، وخاصة لا تسأله عن حياة الآخر الشخصية.
- قبل أن تحدثوا الطفل عن موعد لقاء بأبيه مثلا أو مشاريع بالعطلة، على الأم أن تناقش الموضوع مع الأب لكي لا يشعر الطفل بالإحباط إن وعد بشيء ولم يحز عليه وحتى لا يفقد ثقته فيما تقوله أمه أو أبيه.
- من الأفضل ألا نحكي عن مشاكل الطلاق أمام الأطفال، لتركهم يعيشون حياة مستقرة ونبعدهم ما أمكن عن التغيير السلبي في حياتهم.
- يجب ألا نظهر للطفل أننا غاضبون لأنه يفضل أن يذهب لأحد الأبوين دون الآخر أو لرغبته في رؤية احدهما أكثر، ولا نظهر طبعا أننا نحقد على الطرف الآخر بل نعلم الطفل أن ما وقع بين الأبوين هو أمر نجم عن اختلاف وجهات النظر ولكنه ليس أمرا يجعلنا نحقد أو نمنعه من رؤية والده أو أمه.

صرخة مراهق: لا تسخروا من مشاعرنا

هبة محمد أبوالفتوح
كاتبة صحفية

مرحلة المراهقة من أكثر وأسرع المراحل تطورًا وتأثيرًا في حياة الإنسان، بعد مرحلة الطفولة، فهناك مبادئ يزداد فهمها وثباتها، ومعلومات أصبحت واضحة بصورة أفضل، كما يجد المراهق نفسه بدأ يتعامل بأسلوب مختلف وأكثر نضجًا مع من حوله، وأكثر من يلاحظ هذا الاختلاف هم الوالدان والأقارب، والجيران.

يغير «الكبار» أسلوب معاملتهم، إذ أصبحوا يعتمدون على أبنائهم وبناتهم بصورة أكبر، كما يصبح أسلوب الحوار أكثر نضجًا وصراحة.

ولكن تزداد التنبيهات والمحظورات في هذه المرحلة أيضًا، وهي ليست نابعة من فراغ، أو لرغبة الكبار في فرض سيرتهم، لكن لأن الأمور بالنسبة للمراهق لم تتضح بعد، وهي جديدة وغريبة، ويحتاج المراهق لأن يعرف ويفهم «لماذا» و«كيف» وتزداد تساؤلاته بداخله، «اسمعونا.. وتكلموا معنا بصراحة»، «لا تسخروا من مشاعرنا»، «لا تجعلونا نخاف منكم أو نكذب عليكم».

إن خوف الوالدين على أبنائهم في اجتياز هذه المرحلة بسلام، لا يكفي وحده دون إبداء الأسباب، أما أسلوب التخويف فلم يعد مجديًا إذ لم يعد المراهق طفلًا.

نحتاج لمن يتكلم معنا.. ويسمعنا!

صيحة بداخل كل مراهق، إنه يفتقد الحوار، ويفتقد من يتحدث معه، يقول «الابن أو الابنة»: «إن الكبار يتعاملون معنا وكأننا أطفال، وكأننا لا نسمع إلا آراءهم فقط، فهم يريدون منا أن نتصرف كما يتصرفون هم».

ويقول الوالد: «يظن ابني أنه أصبح ناضجًا وأنه يعرف كل شيء» وينفد صبره سريعًا بمجرد البدء في توجيه نصيحة له، فكيف إذن سيفهم ويتعلم؟»

الإسلام يجعل من الحوار بين الآباء وأولادهم ركيزة أساسية في التربية

قالت إحدى الأمهات: «إنني أتخيل أن ابنتي (١٦ عامًا) تأتي إلي في يوم لتقول: «أحب زميلي، وأريد أن أتزوجه» أو أن تكون قد تزوجته عرفيًا بالفعل، ونحن لا نعرف».

إن إنكار الوالدين لمشاعر أبنائهما وبناتهما في سن المراهقة لا يلغيها، لذلك فبدلًا من الخوف والانتظار يجب تهيئة ذهن المراهق لكل ما يمكن أن يسمعه، أو يراه أو يعرض عليه من زملائه بالمدرسة، أو بالكلية، أو من أي إنسان يمكن أن يتصل به.

وأسلوب التخويف لا يصل إلى عقل المراهق، ولكن يجب شرح حقيقة هذه المشاعر والعواطف والعلاقات بطريقة صحيحة، وصريحة، وفتح مجال الحوار والأسئلة بدون حرج بين الابن ووالده، أو والدته، وإنارة الطريق أمامه حتى يمكن أن يميز أسرته، من ورائهم، أو خوفًا منهم.

ويجب على المراهق أن يفهم ويتأكد - تمامًا- أن مشاعره أو عواطفه التي تتجه سريعًا إلى الجنس الآخر، لا يمكن معها أن يتخذ في هذه السن قراره باستمرار العلاقة أو بالزواج لمجرد أنه يحب «أو هكذا يعتقد».

لذلك كان من المهم أن يفرق المراهق بين القصص والأفلام، وبين الحياة والواقع، فإذا استطاع أن يفهم ويفرق جيدًا، فإنه يسهل عليه بعد ذلك تلقي المعلومات التي تهمه، وتحفظ نفسه وسمعته، وكرامته بعيدًا عن مشكلات الحب في هذه السن.

دعوة من الشباب إلى كل من الوالدين

- لا تسخر من مشاعري عندما أتحدث معك، لا تستخف من أسئلتي، واشرح لي كل ما يهمني بلا حرج، فأنا لن أطمئن للكلام إلا مع أبي وأمي.
- اشرح لي كيف أتصرف عندما أسمع كلمة من الجنس الآخر تصرح لي: «أحبك»! وأنا مازلت في هذه السن.
- شجعني على ممارسة هوايتي ورياضتي، حتى في فترة الدراسة.
- لا تجعلني أخاف أو أكذب عليك عندما أحكي لك كل شيء أراه، أو أسمعه من الزملاء، أو من أي مصدر آخر.
- «لا تظن أنني مازلت صغيرًا»، فجيلنا مختلف، ولكننا يجب أن نتعلم منكما لأننا نحبكما ونحترمكما.
- لا داعي للخوف، فبداخلنا مبادئ، وطاعة الله مغروسة فينا منذ صغرنا، وهي تحمينا.

آمال العامري رئيس أول جمعية للمالية الإسلامية بتونس في حوار خاص:

نستهدف بناء جيل من المتخصصين في المالية الإسلامية لدعم المشروع الاقتصادي الإسلامي

حوار: رضا عبدالودود

رغم عقود من سياسات طمس الهوية الإسلامية وسلخ الشعب التونسي عن عروبته وانتمائه الحضاري الإسلامي، أثبت الشعب التونسي أنه جزء مهم وفاعل في مسار الحضارة الإسلامية والعربية.. فمع مطلع عصر الحرية الجديد في البلاد تداعت ملايين الشعب نحو رموز المشروع الحضاري الإسلامي من مساجد ومظاهر تعبدية وعمل خير وتطوع لإعادة بناء تونس وفق رؤية وطنية محورها الإسلام.

فعلى صعيد العمل الاجتماعي الذي يعبر تعبيرا صادقا عن حياة الشعوب، شهد المجتمع التونسي خلال الأيام الأخيرة تشكيل نحو ١٠٠٠ مؤسسة مدنية في المجالات كافة، رافعة شعار العمل الوطني وتنمية المجتمع المدني التونسي الذي ظل لسنوات رهن الإقصاء والتهميش، ما انعكس سلبا على حياة التونسيين.

ومن تلك المؤسسات العاملة لمستقبل تونس، جاء تأسيس الجمعية التونسية للمالية الإسلامية في ٢٨ فبراير ٢٠١١ كأول جمعية اقتصادية تحمل الفكر الإسلامي للمجتمع التونسي في مجال المالية التي تعد عصب الحياة الاقتصادية.

وفي سبيل جمع الخبرات المالية الإسلامية يجوب وفد من الجمعية عددًا من الدول العربية والإسلامية لتعميق التواصل والاستفادة من الخبرات السابقة في المجال المالي الإسلامي للبناء عليها في تونس، وفي خضم السجالات والحوارات الكاشفة لمستقبل الأمة الإسلامية والعربية في طور التحولات الديمقراطية التي يشهدها عدد من بلداننا، التقينا برئيس الجمعية السيدة آمال العامري خلال زيارتها الكويت بدعوة من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.. ودار معها الحوار التالي:

ظهور ١٠٠٠ جمعية مدنية في تونس دليل حياة الشعب وارتباطه بحضارته الإسلامية

● بداية نود التعرف على الجمعية التونسية للمالية العامة بوصفها تجربة جديدة على الشارع التونسي؟

فكرة إنشاء الجمعية كانت حاضرة في الذهن منذ وقت طويل، في ظل ظروف التراجع الاقتصادي وغياب الشفافية والمحاسبية في المنظومة التونسية التي فرضت على المجتمع لسنوات طويلة التجربة الغربية وهمشت الأفكار الإسلامية كافة، دون محاولة الاستفادة من تاريخ الحضارة والتجارب الإسلامية الرائدة والتي يدرسها الغرب في مناهجه الأكاديمية، في الوقت الذي كان التونسيون يحرمون فيه من الاستفادة من تاريخهم في المجال الاقتصادي.

وقد ألحت علينا الظروف الحالية التي تمر بها البلاد، من انفتاح سياسي وحراك مدني وحريات مجتمعية شاملة في مجالات الحياة المختلفة، وتتويجا لاهتماماتي واهتمامات العديد من الرموز الاقتصادية والفكرية الذين يحملون الهم الإسلامي وأصحاب الاختصاص العاملين في المالية

وخاصة ذوي التوجه الإسلامي، شكلنا الجمعية.

● لماذا المالية الإسلامية؟

تبرز أهمية ذلك الجانب المتخصص في الحياة الاقتصادية، وكذلك وجدنا كثيرًا من الدول في الشرق والغرب تولي أهمية كبيرة للمالية الإسلامية في ضوء التطورات الفائقة في الدول صاحبة التجارب الاقتصادية ذات المرجعية الإسلامية.

كما وجد المؤسسون للجمعية فقرا كبيرا في المتخصصين بالمالية الإسلامية سواء كان في المعاهد العليا أو الكليات أو الجامعات، ليس لدينا مراجع لنتعلم المالية الإسلامية، ومن هنا جاءت الفكرة لتأسيس جمعية تعنى بالمالية الإسلامية في تونس.

مرجعية إسلامية

● هل تستهدفون أن تصبحوا مرجعية للتمويل الإسلامي في تونس؟

نعم نرجو أن نكون المرجع الأساسي للمؤسسات المالية لنقدم الطرح أو القراءة الإسلامية والمشورة، بالإضافة إلى أننا سنعمل لتعميق البحث العلمي وإصدار الكتب وعقد الندوات والمؤتمرات العلمية لتكوين وتطوير الكفاءات والخبرات التي ستقود المصرفية الإسلامية، وسنسعى لنكون داعمي قرار للمشروعات الاقتصادية وفق الرؤية الإسلامية.

● وهل لديكم الكفاءات العلمية المؤهلة لتلك الأدوار والأهداف المعتبرة؟

نحرص على الاستفادة من الخبرات كافة في مجال المالية الإسلامية على المستوى العالمي، وحرصنا أن تضم تركيبة الأعضاء المؤسسين جميع الخلفيات العلمية، الهيئة المديرة تتكون من اختصاصات متعددة، بيننا من هو أخصائي في القانون وفي المحاسبة وفي المالية التقليدية والعلوم الشرعية والمعاملات المالية الشرعية، ولدينا خبراء في التدقيق فهناك تنوع ما بين التقليدي والشرعي.

بعد الثورة التونسية أصبح مجرد الإعلام بتأسيس الجمعية هو تأشيرة الموافقة الإدارية

وقد اكتسبنا خبرات عديدة خلال زيارتنا الحالية للكويت واطلعنا على تجارب بيت الزكاة الكويتي والعديد من المؤسسات الخيرية وتجارب المالية الإسلامية بجامعة الكويت.

● هل سيكون هناك دور في الجمعية لبعض المرجعيات الإسلامية؟

الجمعية ذات بُعد تخصصي في الجانب المالي، ولم نأخذ الجانب الاقتصادي لأنه جانب كبير وشاسع ورحب، وكل القامات المالية الإسلامية هم مرجع لنا (الشيخ انس الزرقا، د.محمد بن القطان، القره اغي) عندنا عدة أسماء نستوحي منها ونستنتج ونستنبط ولا نقف عند منحى واحد أو مدرسة واحدة.

● ومن أعضاء الهيئة الإدارية التي ستتولى إدارة نشاطات الجمعية؟

آمال العامري رئيسًا، حاتم بن إبراهيم نائب الرئيس، بلال العويني الكاتب العام، إبراهيم البخاري أمين المال، أما الأعضاء فهم محرزية برايكي، سنية زاكور، كمال فطناسي، د.إبراهيم فطناسي، درة الجليدي.

● هل أخذت الجمعية صفة الشرعية القانونية؟

التوجه الحالي بعد الثورة يقضي بأن مجرد الإعلام بتأسيس الجمعية هو تأشيرة الموافقة الإدارية، أما في السابق فقد كان الطلب يقدم لتأسيس الجمعية وتنتظر ثلاثة أشهر وإن لم يقع رد بالرفض، فبعد ثلاثة أشهر يعتبر عدم الرد تأشيرة ومن حقك أن تمارس نشاطك، الآن يتبعون النظام الفرنسي بمجرد الإعلام من حقك أن تمارس العمل.

● هل تتلقون دعما من الحكومة؟

سابقا ووفق القانون القديم أنه إذا أسست جمعية فهناك دعم مادي من الدولة، ولكن النظام البائد ترك لنا إرثًا من الفقر والبؤس حال دون التمتع بأي شيء، فلم يعد هناك أي دعم؛ لأن الوضع الاقتصادي لا يحتمل، خاصة أن الساحة التونسية شهدت مؤخرا تأسيس قرابة ١٠٠٠ جمعية، وهذا دليل على تعطش بعد سنوات القهر والاستكانة والكبت والحرمان والتعتيم، وسنغطي تكلفة أنشطتنا من خلال نشاطات علمية تجارية كدورات تدريب ودراسات واستشارات في المجالات الاقتصادية وخاصة المالية، بجانب مساهمات الأعضاء والمهتمين بالمالية الإسلامية.

● على المدى القصير ما أبرز المناشط التي ستنزلون بها الشارع

فكرة «أطعمك أسودك» اكتوى بها الشعب التونسي طوال عقود من التغريب وفرض الأجندة الغربية وتشويه عقيدتنا

التونسي للتعريف بجمعيتكم؟

نحن الآن نعد لعقد يوم للتعريف بالمالية الإسلامية يتضمن فعاليات ثقافية وحملة علاقات عامة، ثم ندوة أخرى حول «الوقف ودوره في التنمية» وذلك خلال شهر مايو ٢٠١١م.

● وماذا عن تجربة مصرف الزيتونة الإسلامي؟

حقيقة تجربة البنك بدأها محمد صخر الماطري، وهو صهر الرئيس السابق، ومجموعة من المستثمرين المعروفين بقربهم من العائلة الحاكمة سابقًا، وانطلق مصرف الزيتونة في تقديم خدماته للعموم في مايو ٢٠١٠ برأسمال قدره ٣٥ مليون دينار (الدولار يعادل ١,٤ دينار)، ليصل في شهر أكتوبر ٢٠١٠ إلى حدود ٧٠ مليون دينار، وأثار المصرف منذ انطلاقه في العمل مخاوف بقية المؤسسات البنكية العاملة في تونس بسبب تورط البنك في احتكار السوق المصرفية في البلاد، نظرًا لنفوذ صهر الرئيس المخلوع. وقد تم تجميد عمل البنك في يناير ٢٠١١م، وتم إخضاعه لإشراف ورقابة البنك المركزي، إلا أن إجمالي التجربة بعيدا عن السياسات الخاطئة تعتبر نوعية في تونس، والأهم فيها هو اجتذابه أموالا تونسية وثقت في النظام الإسلامي، مما يفرض علينا كجمعية للمالية الإسلامية بذل المزيد من الجهود لتطوير وبناء قاعدة علمية واسعة من الخبراء والعلماء لتطوير المجال الاقتصادي الإسلامي.

● ولكن ما مدى قابلية المجتمع التونسي للأفكار الإسلامية بعد سنوات التغريب الطويلة التي عاشها؟

فوجئ الجميع، رغم المحاولات الشرسة للقضاء على الهوية الإسلامية، بالشعب التونسي الذي كشف عن تمسكه بالإسلام وعروبته منحازا إلى أمته وحضارته، لذا تجد إقبالًا كبيرًا في الشارع التونسي على الفعاليات الثقافية الإسلامية والالتزام الأخلاقي والديني، فهناك حماس كبير لبعث وتأسيس الجمعيات الخدمية والمدنية، مثل جمعية التفكير الإسلامي، وجمعية تونس للثقافة والحوار، وجمعية الإسلام والديموقراطية، وهي امتداد للجمعية الرئيسية في أميركا، إضافة إلى العديد من الجمعيات التنموية والجمعيات الخيرية، وكلها عناصر تتبنى المشروع الإسلامي.

نرفض المال المسيّس

● ولكن نحن نسمع أن مستوى المعيشة للشعب التونسي مرتفع؟

ما يرى غير ما يسمع، فتونس تعيش حالة فقر، ونحن بحاجة إلى أن تدر أموال إخواننا العرب والخليجيين والمسلمين، فلا رغبة لنا في المال المسيّس والمشروط الذي يقدمه لنا الاتحاد الأوروبي أو الأميركان وغيرهم، لأن هذا يؤثر على سيادة الدولة واستقلالها ويقلص من حرية اتخاذ القرار، وذلك انطلاقا من فكرة «أطعمك أسودك» التي اكتوى بها الشعب التونسي طوال عقود من التغريب وفرض الاجندة الغربية وتشويه عقيدتنا والتضييق على ثوابتنا الدينية، بل محاولة اقتلاعها نهائيا من مناهجنا التعليمية والاجتماعية والإعلامية.

الاقتصاد المتحول شوه صورة الاقتصاد الإسلامي

● هناك بعض الملاحظات على الاقتصاد الإسلامي وبعض الانتقادات فما تعليقكم؟

الصورة النهائية للمعاملات المالية الإسلامية لم تكتمل، وبالتالي القراءات والاجتهادات والبحث جار، وخلال فترة البحث، وخلال فترة الانتشار أو التأسيس تحدث بعض العثرات، ولابد لكي نتعلم أن نخطئ.. والجميع منكب على البحث والدراسة، كل من منحاه، فنجد تيارات ومدارس واجتهادات شخصية، وذلك مرجعه أن التجربة الإسلامية لم تبلغ مرحلة النضج، ولكن هي في طور التكوين حتى الآن، ولكنها على الرغم من تلك العثرات حققت مكتسبات وأجابت عن العديد من التساؤلات.

صحيح أن هناك بعض التعثرات التي تضرب التجارب الاقتصادية التقليدية المتحولة لا التي تنشأ إسلامية من المنبت، والمتحول يكون دائما في حالة توفيق، يحاول أن يحافظ على المنتج التقليدي، ولكن يريد أن يؤسلمه مع المحافظة على جوهره، وهذه المحاولات تجعل عملية المحاكاة محط شبهة وانتقاد.

العلامة المربّي القدوة عبدالرحمن الباني (يرحمه الله)

(١٣٣٥ - ١٤٣٢هـ)

محمد زياد التكلة

توفي قبيل فجر الخميس ١٤٣٢/٦/٩ هـ في الرياض الشيخ العلامة الزاهد، مؤسس علم التربية الإسلامية، التقي النقي الخفي، الشيخ الصالح القدوة المعمّر، أبوأسامة، عبدالرحمن بن محمد توفيق الباني الحَسَني الدمشقي، نزيل الرياض، والمتوفى بها، إثر مرض عضال، رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، وأخلف على المسلمين من أمثاله.

أَهَكَذَا البَدْرُ تُخْفِي نُورَهُ الحُفَرُ
ويُفْقَدُ العِلْمُ لا عَيْنٌ ولا أَثَرُ
خَبَتْ مَصَابِيحُ كُنَّا نَسْتَضِيءُ بها
وَطَوَّحَتْ للمَغِيبِ الأَنْجُمُ الزُّهرُ
وَاسْتَحْكَمَتْ غُرْبَةُ الإسلامِ وَانْكَسَفَتْ
شَمْسُ العُلومِ التي يُهْدَى بها البَشَرُ
تُخُرِّمَ الصَّالِحُونَ المُقْتَدَى بِهِمُ
وقامَ مِنْهُمْ مقامَ المُبْتَدا الخَبَرُ
فَلَسْتَ تَسْمَعُ إلا «كانَ ثُمَّ مَضَى»
ويَلْحَقُ الفارطَ الباقي كما غَبَرُوا
والناسُ في سَكْرَةٍ مِنْ خَمْرِ جَهْلِهِمُ
والصَّحْوُ في عَسْكَرِ الأمواتِ لو شَعَرُوا
نَلْهُو بِزُخْرُفِ هذا العَيْشِ مِنْ سَفَهٍ
لَهْوَ المُنَبِّتِ عُودًا ما لَهُ ثَمَرُ

نسب الشيخ وأسرته

ينتسب لأسرة دمشقية عريقة، معروفة بالعلم والأدب، وتعدد العلماء والفضلاء في الأسرة، ولعل أشهرهم العلامة السلفي الشيخ محمد سعيد الباني (ت١٣٥١) مؤلف «عمدة التحقيق في التقليد والتلفيق»، وهو عم شيخنا، ومنهم الشيخ محمد توفيق الباني (ت ١٣٣٨)- والد شيخنا- وكان من أهل العلم المشتغلين بالتجارة، وكان قد خَلَف والدَه (جد الشيخ) معيدًا لدرس البخاري تحت قبة النسر في الجامع الأموي، من أيام جدّه لأمه الشيخ مسلّم الكزبري، إلى أيام بدر الدين الحسني، ووالدة شيخنا إحدى الفضليات الصالحات، واسمها فاطمة القاري.

الدراسة وطلب العلم

دخل شيخنا المدرسة الجوهرية السفرجلانية، لصاحبها معلم الأجيال في دمشق الشيخ محمد عيد السفرجلاني، واستفاد كثيرًا من توجيهاته ونصائحه، واستفاد أيضًا من مدرّسيها، وعلى رأسهم الشيخ علي الطنطاوي، والشيخ عبدالوهاب دبس وزيت، والشيخ سعيد البرهاني، وكان الطلبة يدرسون فيها اليوم كاملًا، ويصلون الظهرين في جامعها، ويأتون بغدائهم في السفرطاس (حافظة الطعام).

ثم أكمل دراسته في مكتب عَنْبَر، ثم في مدرسة جودة الهاشمي، وكان منذ ذلك الوقت يناديه المدرسون: «السيد الباني»، احترامًا لشخصيته وعلمه وسلوكه، وكانوا يقدّمونه فيها، ومن أساتذته الذين تأثر بهم الشيخ عبدالقادر المبارك، والشيخ محمد سَليم الجُندي، والشاعر محمد البزم.

ثم دخل معهد المعلمين، وكان الأول على دفعته، وكتب فيه بحثًا عن ابن خلدون، وآخر عن أسلوب التربية، وحصّل شهادة أهلية التعليم سنة ١٣٦٢ (يوافقها ١٩٤٣م).

ودرّس بعد تخرجه في مدرسة التهذيب قرب جامع الحنابلة في الصالحية، ومدرسة سعادة الأبناء التي أنشأها الشيخ علي الدّقّر، ومدرسة عمر بن عبدالعزيز في حي عَرْنوس، درّس فيها الصف الأول.

الانتقال إلى السعودية

بقي شيخنا رأس المناهج الشرعية في سورية نحو عشر سنين، وكانت سمعته وجهوده العلمية وصلت لكبار العلماء في السعودية، فحاول سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله ضمّه للجامعة الإسلامية أوائل تأسيسها، عندما سعى لاستقطاب كبار علماء العالم الإسلامي للجامعة، ولكن اعتذر شيخنا بأن بقاءه في المناهج الشرعية أكثر نفعًا، وفي وقت مقارب استدعاه وزير المعارف في السعودية

معالي الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ رحمه الله للعمل في الوزارة، وأرسل له الشيخَ عبدالعزيز المسند رحمه الله- وهو حدّثني بذلك- فرأى شيخنا أن هناك مجالاً جديدًا رحبًا لخدمة الإسلام عبر المناهج في السعودية، إضافة للتضييق الذي حصل له في بلاده، فانتقل إلى الرياض سنة ١٣٨٣ تقريبًا (نحو سنة ١٩٦٤م)، وحدثني معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي- أمين الجامعة الإسلامية آنذاك- قال: كنا حريصين جدًا على قدوم الشيخ الباني للجامعة، ولكن «خطفته منا» وزارة المعارف!

وبانتقاله للسعودية صار شيخنا من أركان التعليم الحديث فيها، فعمل في وزارة المعارف، وفي إدارة معاهد إعداد المعلمين.وأيضًا كان عضوًا في لجنة المراجعة النهائية للموسوعة العربية العالمية التي صدرت في ثلاثين مجلدًا برعاية ولي العهد الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود، وعضوًا في لجان جائزة الملك فيصل العالمية ثلاث سنوات.

وشارك في عدد من المؤتمرات العلمية والإسلامية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.

من صفات شيخنا الجليل

الإخلاص:

كل من يعرف الشيخ يعلم أنه كان مبتعدًا تمامًا عن الأضواء، ويهرب منها، ويعمل أعمالاً كبيرة في صمت، مع كره بالغ للثناء، لقد عمل الشيخ أكثر من ستةً عقود في مجال التربية والتوجيه والتعليم مشرفًا ومؤسسًا ومدرّسًا، ومع ذلك ما كان يتكلم عن أعماله إلا نادرًا، وكم رأيناه يكره الثناء ويُحرَج من ثناء بعض الكبار عليه إذا اجتمعوا، ومنها مجلس عامر في الرياض سنة ١٤٢٣ تقريبًا لما زار الشيخان الباني والصباغ شيخنا المحدّث عبدالقادر الأرناؤوط رحمه الله، فطفق يثني على الشيخ الباني، ويعدد لنا فضائله وكلام بعضهم عنه، والشيخ الباني يشير له بيديه أن توقف!

الأدب:

إن الشيخ هو الأخلاق الفاضلة إذا تجسدت! وسمو أخلاقه موضع إجماع، وسمعت من جمع قولَهم: إنهم لم يروا مثل الشيخ في تواضعه وأخلاقه، وأخباره في هذا كثيرة جدًا.

ومنها أنه كان إذا خرج من غرفة الضيوف ثم أراد الدخول ثانية ينقر الباب بلطف، ثم يدخل، مع أنه في بيته!

لطائف:

كان شيخنا في حديثه على طريقة شيخه الطنطاوي في كثرة الاستطراد وتشعب الفوائد، حتى يكاد يذهب الموضوع الأصلي، ولكن كان له من يذكّره، لا سيما صاحبه المخلص الدكتور عبدالله حجازي.

علمه ومؤلفاته

انشغل شيخنا بالتربية وتأسيس المناهج والتدريس عن التأليف، وصدر له «المدخل إلى التربية في ضوء الإسلام»، و«الفيلم القرآني»، وصدرا بإلحاح من وقف عليهما، وله جملة مقالات ومقدمات مفيدة للغاية، أشهرها مقدمة كتاب العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية، واستوفى تراثه أخي الشيخ أيمن ذو الغنى في ترجمته.

وشارك في تحقيق وتصحيح مشكاة المصابيح، وذُكر أنه شارك في تصحيح مختصر الخرقي، وكان له دور كبير في المكتب الإسلامي في توجيه بعض الكتب، وفي غيره، وكان شيخنا السبب في تأليف الإمام الألباني كتبه آداب الزفاف، وأحكام الجنائز، وجلباب المرأة المسلمة.

وهناك عدد من المؤلفات والترجمات والدراسات صدرت بسببه المباشر، وتجد شكره في مقدمات عدد من الكتاب لإمدادهم بالمراجع والفوائد، ومنهم علامة التربية عبدالرحمن النحلاوي في كتابه أصول التربية الإسلامية، والشيخ محمد عجاج الخطيب في كتابه لمحات في المكتبة (ص١٣٠).

من ثناء أهل العلم عليه

وأثنى عليه الشيخ علي الطنطاوي في مواضع من كتابه الذكريات وغيره، وعدّه في (٥/ ٢٦٦): أحد علماء العربية الذين حفظ الله بهم العربية في الشام.

وقال في تقديمه لكتاب الشيخ الصباغ لمحات في علوم القرآن (ص١٣): «هو العالم العامل الصالح الأستاذ عبدالرحمن الباني».

وقال العلامة محب الدين الخطيب في تقديم آداب الزفاف: «أرجو الله عز وجل أن يأخذ بيد أخي المؤمن المجاهد الأستاذ السيد عبدالرحمن الباني في جميع مراحل حياته، حتى يحقق له آماله ملتزمًا سنة الإسلام في ذلك ما استطاع».

وقال الأستاذ عصام العطار في رثائه للفقيد (منشور): «لقد كان كلٌ جانب من جوانب حياته وجهاده وعمله كافيًا ليكون به عظيمًا بين العظماء، ولكنه لم يكن يحبُّ، بل لم يكن يقبل، أن يُعْلِن أو يُعلَن عن عمله، بل ربما أعطى حصيلة جهوده العلمية والفكرية لآخرين لتظهر بأسمائهم إذا رأى ذلك أنفع للإسلام والمسلمين، وأرجى للنجاح وتحقيق المراد، قلت مرةً- وما أزال أقول-: أنا لا أعرف على كثرة مَنْ عَرفتُ في عالمنا وعصرنا من الناس أتقى من عبدالرحمن الباني، نعم عرفت قليلاً مثله، ولكنني لم أعرف أتقى منه... ولقد كان من سعادتي أني عرفته في مختلف جوانب حياته ونشاطه ، وكان بيننا من الأخوة والصداقة والمحبة والثقة المتبادلة ما ندر نظيره هذه الأيام، وإني لأشهد شهادة العارف الخبير أنه- ولا أزكّي على الله أحدًا- كان من أخلص المسلمين، وأبصرهم وأحسنهم خُلقًا وعملاً في عالمنا وعصرنا الذي عشنا وما نزال نعيش فيه».

المسجد العُمَري في دَرْعَا

تركي محمد النصر

«آبِدَةٌ عُمَرِيَّةٌ خَالِدَةٌ» بُني بأمر من الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،أثناء زيارته لمدينة دَرْعَا سنة (١٤هـ) «أَذْرِعَات» أو «يَذْرِعَات» هو الاسم القديم لمدينة «دَرْعَا»، وهي من أقدم مدن العالم المأهولة بالسكان، وقد عاصرت مدن «نينوى وبابل وروما»، وتعود جذورها إلى العصر الحجري، وتفيد المصادر التاريخية أنّ الإنسان سكنها لأوّل مرّة في القرن الخامس قبل الميلاد، و«الأموريون» هم أول من استقر فيها.

وكانت «دَرْعَا» جزءًا من ممالك عدّة منها: (الآشورية، والكلدانية، والفارسية)، وكانت العاصمة الاقتصادية للمملكة الرومانية.

قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: «حَوْرَان كورة واسعة من أعمال دمشق في القبلة، ذات قرى كبيرة ومزارع، قصبتها بُصْرَى، ومنها أَذْرِعَات وإِزْرَع وغيرهما».

تقع مدينة «دَرْعَا» في أقصى جنوب الجمهورية العربية السورية بالقرب من حدود المملكة الأردنية، وهي المنفذ الحدودي الوحيد في جنوب البلاد، وتبعد عن العاصمة دمشق (١٠٠) كم، ومساحتها (٤٠٠٠) كم٢.

وتنقسم مدينة «دَرْعَا» إلى قسمين رئيسيين هما:

١- «البَلَد»: وهي البلدة القديمة، وفيها المسجد العمري الذي بُني بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٢- و«المحطة»: نسبة لمحطّة قطار الحجاز الذي أسسه العثمانيون (وقيل غير ذلك).

وتضم هذه المحافظة بالإضافة إلى مدينة «دَرْعَا» عدة مدن رئيسية أهمها:

١- نَوَى: مدينة «الإمام النووي» رحمه الله تعالى.

٢- إِزْرَع: مدينة «الإمام ابن قيم الجوزية» رحمه الله تعالى.

٣- بصرى الشام: مدينة الإمام الحافظ المحدِّث عماد الدين أبوالفداء «ابن كثير» الأذرعي الدمشقي (صاحب التفسير)، وهي المدينة القديمة التي ذكرها النبي ﷺ بقوله: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى» (رواه البخاري:٧١١٨).

٤- دَاعل: (دائيل سابقًا) وتُعرف بمدينة الشهداء (وذلك لما قدّمت من شهداء أيام الاحتلال الفرنسي لسوريا، وكذلك أيام القصف الإسرائيلي لها في السبعينيات)، وهي المدينة العريقة التي عسكر فيها الصحابي الجليل القائد عمرو بن العاص رضي الله عنه بجيشه سنة (١٥هـ) قبيل معركة اليرموك، وتحتوي على عديد من الآثار الرومانية، وفيها المسجد العمري الكبير الذي كان معبدًا رومانيًا.

٥- جَاسم: مدينة تاريخية سميت بهذا الاسم نسبة إلى «جاسم ابن آرام بن «سام» بن نبي الله «نوح» عليه السلام، جعلها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد انتهاء معركة اليرموك منطلقًا لفتح بيت المقدس، ومنها انطلق أبو عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه إلى بيت المقدس، واستخلف على الناس معاذ بن جبل رضي الله عنه، وعليه فيمكن لأهل «دَرْعَا» أن يفخروا ويقولوا: «مِنْ دَرْعَا انطلقت الجيوش الإسلامية لفتح بيت المقدس، ومنها إن شاء الله ستنطلق الجيوش لتحريره»، وهي مدينة الشاعر المشهور «أبو تمام» حبيب بن أوس بن الحارث الطائي (ت:٢٣١هـ).

عمر بن الخطاب رضي الله عنه في «دَرْعَا»

دخل الجيش الإسلامي إلى مدينة «دَرْعَا» فاتحًا بقيادة أمين الأمة «أبوعبيد بن الجراح رضي الله عنه » في سنة: (١٤هـ)، الموافق:(٦٣٥م)، وتم تحريرها من الروم الذين كانوا يحكمونها، وعقد رضي الله عنه صلحًا

إمام وخطيب بوزارة الأوقاف الكويتية

مع أهلها.

وحين قدم الخليفة «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه إلى «دَرْعَا» آخر سنة (١٤هـ) استقبله أبو عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه وأهل «دَرْعَا» بالغناء والضرب على الدفوف، ثم أمر رضي الله عنه ببناء مسجد لهم في وسط المدينة ليكون منارة للعلم والهدى.

المساجد العُمَريّة بمحافظة دَرْعَا

إذا أردنا الحديث عن المسجد العمري في «دَرْعَا البَلَد» فإننا لابدّ أن نذكر أشقاءه من المساجد العمرية المنتشرة بمحافظة «دَرْعَا» والتي تعد من أهم المحطّات التي تؤرخ لمراحل تاريخية عرفتها المدينة ومنها:

المسجد العمري في مدينة «دَرْعَا البَلَد»:

هو أحد المساجد الأثرية المنتشرة في محافظة «درعا»، ويقع وسط البلدة القديمة، وهو بناء أثري يعود باسمه إلى الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث أمر رضي الله عنه ببنائه عندما زار المدينة سنة (١٤هـ)، وأشرف على بداية بنائه جمع من الصحابة منهم: أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، ومعاذ بن جبل رضي الله عنه، وقد حافظ المسجد على شكله القديم حتى دخلت عليه عمليات الترميم الحديثة وغيّرت بعضًا من معالمه القديمة، إلا أن هذه الترميمات والتعديلات لم تطل منارته وواجهته القبلية، وأصبح المسجد بمخططه الحديث عبارةً عن نسخة مصغرة عن الجامع الأموي» بدمشق من حيث احتوائه على أروقة بديعة، وحرم واسع للصلاة، و صحن خارجي مكشوف، و مئذنة شامخة.

والداخل إلى المسجد من بوابته الشمالية (الرئيسية) تظهر أمامه أربعة أروقة تحيط بصحن المسجد، والرواق الجنوبي هو أكبرها، حيث يعتبر إيوان الصلاة والحرم والمحراب امتداده شرقًا وغربًا، أما سقف المسجد فيشبه جميع الأبنية القديمة في «دَرْعَا» إذ يرتكز على «القناطر الحجرية» تليها بشكل

معاكس حوامل بارزة من كل جهة، وتليها «عوارض» أكثر بروزًا للربط بين الحوامل وتغطية الفراغات، ويعلو العوارض طبقة من القطع الحجرية الصغيرة المنحوتة والمخلوطة بالكلس، ثم طبقة سميكة من التراب.

وللمسجد ثلاثة أبواب رئيسية يفتح أكبرها وهو الباب الشمالي على الأروقة الداخلية للمسجد، أما البابان الغربي والشرقي فيفتحان على فضاءات خارجية.

المسجد العمري في مدينة «إزْرَع»

يقع المسجد العمري في وسط مدينة «إزْرَع» في منطقة أثرية بين كنيستي «مار الياس» و«مار جرجس» القديمتين، بُني أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

المسجد العمري في «بُصْرَى الشام»

يقع المسجد العمري المعروف محليًا بمسجد العروس في مدينة «بُصْرَى الشّام» وسط البلدة القديمة، وعلى مقربة من القلعة الرومانية الأثرية.

بُني أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويعرف بالمسجد العمري نسبة إليه، ويتألف من صحن مكشوف تتوسطه «ميضأة» مربعة، داخلها نافورة ماء، ويحيط بها عمود رخامي وتاج دوري ارتفاعه متران.

هذا، ويوجد في مدينة «بُصْرَى» عديد من المساجد الأثرية القديمة كمسجد «فاطمة» الذي تعود عمارته إلى النصف الأول من القرن السابع الهجري (العصر الأيوبي)، ويقع بين «الكاتدرائية» و «دير الراهب بحيرا»، وتعود مئذنته التي يصل ارتفاعها إلى (١٩) مترًا إلى عهد السلطان المملوكي الناصر محمد أمر الأمير أيوب بن مجد الدين عيسى النجراني.

ومسجد «مبرك الناقة»، وله أهمية خاصة في تاريخ العمارة الإسلامية، حيث يعتبر أقدم مبنى أثري في سوريا، أنشئ ليكون مدرسة دينية، ولا يوجد نماذج أقدم منه قائمة في سورية، ويعود تاريخ بنائه إلى بداية العهد الإسلامي، ويقع في الزاوية الشمالية الشرقية من مدينة بصرى.

ويعتقد أن هذا المسجد أقيم في المكان الذي بركت فيه ناقة النبي ﷺ عند زيارته لمدينة «بُصْرَى» مع عمه (أبو طالب) قبل البعثة، وهذه الرواية يؤكدها العلامة ابن كثير في كتابه السيرة النبوية، والعلامة علي بن محمد بن حبيبي الماوردي في كتابه أعلام النبوة، والعلامة تقي الدين أحمد بن على المقريزي في كتابه إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، حيث قال رحمه الله: «... خرج أبو طالب إلى الشام، وخرج معه رسول الله صلّى الله عليه وسلم في المرة الأولى وهو ابن ثنتي عشرة سنة، فلما نزل بصرى من الشام، وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له...».

التاريخ الثقافي للمسجد العمري بـ «دَرْعَا البَلَد»

تميزت «دَرْعَا» حضاريًا وثقافيًا عبر التاريخ، حيث شهدت أرضها الدورات الحضارية المتعاقبة، ويكاد لا يخلو مكان في «دَرْعَا» إلا وبه الآثار والأوابد الشاهدة على تواصل الثقافة والحضارة.

وقد أنجبت هذه المدينة المئات من العلماء والأدباء والساسة والقياديين وكان المسجد العمري هو منطلقهم العلمي والثقافي، فمنهم من وفد إلى المسجد للالتقاء بعلمائه، ومنهم من أمّه وخطب فيه، أو دَرَسَ ودرّس فيه، ومن أشهرهم:

١- «الإمام النووي» أبوزكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني النووي الشافعي، علامة الفقه والحديث، مولده ووفاته في مدينة «نوى» (٤٠كم إلى الغرب من دَرْعَا) وإليها نسبته.

٢- «ابن قيم الجوزية» الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُرَعي نسبة إلى مدينة « إزْرَع» (٣٥كم إلى الشمال من دَرْعَا)، وهو من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهذب كتبه ونشر علمه، وسُجِن معه في قلعة دمشق.

٣- «ابن كثير الدمشقي» الإمام الحافظ المحدث إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البُصْرَوي نسبة إلى مدينة «بصرى» (٤٥كم إلى الشرق من دَرْعَا) ثم الدمشقي، أبو الفداء: حافظ ومؤرخ وفقيه، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل إلى دمشق سنة: (٧٠٦هـ)، ورحل في طلب العلم، ومن أشهر مصنفاته: البداية والنهاية، شرح صحيح البخاري، طبقات الفقهاء الشافعية، تفسير القرآن الكريم المعروف بتفسير ابن كثير، توفي رحمه الله تعالى بدمشق سنة: (٧٧٤هـ).

٤- إسحق بن إبراهيم الأذرعي، أحد الثقات من عباد الله الصالحين، حدث عن محمد بن الخضر بن علي الرافعي، ويحيى بن أيوب بن ناوي العلاف، وأبي زرعة، وأبي عبدالرحمن النسائي، وأبي الحسن الرازي وغيرهم، وقال أبوالحسن الرازي: كان الأذرعي من أجلّة أهل دمشق وعبادها وعلمائها، ومات يوم عيد الأضحى سنة (٣٤٤هـ).

٥- الإمام شهاب الدين، أبو العباس، الأذرعي، نزيل حلب ومفتيها وشيخ الشافعية فيها، ولد في «دَرْعَا» سنة: (٧٠٨هـ)، وهو شيخ البلاد الشمالية، وفقيه تلك الناحية، ومفتيها، والمشار إليه بالعَلَم، قال عنه الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله: «أمتع الله ببقائه، واشتهرت فتاويه في البلاد الحلبية».

٦- القاضي محمد بن محمد بن أبي العز الأذرعي، ولد في «دَرْعَا» سنة: (٦٦٣هـ) و درس بالمدرسة الظاهرية، وكان إمامًا فقيهًا شاعرًا مفتيًا، توفي بدمشق سنة: (٧٢٢هـ).

٧- «ابن وهيب الأذرعي» قاضي القضاة شمس الدين ابن وهيب الأذرعي، ولد في «دَرْعَا» سنة: (٥٩٥هـ) وعاش بدمشق، وسمع من حنبل وابن طبرزد والكندي وابن ملاعب والموفق الحنبلي، وتفقه ودرس وأفتى، وصار مشارًا إليه في المذهب.

قال عنه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: «كان من العلماء الأخيار كثير التواضع قليل الرغبة في الدنيا». توفي في دمشق سنة: (٦٧٣هـ).

٨- أحمد بن محمد بن إبراهيم بن إبراهيم بن داود بن حازم الأذرعي أبوالعباس ابن قاضي القضاة أبي عبد الله محمد، كان إمامًا مفتيًا فاضلًا تصدر بالجامع الحاكمي وناب فى الحكم، ومات سنة: (٧٤١هـ).

٩- مفتي الحنابلة الصدر شهاب الدين أبوالعباس أحمد بن سالم بن أبي الهيجاء الأذرعي الحنبلي ابن قاضي نابلس بدمشق، مات بدمشق ودفن بقاسيون سنة: (٧٤٧هـ)، سمع من ابن البخاري ثلاثيات مسند أحمد وبعض المشيخة.

١٠- ومن أبرز المعاصرين الذين وفدوا إلى المسجد العمري الإمام الشيخ «أحمد نصيب المحاميد» من قرية نصيب (١٠كم إلى الشرق من دَرْعَا)، التحق بحلقة الشيخ علي الدقر (ت:١٣٦٢هـ)، وأخذ من محدث الشام الحافظ محمد بدر الدين الحسني (ت: ١٣٥٤هـ)، وقرأ عليه من صحيحي البخاري ومسلم، وأخذ على شيخه الشيخ محمود العطار (ت:١٣٦٢هـ) مسند الإمام الشافعي وسمع على شيخه أبوالخير الميداني (ت١٣٨٠هـ)، حديث الرحمة المسلسل بالأولية الإضافية و المسلسل بالدمشقيين، توفي رحمه الله تعالى في دمشق سنة (١٤٢١هـ).

١١- ومن أبرز مَنْ وفد إلى المسجد ودرّس فيه مفتي «دَرْعَا» العلامة الشيخ عبدالعزيز بن جبر أبا زيد الأذرعي رحمه الله تعالى (ت:١٤٢٣هـ)، ولد ونشأ في مدينة «دَرْعَا»، ورحل إلى دمشق وطلب العلم فيها على علامتها الشيخ علي الدقر، ومحدث الشام ومفتيها العلامة بدر الدين الحسني رحمه الله تعالى.

هذا ولا يزال المسجد العمري يؤدي دوره الرائد في مدينة «دَرْعَا»، فالداخل إليه ينبهر بتَحَلُّق طلاب العلم حول مشايخهم، ويطرب سمعه بأصوات الناشئة في حلقات القرآن الكريم، وهذا عهد من أهالي مدينة «دَرْعَا» لخليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن هذا المسجد سيبقى كما أراده رضي الله عنه منارة للعلم والهدى، وينطلق من أعلى منارته صوت الحق قائلًا: «الله أكبر، الله أكبر...لا إله إلا الله».

الهرمونات والعزف على أوتار الجسد

د.يحيى سنبل

الهرمون كلمة إغريقية تعني باعث النشاط، والهرمونات رسائل كيميائية تنتجها الغدد الصم، وتنتقل في الدورة الدموية إلى الخلايا المستهدفة، حيث تنظم عمليات الأيض، ومصطلح الأيض يعني حرفيًا التغيير (chanje) ويستخدم للإشارة إلى جميع التحولات الكيميائية، والمتعلقة بالطاقة التي تحدث في الجسم.

هناك عدد كبير من الغدد الصم التي تفرز الهرمونات تتمثل في الغدة النخامية الموجودة داخل الجمجمة والتي تفرز هرمونات تتحكم في نشاط بقية الغدد الصم، ومصطلح غدة صماء يعني غدة ليس لها قناة تصب فيها ما تفرزه، وإنما يصل إفرازها إلى الدم مباشرة، والغدة الدرقية وما تحويه من الغدد الجار درقية، وهي موجودة في العنق، والغدتان الكظريتان، واحدة فوق كل كلية، والبنكرياس الذي يفرز عددًا من الهرمونات أهمها هرمون الإنسولين، والمناسل، ونعني بها الخصيتين والمبيضين، كما أن هناك هرمونات تحرض أو تكبح إفراز هرمونات الفص الأمامي من الغدة النخامية، ويفرزها الهيبو ثلامس Hypoth alamus أحد تراكيب المخ المهمة، ويقوم الغشاء المخاطي المبطن للجهاز الهضمي بإفراز عدد من الهرمونات، والغدة الزعترية Thymus gland تفرز هرمونًا أو أكثر يتحكم في الخلايا اللمفاوية، وهي من أهم خلايا الجهاز المناعي، والكلية kideny تفرز ثلاثة هرمونات:١ و ٢٥ داي هيدروكسي كوليكالسيفيرول، والرينين Renin، وإريثروبويتين، كما أن القلب يفرز هرمونات البيتيد الأذيني المدر للصوديوم ANP الذي يزيد من إخراج الصوديوم بواسطة الكليتين، والغدة الصنوبرية Pineal bady تفرز الميلاتونين melatonin هذا الإندول الذي يعتقد أنه يمتلك وظيفة هرمونية.

هذه الهرمونات تعمل مع بعضها في حالة من التناغم، ليبدو الجسم ملائمًا لظروف الحياة، متوافقًا مع الحالات المختلفة التي يتعرض لها، إنه عزف جماعي منسجم على أوتار الجسد، ولنأخذ مثالًا على ذلك، وهو تطور الثديين وإدرار اللبن عند الإناث، يقوم هرمون الإستروجين estrogen بزيادة عدد القنوات الموجودة في الثديين، ويقوم هرمون البروجستيرون بنمو وتطور الفصوص الصغيرة lobules التي يتكون منها الثدي، وأثناء العمل يزداد مستوى هرمون البرولاكتين prolactin في الدم، وتحت تأثير هرمون البرولاكتين بالإضافة إلى المستويات العالية من الإستروجين والبروجستيرون يحدث النمو والتطور الكامل للفصوص الصغيرة والحويصلات الموجودة بالثديين، ثم يأتي دور هرمون آخر وهو الأوكسيتوسين oxytocin الذي يؤدي إلى انقباض الخلايا العضلية التي تبطن جدران القنوات الثديية، وبالتالي يحدث قذف اللبن من حلمة الثدي.

ومن العجيب أن هذه الهرمونات توجد في الجسم بنسب دقيقة، إذا قلت أو زادت أدى ذلك إلى حدوث خلل أو مرض، فإذا زاد هرمون النمو على سبيل المثال، قبل سن البلوغ أدى ذلك إلى العملقة gigantism، أي إن جسم الشخص المصاب يزاد في الطول بطريقة غير طبيعية، وإذا زاد هذا الهرمون بعد سن البلوغ أدى ذلك إلى مرض التضخم الطرفي Acromegaly، والهرمونات تعكس هذا التواصل بين أجهزة الجسم المختلفة، وتلفت النظر إلى معنى لا يمكن إدراكه على وجه الحقيقة إلى أن أجهزة الجسم تمثل كيانات عاقلة تتبادل رسائل كيميائية تفهمها جميع الأطراف وتستجيب لها بدقة، وغياب الهرمون (الرسالة) أو نقصه يؤدي إلى مشكلة صحية كبيرة، كما يحدث مع هرمون الإنسولين، ولهرمون الإنسولين تراكيب تسمى مستقبلات الإنسولين Insulin Receptors مسؤولة عن قراءة الرسالة التي هي هرمون الإنسولين نفسه وفهمها، وقد يكون الخلل في هذه المستقبلات وليس في الهرمون، ويحدث مرض السكر نتيجة لهذا الخلل.

فالهرمونات إذن رسائل توجه، ومواهب تعزف، وحوارات تدور، تجلو لنا عظمة الخالق-جل شأنه- وقدر هذا المخلوق- الإنسان- المستخلف لعمارة الأرض، والمكلف، والمسؤول عن أفعاله، وقد يصل بنا العجب إلى غايته عندما نعلم أن خلايا الجسم تتصرف بطريقة عاقلة، فغشاء الخلية يمتلك خاصية النفاذية الاختيارية، حيث يسمح بمرور بعض العناصر من دون البعض الآخر، فعلى سبيل المثال عندما يصل هرمون الإنسولين إلى أنسجة الجسم المختلفة فإنه يؤدي إلى دخول الجلوكوز إلى خلايا العضلات الهيكلية، وعضلة القلب، والعضلات الملساء، والأنسجة الدهنية، وخلال الدم الأبيض، وعدسة العين، والخلايا المكونة للألياف Fibroblast، وغدد الثدي، والأورطى، وخلايا جزر البنكرياس، في حين أن هناك خلايا لا تتأثر بالإنسولين وهي خلايا المخ، ما عدا جزء من الهيبوثلامس، والأنابيب الكلوية، والغشاء المخاطي المعوي، وخلايا الدم الحمراء، كما أن الإنسولين يؤدي إلى زيادة نمو الخلايا بصفة عامة، إذن هناك نظام، ونظام عجيب، من عناصره هذه الهرمونات التي تعزف على أوتار الجسد.

طبيب مصري

فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

٦/٤٧/ع/٨٤.....إفطار المسافر في الطائرة

... كنا على سفر بالطائرة من جدة إلى الكويت، وبعد إقلاع الطائرة بعشر دقائق حان موعد أذان المغرب والذي كان بحدود الساعة السابعة إلا عشر دقائق، وكنا نرى الشمس وحان موعد أذان المغرب في الساعة السابعة وخمس دقائق في الكويت، وغابت الشمس في الساعة السابعة واثنتين وعشرين دقيقة، وكنا على ارتفاع ٢٧ ألف قدم.. فما حكم موعد الإفطار؟

● أجابت اللجنة بما يلي:

إن المسافر لا يراعي في موعد فطره توقيت بلده الأصلي الذي غادره، ولا توقيت البلد الذي يقصده، وإنما يراعي مشاهدته غروب الشمس عليه، سواء كان على الأرض أو على جبل أو مرتفعًا في الهواء، ولكن إذا ترتب على توجه طائرته نحو الغرب تأخر الغروب وطول الزمن بحيث يجهده البقاء صائمًا فإنه يفطر للمشقة وعليه الإعادة. والله أعلم.

٩/١٦/٧٧.....إفطار المسافر في الطائرة

عرض على اللجنة مقال نشرته مجلة أسبوعية وفيه عرض لواقعة وقعت في طائرة متجهة من الكويت إلى القاهرة في رمضان. وفيه: أن المضيفة قدمت طعام الإفطار قبل غياب الشمس، وأن بعض الصائمين قد أفطر على اعتبار أن الشمس كانت قد غربت في الكويت، وإن كانت لا تزال ظاهرة مرئية من نوافذ الطائرة، وتساءل البعض هل ضاع صيام هؤلاء الذين أفطروا؟ وهل العبرة بغروب الشمس على بلد الانطلاق، أو الأرض التي تكون فوقها الطائرة، أو على الطائرة نفسها؟ وتقترح أن يعمم الجواب على شركات الطيران وخاصة الخطوط الكويتية.

● أجابت اللجنة:

...أن العبرة في الإفطار بغياب الشمس على الصائم في المكان الذي هو فيه، ففي هذه المسألة العبرة بغياب الشمس على الطائرة لا بغيابها عن المكان الذي انطلقت منه ولا عن الأرض التي فوقها الطائرة، وهذا مادام الإنسان في مكان تابع للأرض وفي حيزها، أما المنطلقون في رحلات فضائية فلا ينطبق هذا الحكم عليهم، وأما الذين أفطروا في تلك الحال أي قبل أن تغيب الشمس عنهم فيلزمهم إعادة صوم ذلك اليوم. والله أعلم.

١/٣٢/٨٣.....هل للصائم أن يأكل بعد طلوع الفجر؟

نشرت إحدى الجرائد اليومية فتيا بجواز الأكل والشرب بعد أن يؤذن لصلاة الفجر استنادا إلى حديث رواه أحمد والطبري وصححه الألباني «إذا سمع أحدكم النداء والإناء على يده فلا ينزله حتى يقضي حاجته». فما مدى صحة هذه الفتيا وهل هي موافقة لمذاهب الأئمة الأربعة؟ ومتى تنتهي هذه الحاجة، هل لها وقت محدد أو هي مطلقة؟ وهل يجوز للإنسان إذا سمع الأذان أن يقضي حاجته من الجماع؟

أجابت اللجنة بما يلي: لم يأخذ أحد من العلماء بظاهر هذا الحديث فيما نعلم، وهو محمول عند الجمهور على أن المراد بالأذان في هذا الحديث إن صح هو الأذان الأول، أو يحمل على حالة من لم يتأكد من طلوع الفجر، أما إذا تأكد من طلوع الفجر فليس له أن يأكل أو يشرب لقوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر

قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي رقم ١٨٣ (١٩/٩) بشأن مرض السكري والصوم

إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي الذي انعقدت دورته التاسعة عشرة في دولة الإمارات العربية المتحدة من ١-٥ جمادى الأولى ١٤٣٠هـ الموافق ٢٦-٣٠ أبريل ٢٠٠٩م بناء على وثيقة التعاون القائم بين المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية ومجمع الفقه الإسلامي الدولي، وذلك انطلاقا من الاتفاقية الموقعة بين الجهتين، وبعد تكليف المجمع للمنظمة بالقيام بدراسة «داء السكري وصيام رمضان»، وبناءً على معطيات الندوتين اللتين عقدتهما المنظمة.

وبعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص استكمال بحث موضوع داء السكري والصوم، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله، وبعد عرض الجوانب الطبية والفقهية لأثر الصوم على المصابين بالسكري، قرر ما يلي:

أولاً: تعريف موجز لداء السكري

هو اختلال في نسبة السكر في الدم اختلالاً مرضيًا وعلى وجه الخصوص ارتفاع النسبة فوق المعدل الطبيعي، وينتج داء السكري عن فقدان هرمون الإنسولين الذي تفرزه خلايا البيتا في البنكرياس أو عن قلة كميته او قلة استجابة خلايا الجسم له في بعض الحالات.

ثانيا: أنواع المصابين بالسكري: يندرج تحت ما يسمى بداء السكري عدة أنواع تختلف عن بعضها اختلافا كبيرا في الأسباب وطرق العلاج، وهي كما هو متفق عليه من تسميات وتصنيفات لدى المؤسسة الطبية العالمية المتخصصة في داء السكري:

١- السكري من النوع الأول: المعتمد على الانسولين ولجرعات متعددة في اليوم.

٢- السكري من النوع الثاني: غير المعتمد على الانسولين.

٣- سكري الحمل.

٤- أنواع أخرى نادرة.

ثالثا: تصنيف داء السكري طبيًا

تم تصنيف المصابين بالسكري طبيًا إلى اربع فئات على النحو الآتي:

الفئة الأولى

المصابون بالسكري ذوو الاحتمالات الكبيرة جدا

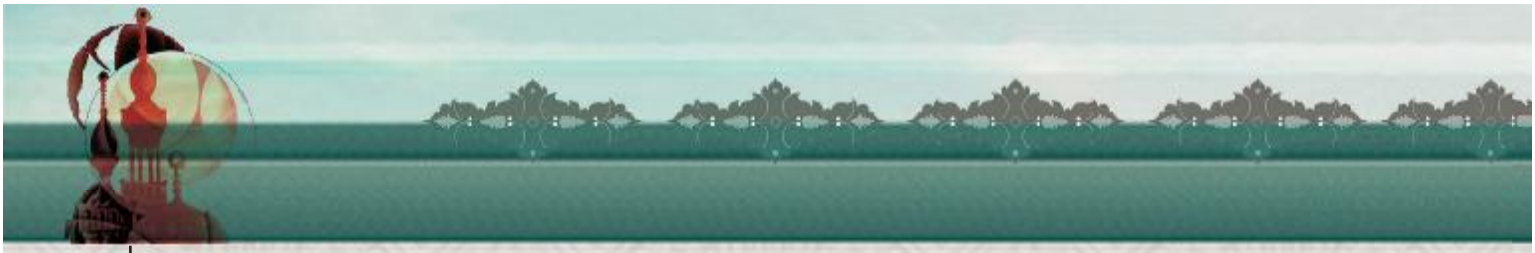

للمضاعفات الخطيرة بصورة مؤكدة، وتتميز اوضاعهم المرضية بحالة أو اكثر مما يأتي:

• حدوث هبوط السكر الشديد خلال الأشهر الثلاثة التي تسبق شهر رمضان.

• المصابون بالسكري الذين يتكرر لديهم هبوط وارتفاع السكر بالدم.

• المصابون بالسكري (المصابون بحالة فقدان الإحساس بهبوط السكر) وهي حالة تصيب بعض المصابين بالسكري، وخصوصا من النوع الاول الذين تتكرر لديهم حالات هبوط السكر الشديد ولفترات طويلة.

• حدوث مضاعفة (الحماض السكري الكيتوني) او مضاعفة (الغيبوبة السكرية) خلال الشهور الثلاثة التي تسبق شهر رمضان.

• السكري من النوع الأول.

• الأمراض الحادة الأخرى المرافقة للسكري.

• المصابون بالسكري الذين يمارسون مضطرين أعمالا بدنية شاقة.

• المصابون بالسكري الذين يجرى لهم غسيل كلى.

• المرأة المصابة بالسكري اثناء الحمل.

الفئة الثانية

المصابون بالسكري ذوو الاحتياجات الكبيرة نسبيا للمضاعفات نتيجة الصيام والتي يغلب على ظن الأطباء وقوعها، وتتمثل أوضاعهم المرضية بحالة أو أكثر مما يأتي:

• الذين يعانون من ارتفاع السكر في الدم كأن يكون المعدل (١٨٠-٣٠٠مغم/دسل) ونسبة الهيموغلوبين المتراكم (المتسكر) تجاوز ١٠٪.

• المصابون بقصور كلوي.

• المصابون باعتلال الشرايين الكبيرة (كأمراض القلب والشرايين).

• الذين يسكنون بمفردهم ويعالجون بواسطة حقن الأنسولين أو الأقراص الخافضة للسكر عن طريق تحفيز الخلايا المنتجة للأنسولين في البنكرياس.

• الذين يعانون من أمراض أخرى تضيف أخطارًا إضافية عليهم.

• كبار السن المصابون بأمراض أخرى.

• المصابون بالسكري الذين يتلقون علاجات تؤثر على العقل.

حكم الفئتين الأولى والثانية:

حالات هاتين الفئتين مبنية على التأكد من حصول الضرر البالغ أو غلبة الظن بحصوله بحسب ما يقدره الطبيب الثقة المختص، فيتعين شرعًا على المريض الذي تنطبق عليه إحدى الحالات الواردة فيهما ان يفطر ولا يجوز له الصيام، درءًا للضرر عن نفسه، لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾(البقرة: ١٩٥)، وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء:٢٩)، كما يتعين على الطبيب المعالج ان يبين لهم خطورة الصيام عليهم، والاحتمالات الكبيرة لإصابتهم بمضاعفات قد تكون- في غالب الظن- خطيرة على صحتهم أو حياتهم. وعلى الطبيب ان يستنفد الإجراءات الطبية المناسبة التي تمكن المريض من الصوم دون تعرضه للضرر.

تطبق أحكام الفطر في رمضان لعذر المرض على أصحاب الفئتين الأولى والثانية عملاً بقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ (البقرة من الآية: ١٨٤). ومن صام مع تضرره بالصيام فإنه يأثم مع صحة صومه.

الفئة الثالثة

المصابون بالسكري ذوو الاحتمالات المتوسطة للتعرض للمضاعفات نتيجة الصيام، ويشمل ذلك المصابين بالسكري ذوي الحالات المستقرة والمسيطر عليها بالعلاجات المناسبة الخافضة للسكر التي تحفز خلايا البنكرياس المنتجة للأنسولين.

الفئة الرابعة

المصابون بالسكري ذوو الاحتمالات المنخفضة للتعرض للمضاعفات نتيجة الصيام، ويشمل ذلك المصابين بالسكري ذوي الحالات المستقرة والمسيطر عليها بمجرد الحمية أو بتناول العلاجات الخافضة للسكر التي لا تحفز خلايا البنكرياس للأنسولين بل تزيد فاعلية الأنسولين الموجود لديهم.

حكم الفئتين الثالثة والرابعة

لا يجوز لمرضى هاتين الفئتين الإفطار، لأن المعطيات الطبية لا تشير إلى احتمال مضاعفات ضارة بصحتهم وحياتهم بل إن الكثير منهم قد يستفيد من الصيام. وعلى الطبيب الالتزام بهذا الحكم وأن يقدر العلاج المناسب لكل حالة على حدة.

ويوصى بما يأتي:

- الأطباء مطالبون بالإحاطة بقدر مقبول من معرفة الأحكام الشرعية المتعلقة بهذا الموضوع، وهذا يقتضي إعداد هذه المعلومات من الجهات ذات الصلة وتعميمها على المعنيين بها.

- الفقهاء والدعاة مطالبون بإرشاد المصابين بالسكري الذين يتوجهون إليهم طالبين الرأي الشرعي، بضرورة استشارة أطبائهم المعالجين الذين يتفهمون الصيام بأبعاده الطبية والدينية، ويتقون الله لدى إصدار النصح الخاص لكل حالة بما يناسبها.

- نظرًا للأخطار الحقيقية الناتجة عن مضاعفات داء السكري على صحة المصابين بالسكري وحياتهم، فإنه يجب اتباع جميع الوسائل الممكنة للإرشاد والتثقيف، بما فيها خطب المساجد ووسائل الإعلام المختلفة، لتوعية المصابين بالسكري بالأحكام السابقة، ذلك أن زيادة مستوى الوعي بداء السكري وأصول التعامل معه يخفف كثيرًا من آثاره، ويسهل عملية تقبل الأحكام الشرعية والنصائح الطبية لمعالجته.

- أن تتولى المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالتعاون مع مجمع الفقه الإسلامي الدولي إصدار كتيب ارشادي حول هذا الموضوع باللغة العربية وغيرها والعمل على نشره بين الأطباء والفقهاء، وعرض مادته العلمية على صفحة الانترنت ليطلع عليه المصابون بالسكري للاستفادة منه.

- مطالبة وزارات الصحة في الدول الإسلامية بتفعيل البرامج الوطنية في مجال الوقاية والمعالجة والتوعية بداء السكري وأحكامه الشرعية.

إعداد: خالد خلاوي

قوة التفكير.. وصناعة النجاح

إن صناعة النجاح عملية متكاملة تعتمد على عدد من القوانين والمؤثرات من داخل الإنسان تتيح له حسن التعامل مع ما يحيط به من مؤثرات خارجية، ومن هذه المؤثرات قوة الوعي الداخلي من خلال التفكير العميق الإيجابي لتحسين الذات، ولقد اهتم بهذا الموضوع الكاتب والمحاضر جو كيهو، وهو ما دفعه إلى الاعتكاف ثلاث سنوات ليضع كتابه الشهير «قوة العقل في القرن الحادي والعشرين».

يقول كيهو في كتابه عن قوة الأفكار: «إن الأفكار تحاول دائما أن تبحث لها عن صورة تتشكل فيها، وأن تجد لها منفذًا وأن تكشف عن نفسها فتلك هي طبيعتها.. وعلى الرغم من أن الفكرة الواحدة غير المدعومة بأي شيء لا تنطوي على قدر كبير من القوة، فإنه مع تكرار الأفكار تصبح الأفكار مركزة وموجهة كما يمكن تضخيمها لمرات عديدة»، ويقول: «الأفكار الواهنة المتفرقة هي قوى واهنة متفرقة، والأفكار الشديدة المركزة هي قوى شديدة ومركزة»، وينبه كيهو إلى أن أفكارك المتواصلة بشأن نفسك هي ما تصنع الشخص الذي ستكون عليه..

أفكار الخوف تصنع شخصًا سمته الخوف.

أفكار الثقة تصنع شخصًا يتمتع بالثقة.

أفكار الضعف تصنع شخصًا يعاني من الضعف.

أفكار القوة تصنع شخصًا لديه القوة.

الأفكار الهادفة تصنع شخصًا ذا هدف.

أفكار النجاح تصنع شخصًا ناجحًا.

ويضع كيهو في كتابه مجموعة من القواعد والتمارين التي تعلمك كيفية توجيه أفكارك، وتكوين أي وعي تتخيره، ولن يتغير واقعك إلا حين تكوّن بداخلك وعيًا جديدًا وليس قبل ذلك، على سبيل المثال: ما الذي تحتاج إليه في حياتك؟ أجب عن السؤال ثم كون وعيًا داخليًا بما تحتاجه، أتحتاج إلى مزيد من الصحة فكون بداخلك وعيًا بالصحة... وهكذا.

ويشرح كيهو في فصول الكتاب خطوات ومراحل تكوين الوعي من خلال العقل والتفكير الجيد وألخصها في الآتي:

التخيل: يتمثل التخيل في أن ترحل بمخيلتك إلى عالم ترى فيه نفسك في وضع لم تكن فيه من قبل، وأن تتصور نفسك تقوم بالأشياء التي ترغبها، أو تحقق النتائج المنشودة التي ترغبها في النجاح.

الغرس: ويعني الشعور بأنك تمتلك ما ترغبه، وأنك بالفعل قد حققته، وعليك أن تمارس الغرس بوتيرة منتظمة يوميًا على الأقل لمدة خمس دقائق ليتم الغرس.

التأكيدات: وهي عبارة عن جمل بسيطة تكررها بينك وبين ونفسك صمتًا أو جهرًا حسبما يكون مريحًا وعمليًا لك، في الوقت الذي تريد، ومن الممكن أن تكرر هذه الجمل في أي مكان، ولتكن تأكيداتك دائمًا في صيغة إيجابية مثبتة مثل «سأكون الأفضل في المرة القادمة» و«يمكنني الفوز» و«أشعر بقدرتي على النجاح» و«لدي القدرة على تحقيق أهدافي».

الإقرار بالنجاح: أقر ثم أقر بنجاحك وإنجازاتك، فالوعي يصنع الواقع، وأنت من يصنع الوعي، فأعد قائمة بكل نجاحاتك مثل: إنني ناجح في التعامل مع الناس، إنني منظم في عملي، إنني مجتهد في تخصصي... وهكذا، فالنجاح يثمر مزيدًا من النجاح.

وبعد ذلك احتفظ بهذه النقاط في ذهنك:

كن واعيًا بما تفكر، فإنك تشكل خبرات وأحداث المستقبل من خلال أفكار الحاضر.

غير رد فعلك تجاه أي ظروف لا ترغبها في حياتك.. فإذا كنت تعاني من وظيفتك، أو بدون وظيفة، أو تعاني من أمر ما، فأول شيء يمكنك أن تفعله هو أن تتقبل ظروفك وأوضاعك، وألا تحاول التظاهر بعدم وجودها، بل وجودها أمر واقع، ولا تضيع الوقت في الشعور بالأسف أو في محاولة التصدي لهذه الظروف، بل تفاعل معها من خلال أساليب قوة العقل.

خصص لنفسك فترة يومية داخلية «للإبداع» متحررًا من كل المتطلبات والمهمات اليومية ومصادر التشويش، إنها هذه الفترة الإبداعية الداخلية التي ستمنحك القوة.

صور من حياة المتميزين

التأكيد الإيجابي

يروي جون كيهو إحدى التجارب التي مر بها في إحدى رحلاته لإلقاء محاضرات فيقول: اطلعت على جدول مواعيدي في الأشهر التالية، ولم أصدق عيني، فقد كان من المفترض أن أنتقل من مدينة لأخرى دون أن أنال أي قسط من الراحة، بل كان من المفترض أن أكون في مدينتين مختلفتين في اليوم نفسه! وبدأت أشعر بأن الشهر التالي سيكون مستحيلًا، وسيكون مكتظًا بالضغوط الموهنة، وهذا ما بدأت أخبر نفسي به «سأتعرض لضغط لا يطاق» وازداد لدي ليومين أو ثلاثة أيام تالية الشعور بالتوتر والعصبية، حيث كنت أترقب الجزء الرهيب التالي من الرحلة، وأخذت أسيء للشخص الذي وضع جدول المواعيد هذا لي.

وعندئذ ضبطت نفسي متلبسًا، ولم أجد بدًا من أن أضحك؛ فهنا كنت أدرس مادة قوة العقل، ووجدت نفسي بشكل عفوي أقع في فخ صنعته بنفسي، إنه التأكيد السلبي الذي كنت أكرره «سأتعرض لضغط لا يطاق»، ولذا كوّنت تأكيدًا جديدًا.. كنت أركز على ثلاث كلمات: منظم، مسترخ، ومرح.. وكررت بيني وبين نفسي كلما فكرت في هذه الجدول المثير للقلق، وفي خلال أيام قليلة تالية أخذت أفكر بيني وبين نفسي.. إنني كلما كنت منظمًا ومسترخيًا فلعل السباق اللاهث هذا يصير أكثر إمتاعًا، فما الذي كنت أشعر بالانزعاج منه؟ وفي النهاية أحدثت هذه الكلمات الثلاث اختلافًا هائلًا، فلم يتغير جدول مواعيدي، ولكن ما تغير هو توجهي، فقد تحولت رحلتي التي من المفترض أن تشكل عليّ ضغطًا كبيرًا إلى مصدر ارتياح وراحة لي، فقد كنت منظمًا، كما كنت مسترخيًا، وشعرت بالمتعة مع انطلاقي لمواجهة التحدي بمجرد أن غيرت التأكيد السلبي إلى تأكيد إيجابي، واقتنعت بأنني في كل يوم، وبكل طريقة أكون أفضل وأفضل، ومن الممكن لك أيضًا أن تصيغ تأكيدا وأن تستخدمه خلال اليوم لكي يعينك على إنجاز المهام التي ترغبها.

كلمات في التميز

التفكير الجيد

الفكرة الإيجابية هي بذرة النتيجة الإيجابية، وأفضل طريقة للحصول على فكرة جيدة أن يكون عندك الكثير من الأفكار.

لينوس بولينج

فكّر على الورق، لأن من يفكر على الورق يمسك القلم وينجح أكثر من غيره.

أليكس اوسبورن

إن قوة الفكر قادرة على إحداث المرض والشفاء منه.

ابن سينا

من المحتمل ألا تستطيع التحكم في الظروف، ولكنك تستطيع التحكم في أفكارك، فالتفكير الإيجابي يؤدي إلى الفعل الإيجابي والنتائج الايجابية.

إبراهيم الفقي

حين تحتفظ في ذهنك بصورة واضحة عن هدفك، يصير تحققه على نحو ملموس ومرئي مجرد مسألة وقت، فدائمًا ما يسبق التخيل الإدراك.

ليليان ويتنج

إن التفكير القوي الواضح في داخل المكتب شيء جميل جدًا، إلا أن التفكير بمثل هذه القوة والوضوح وسط الأعاصير هو الممارسة المثالية للقدرات الإنسانية.

غوفيون سان سير

إعداد: هالة محمد

الطيور لإطفاء الحرائق وعمليات البحث الجنائي!

أثبتت دراسة حديثة أجريت في ألمانيا أن زقزقة الطيور يمكن أن تصبح وسيلة مساعدة لإنقاذ من حاصرتهم حرائق الأنفاق القاتلة، وقالت الدراسة إن الظلام والدخان وفقدان القدرة على اختيار الاتجاه الصحيح تمثل الكابوس الأكبر لأي قائد سيارة يواجه حريقًا في أحد الأنفاق، وقال «بيرتولد فيربر» قائد الفريق الذي أعد الدراسة إن بالإمكان استخدام أصوات الطيور لدلالتهم على المخارج، إذ يمكن أن تكون وسيلة ناجحة للغاية في هذا الموقف، حيث تتعذر الرؤية والقدرة على اختيار الاتجاه الصحيح بسبب الدخان والظلام السائد.

ومن جانب آخر جلبت الشرطة الألمانية الصيف الماضي صقرين من حديقة للحيوان في النمسا، أحدهما يدعى «ميس ماريل» والآخر يدعى «كولومبو» للانضمام إلى الصقر «شارلوك» ذي الأعوام الخمسة الذي كان بدأ تدريبه منذ عامين، وذلك لمساندته من ناحية، ومن ناحية أخرى لأن هذه الطيور تجوب مسافات أطول فقط من خلال مجموعات، وتتمتع هذه الصقور بقوة بصر حادة، بالإضافة إلى حاسة شم قوية، مقارنة بغيرها من الطيور، حيث تقوم نظرية الاستعانة بهذه الجوارح على أن أداءها سيكون أسرع من الكلاب البوليسية في حال كانت منطقة البحث كبيرة للغاية أو يصعب الوصول إليها.

البحر يرتفع مترًا!

قد يرتفع مستوى مياه البحر مترًا واحدًا بحلول القرن الجديد، نتيجة للاحترار المناخي الذي يهدد بمضاعفة الفيضانات الجارفة في المناطق السواحلية وفق ما خلص إليه تقرير أسترالي.

وأوضح التقرير الذي أصدرته اللجنة الأسترالية للمناخ أن الأدلة دامغة على احترار الأرض، وهذه الدراسة ترتكز على أحدث البيانات العلمية التي تم جمعها من حول العالم تبين أن الغازات الدفيئة من دون شك مسؤولة عن ارتفاع درجات الحرارة وعن احترار المحيطات وارتفاع مستوى مياه البحار، وفي تمهيد التقرير كتب البروفيسور «ويل ستيفن» رئيس اللجنة: أعتقد أن متوسط ارتفاع مستوى البحار في عام ٢١٠٠م مقارنة بعام ١٩٠٠م سيسجل بين ٥٠سم ومتر واحد.

زلزال اليابان أحدث انحرافًا في قاع المحيط

كشف جهاز وضع في قاع البحر بالقرب من السواحل اليابانية أن الزلزال الضخم الذي ضرب البلاد في شهر مارس الماضي أحدث انحرافًا بأكثر من ٢٠ مترًا في مقر المحيط، ويزيد هذا القياس المباشر عن تقديرات حجم الإزاحة التي تم التوصل إليها بناء على معلومات جمعت من الأرض فقط، وقد سجل هذا الرقم الجديد بواسطة حرس السواحل الياباني الذين أكدوا أن هذا المعدل المسجل بواسطة أجهزة قاع البحر يقرب من ضعف المعدل الذي قدر وفقًا للمعلومات الأرضية.

يذكر أن قوة الزلزال الذي ضرب اليابان في ١١ مارس الماضي بلغت ٨,٩ درجات على مقياس ريختر.

صدق رسول الله: تيامنوا

قال باحثون أميركيون إن أغلبية البشر القدماء الذين عاشوا قبل ٥٠٠ ألف سنة كانوا يستخدمون اليد اليمنى، وربطوا بين هذه الظاهرة وتطور اللغة عند الإنسان، وقال الباحث ديفيد فراير من جامعة كنساس: «نستخدم اليد اليمنى لأن الجزء الأيسر من الدماغ يتحكم بالجهة اليمنى من الجسم حيث تتم عملية اللغة، وأوضح فراير أن استخدام معظم البشر لليد اليمنى قد يشير إلى أنهم تمكنوا من تطوير اللغة فالمتحجرات والآثار التي تم العثور عليها وعلامات الأسنان تظهر جميعها أن معظم أسلاف البشر كانوا يستخدمون اليد اليمنى ولم يظهر لدى أي حيوان عدا البشر هذا الميل لاستخدام اليد اليمنى، وقال الباحثون: إن الدراسة قد تساهم في إثبات أن اللغة كانت موجودة بالفعل قبل حوالي نصف مليون سنة.

أسماك تتغذى على النباتات

قال علماء دوليون من بيرو والولايات المتحدة الأميركية في دراسة جديدة نشرتها مجلة «بروسيد نجز» التابعة للجمعية الملكية البريطانية إن سمك الباكوس الأسود يحمل بذور بعض الأشجار والنباتات لمسافة تصل إلى خمسة كيلو مترات في بعض الأحيان، وأنها تلعب بذلك دورًا مهمًا في الحفاظ على غابات الأمازون، ويتغذى هذا السمك بشكل كبير على ثمار نباتات مختلفة تتضح غالبًا في موسم الفيضان في حوض الأمازون وتسقط في مياه النهر بعد نضوجها.

سرعة الضوء ليست واحدة

أكد باحثون في معهد الأبحاث العلمية الفرنسي، لأول مرة في التاريخ، أن سرعة الضوء ليست واحدة، بل هي تتغير تحت تأثير الحقل الكهرومغناطيسي بحسب اتجاهها.

وقام العلماء بقياس الفرق بين سرعة انتشار الضوء في اتجاهين متعاكسين لتأكيد هذه النظرية، وتفتح هذه النتائج الدقيقة جدًا المجال واسعًا أمام الباحثين الذين يسعون إلى تطوير النموذج الذي يصف التفاعلات بين الجزيئات، وينتظر أن تسمح هذه الدراسة التي نشرت في منتصف مايو في المجلة العلمية فيزيكال ريفيو لينرز، باستعمال هذه النتائج في تطبيقات جديدة في مجال الضوء.

وينتشر الضوء في الفراغ المطلق بسرعة ثابتة تساوي ٢٩٩٧٩٢٤٥٨ مترًا في الثانية، وكان العلماء يعتقدون أنه ينتقل بالسرعة ذاتها في كل الاتجاهات، إلى أن تم الإنجاز الأخير.

من هنا وهناك

■ سمحت أحافير اكتشفت في المغرب بالعثور على أثر حيوان بحري مفترس (عملاق) عاش لفترة أطول مما كان يعتقد بحسب دراسة تلقي ضوءًا جديدًا على حقبة أساسية في تطور حياة الأرض، وهذه الحيوانات المفترسة من أضخم حيوانات كوكب الأرض خلال الانفجار الكامبري، أي الفترة التي تعود إلى ٥٤٠ أو ٥٠٠ مليون سنة عندما تنامى التنوع الحيوي بشكل كبير.

■ اخترع العلماء غلافًا غشائيًا شفافًا وحساسًا جدًا لدرجة أنه يتغير لونه من اللون الأصفر بمجرد أن يبدأ المنتج الغذائي المغلف بهذا الغشاء في الفساد سواء كان لحمًا أو سمكًا أو حتى حبوبًا وخضارًا.

■ قال مكتب المسح الأميركي إن مساحة اليابسة في الولايات المتحدة الأميركية تتقلص بشكل متواصل منذ عام ١٩٤٠م، وأوضح المكتب أن مساحة اليابسة الأميركية بلغت في عام ١٩٤٠م ٣,٥٥٤,٦٠٨ أميال مربعة وفي عام ١٩٩٠م تراجعت إلى ٣,٥٣٦,٢٧٨ ميلًا مربعًا وفي عام ٢٠٠٠م تقلصت بـ ١٢٠٠ ميل مربع، ولكن منذ ذلك الوقت تقلصت بـ ٥٥٠٠ ميل مربع.

■ قالت منظمة الصحة العالمية إن مرض الملاريا تسبب في وفاة ما يقرب من مليون شخص عام ٢٠٠٨م معظمهم من الأطفال.

■ أظهرت دراسة أميركية جديدة أن الرجال الذين ينامون أقل من خمس ساعات في الليلة الواحدة على مدى أسبوع تنخفض لديهم بشكل ملحوظ معدلات الهرمون الذكري، مقارنة بمن يأخذون قسطًا وافيًا من النوم الليلي.

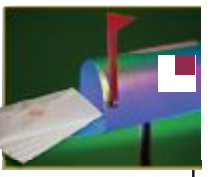

الخطاب القرآني.. والوقاية الحضارية

قد يرتكب الإنسان ذنوبًا وآثاما تتعدى اضرارها للآخرين، كأن يقتل، أو يسرق، أو يؤذي بدون دليل شرعي، ويعد هذا الإنسان ظالمًا للناس لأنه اعتدى على حقوق الآخرين وطبيعة جرائمه تخالف شرع الله.

والإنسان يرتكب جرائمه، وهو واقع تحت تأثيرات هوى النفس، وإغراءات الشيطان بتزيين الشر له، والتحرك بجوانب العصيان.

والإنسان بطبيعته وفطرته التي فطره الله عليها يسعى لأن ينسجم مع مبادئ الحق، وقيم الفضيلة والعدل، وهو حتى في حالة الخروج عليها، يحاول أن يوهم نفسه، ويختلق الأعذار والمبررات، ليقنع نفسه بأن ما يفعله هو عمل صحيح ومشروع.

قال تعالى: ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون. ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ (البقرة: ١١-١٢).

وقال تعالى: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالًا. الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا﴾ (الكهف:١٠٣-١٠٤).

الخطاب القرآني بين للإنسان سبل الوقاية الحضارية باتباع منهج الله عز وجل، لسيادة القيم الأخلاقية، لتحقيق عوامل التكافل والتعاون بين أفراد المجتمع، والله عز وجل فتح باب التوبة لكل إنسان.

قال تعالى: ﴿ يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير﴾ (التحريم: ٨).

وتعبر التوبة عن عناية ولطف الله عز وجل بعباده، وهي تبين عظمة الله المطلقة، والله عز وجل هو الذي يلغي الآثار المترتبة للذنوب من صفحة الوجود والحفظ ويستر على عباده.

قال تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم﴾ (الزمر: ٥٣).

■ والإنسان واجب عليه أداء الأمانة، لقوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولًا﴾ (الأحزاب: ٧٢).

وتلك الأمانة، تهدف لتحقيق منهج الله عز وجل في الأرض، وقد يكون الإنسان جهولا بتلك الأمانة، لذلك خص الله الإنسان بالعقل، والعقل أساس رقي حياة الإنسان، كما أن العقل مناط التكليف، وبالعقل يفعل الإنسان الخير والشر، ومن هنا فالعقل والوجدان هما عينان للإنسان، كي يمعن النظر في سنن الكون.

● يحيى السيد النجار

ما دليل خيريتكم؟

يا أمة ضحكت منها الكثير من المخلوقات، حيث طال رقودها وطول سبات، وصارت بين العالمين من النكرات، حتى وإن عرضت الجغرافيا بأرضها وملئت بالثروات، فالعدالة بديارها موءودة وحقوق الإنسان في الغيابات، والثروة بيد قلة استغلتها في المنكرات، وحبستها عن كثير من الفئات، وبالتالي حرمتها من الضرورات، وألقت لغيرها بالنفايات، وكأنما سلطت هذه القلة على ثروات الأمة فأودت بها في المهلكات.

أما الشباب ففي الأغلب الأعم يلهو ويعبث في معظم الأوقات، بطالة ومخدرات وجهل وكثير من الصفات الباطلات منها التحرش والشذوذ وأحاديث الشات.

والمال والبنون عنصرا الحياة ألقت بهما الأمة في الشهوات، وتكالب على الأمة توحش في السلطات، وكل المشهد لا يجدي معه منبر وكبير عظات، حتى وإن بدا فيه كثرة مآذن وباسق العمارات، فالأمة اليوم تنكرت لماضيها حتى وإن قرئ بديارها الكثير من الآيات، وانتشرت في بيوتها كتب الصحاح والمصاحف المزركشات.

فالأمة المقصودة اليوم لم تشارك في حديث الحضارات، والقلة النادرة التي شاركت فبجهد فردي بعد هجرات، وصارت هذه الأمة عبئًا على العالم بل على المخلوقات، وتتجاهل هذه الأمة أن رسول الله ﷺ يقول: «أمتي أمتي فيقال له لا تدري ماذا أحدثوا بعدك؟ فيا لها من مخجلات، أمة تستحق اليوم مرثية موحدة القافية من طويل المعلقات.

هل هذه خير أمة أخرجت للناس؟ بأي أمارة أو علامة تستحق الآن خير الصفات؟

● الحسين محمد

اللبن المسكوب

تفرقت السبل بالمسلمين وشغلتهم حياتهم الدنيا، وبالتالي فلا وقت للدعوة الحقة لدينهم ولا البحث عمن ضاعت هويتهم.

أقول هذا في الوقت الذي تحيي فيه الديانات والأقليات ذكريات المآسي لتظل محفورة وحية ويقظة أمام العالم واستعادة لبعض المواقع والحقوق، ومحاولة تصحيح التاريخ كما يفعل الأرمن بل وعصابات بني صهيون.

إذا بنا نجد المسلمين قد تغاضوا عما حدث للإسلام والمسلمين في الأندلس ولم يسعوا حتى لتصحيح التاريخ ونجدة ونصرة الموريسكيين، هذه الأسر التي مازالت تدين بدين الإسلام ومازالت تذكر التاريخ الأليم عام ١٦٠٩ يوم أن أمر فيليب الثالث بطرد المسلمين من إسبانيا.

وأذاق المسلمين ويلات العذاب والتمثيل بالأجساد والدفن أحياء تحت القباب، والعالم الإسلامي اليوم مطالب بالاتصال بهذه الأسر والعائلات خصوصًا وأن بعضها هاجر إلى أميركا قبل وصول كريستوفر كولمبس إليها.

ولقد تنصر البعض ولكن غالبية الموريسكيين في شغف شديد وتعطش بالغ لتعلم صحيح الإسلام والتفاعل مع المسلمين والأبحاث الحقيقية التي تصحح التاريخ وتعطي للموريسكيين هناك وضعهم الصحيح.

● عصام حميد

السمات العشر لليلة القدر

لقد شاء الله عز وجل أن يفضل بعض المكان على بعض، وبعض الزمان على بعض.

ففضل من المكان: مكة والمدينة وبيت المقدس، وفضل من الزمان يوم الجمعة وشهر رمضان ويوم عرفة وليلة القدر التي فضلها الله عز وجل على الليالي جميعها، وجعل لها خصائص وسمات، تتميز بها عن سائر الليالي.

السمة الأولى: ليلة القدر هي الليلة التي أنزل فيها القرآن

يقول الله عز وجل ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ (القدر:١).

أي أنزلنا هذا القرآن في ليلة القدر جملة واحدة، من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا.

السمة الثانية: ليلة القدر هي ليلة الشرف الرفيع

﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ (القدر: ٢)، ومعنى ليلة القدر: أي ليلة الشرف والرفعة والمنزلة العظيمة.

السمة الثالثة: ليلة القدر هي الليلة المباركة:

إن هناك من المكان ما هو مبارك، كما قال الله عز وجل عن البيت الحرام ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين﴾ (آل عمران: ٩٦)، هناك من الزمان كذلك ما هو مبارك كما قال تعالى عن ليلة القدر ﴿إذ أنزلنا في ليلة مباركة إنا كنا منذرين﴾.

السمة الرابعة: ليلة القدر فيها يفرق كل أمر حكيم

يقول ابن كثير: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ أي: في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون فيها إلى آخرها.

السمة الخامسة: ليلة القدر خير من ألف شهر

عن مجاهد قال: كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي، ففعل ذلك ألف شهر، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل.

السمة السادسة: الملائكة في ليلة القدر على الأرض عدد الحصى

﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾.

السمة السابعة: ليلة القدر ينزل فيها جبريل ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ الروح هو جبريل عليه السلام.

قال ابن كثير: وأما الروح فقيل: المراد به هاهنا جبريل عليه السلام فيكون من باب عطف الخاص على العام.

السمة الثامنة: ليلة القدر هي ليلة السلام التام

﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾ عن مجاهد في قوله: ﴿سلام هي﴾ قال: هي سالمة، لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءًا أو يعمل فيها أذى.

وقال قتادة وابن زيد في قوله: ﴿سلام هي﴾ يعني: هي خير كلها، ليس فيها شر إلى مطلع الفجر.

السمة التاسعة: ليلة القدر هي ليلة الرحمة والمغفرة

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من يقم ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»، وقيل: «الروح»: الرحمة ينزل بها جبريل عليه السلام مع الملائكة في هذه الليلة على أهلها، دليله: ﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده﴾ (النحل: ٢)، أي بالرحمة.

السمة العاشرة: ليلة القدر هي الليلة التي من حُرِمَ خيرها فقد حُرِمَ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ: «قد جاءكم رمضان، شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرِمَ خيرها فقد حُرِمَ».

● نجاح عبدالقادر

إعداد: التحرير

شهر رمضان

رمضان.. سمي بذلك حيث يبدأ الحر، وترمض الأرض برملها وحجارتها من وهج الشمس، وكان أهل الجاهلية يعظمونه.

في هذا الشهر المبارك أنزل القرآن الكريم، وسمي شهر الصبر، وجرت فيه غزوة بدر، وفتح مكة، ومعركة حطين، وعين جالوت، ومعركة السادس من أكتوبر، ورمضان هو الشهر الوحيد الذي ورد اسمه صراحة في القرآن الكريم.

الصيام جُنّة

الصيام جُنّة من النار، وفضيلة من درجات الأبرار، إذا صبر عليه الصائم فحفظ جوارحه فيه من المآثم، فإذا أمرحها في الآثام كان كالتائب المتردد الناقض للميثاق لم تكن توبته نصوحًا، ولا كان صوم هذا صالحًا وصحيحًا.

(الوعظ المطلوب من قوت القلوب ص٨٦)

إلا الصوم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ عملِ ابن آدم له، إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به. والصيام جُنّة، فإذا كان يومُ صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابّه أحدٌ أو قاتله فليقل: إني صائمٌ. إني صائمٌ، والذي نفس محمد بيده لخلوفُ فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه»

(البخاري ومسلم)

من روائع الدرر

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

- مَن تعلم القرآن عظمت قيمته، ومَنْ نظر في الفقه نبل قدره، ومَنْ كَتَبَ الحديث قويت حجته، ومَنْ نظر في اللغة رقّ طبعه، ومَنْ نظر في الحساب جزل رأيه، ومَنْ لم يصن نفسه لم ينفعه علمه.

وقال أيضًا:

- مَنْ لا يحب العلم لا خير فيه، ولا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة.

(ديوان الإمام الشافعي)

الرجال أربعة

قال حكيم: الرجال أربعة: جواد، وبخيل، ومسرف، ومقتصد.

فالجواد: مَنْ أعطى نصيب دنياه لنصيبه من آخرته.

والبخيل: هو الذي لا يعطي واحدًا منهما نصيبه.

والمسرف: هو الذي يجمعهما لدنياه.

والمقتصد: هو الذي يعطي كل واحد منهما نصيبه.

(موسوعة أقوال الحكماء)

قيل في الجود

- قيل لأحد الحُكماء: مَنْ أجود الناس؟ قال: مَنْ جادَ مِنْ قِلّة، وصانَ نفسه عن المذلّة.
- وقيل: أكملُ الخِصالِ ثلاث: وقارٌ بلا مهابةٍ، وسماح بلا طلب مكافأة، وحلمٌ بغير ذُلّ.
- وقيل: لقد انتهى الجود في الجاهلية إلى ثلاثة نفر: حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي، وهَرِم بن سِنان المُرّي، وكعب بن مامة الإيادي. (أخبار العرب ١٣/١)

يا باغي الخير أقبل

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان: صُفّدت الشياطين ومردة الجن، وغُلّقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفُتّحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، و ينادي منادٍ يا باغي الخير أقبل و يا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة» (الترمذي)

أوّل مَنْ سن قيام رمضان

عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثاني الخلفاء الراشدين، وأوّل مَنْ لُقب بأمير المؤمنين، الصحابي الجليل صاحب الفتوحات، يُضرب بعدله المثل، تولّى الخلافة بعد الصدّيق وبعهد منه، وهو أوّل مَنْ عَسّ بالمدينة المنوّرة ليلًا، وهو أوّل مَنْ حمل الدّرّة وضرب بها، وهو أوّل مَنْ سنّ قيام شهر رمضان، وهو أوّل مَنْ أرّخ بالتاريخ الهجري، وهو أوّل مَنْ قَدّر رواتب العمال وحدّدها.

(الأوائل لأبي الهلال العسكري معجم الأوائل)

استقبال رمضان

كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلال في رمضان يقول: «اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام هلال خير ورشد ربي وربك الله» وفي بعض الروايات أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول: «الله أكبر اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله»

(الترمذي)

ثلاثة

● ثلاثة تنفع في الدنيا مع ثوابها في الآخرة: الحج ينفي الفقر، والصدقة ترد البلاء، والبر يزيد في العمر.

● ثلاثة من كن فيه فقد أصاب البر: سخاء النفس، والصبر على الأذى، وطيب الكلام.

● ثلاث خلال مَنْ برئ منهن نال ثلاثة: من برئ من الشهرة نال العز، ومن برئ من البخل نال الشرف، ومن برئ من الكبر نال الكرامة.

● ثلاث من لم يرغب فيهن بُلي بست: مَن لم يرغب في الإخوان بلي بالعداوة والامتحان، ومن لم يرغب في السلامة بلي بالشدائد والامتهان، ومن لم يرغب في المعروف بلي بالندامة والخسران.

(إحياء التراث في ما جاء في السبع والثلاث)

باب الريّان

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنفق زوجين في سبيل الله، نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة». فقال أبوبكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟. قال ﷺ: «نعم، وأرجو أن تكون منهم» (البخاري).

(حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم)

الأغنياء أفضل أم العلماء؟

قيل لحكيم: الأغنياء أفضل أم العلماء؟

فقال: العلماء أفضل.

فقيل له: فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء، ولا نرى الأغنياء يأتون أبواب العلماء؟

فقال: لأن العلماء عرفوا فضل المال، والأغنياء لم يعرفوا فضل العلم!.

(موسوعة أقوال الحكماء)

د. محمد حسان الطيان

بيان القرآن

نزل القرآن على أمة ما كانت تقدر شيئًا تقديرها للكلمة، ولا كانت تحسن شيئًا إحسانها للبيان، حتى قيل في حقها: إنها أمة سجدت للبيان قبل سجودها للأوثان، وحقًا ما قيل وعدلًا، فقد سمعنا بمن استخفّ منهم بالأوثان، لكنا لم نسمع أبدًا بأحد منهم استخفّ بالبيان، ألم يأتك نبأ بني حنيفة؟ أولئك الذين اتخذوا ربًا من تمر فلما جاعوا أكلوه فقال الشاعر في حقهم:

أكلت حنيفة ربها
زمن التقَحُّم والمجاعَةْ

على حين أولت العرب شعر شعرائها كل العناية والرعاية، فأقامت له أسواقًا ومهرجانات، واحتفت بالنابغين والنابهين فيه، واصطفت أجمله وأروعه ليكتب بماء الذهب ويعلق في أستار الكعبة، ويطلق عليه من الأسماء والألقاب ما يليق بمنزلته وشرف مكانته كالمعلقات والمسمَّطات والمذهبات والمشهورات.

ثم ماذا كان؟

لقد نزل القرآن، نزل على أمة البيان، فلامس أسماعها ببيان لا أحلى ولا أعذب ولا أجمل ولا أروع! بيان يمتزج بأجزاء النفس لطافةً، وبالهواء رقةً، وبالماء عذوبةً، وبالنغم العلوي الأصيل إيقاعًا وجرسًا. ما إن سمعوه حتى خالوه السحر يدبُّ في أجسادهم.

بيانٍ سجدت له أسماعهم وأفئدتهم قبل جباههم ورؤوسهم، بيان حلّق بهم في دنيا لا عهد لهم بها، بل في سماء لا تدانيها سماء، حتى قال قائلهم لما سمع أثارة منه:

«إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يعلى عليه، وما هو بقول بشر».

وهو الوليد بن المغيرة لما سمع من رسولنا الكريم ﷺ قوله جل وعلا:

﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾

إنه البيان الذي ما لبثت الجن حين سمعته أن قالت:

﴿إنا سمعنا قرآنا عجبًا. يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدًا﴾

بل هو البيان الذي أفحم أهل البيان وتحداهم بقوله:

﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا﴾

فأذعنوا و انقادوا، وكان قصارى أمر الجاحدين منهم أن قالوا:

«إنْ هذا إلا سحر يؤثر»

ونهوا قومهم وغلمانهم عن سماعه خشية أن يتأثروا به: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغَوا فيه لعلكم تغلبون﴾

أما المؤمنون فتغنَّوا به، ورشفوا من رحيقه، وتضلعوا من منهله، وتعلموا من مأدبته «إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته».

وأما أهل البيان واللسَن والفصاحة والشعر فقد هجر بعضهم لأجله شعره، واستعاض عنه بكلام ربه، هذا لبيد بن عامر، وهو من فحول الشعراء، ومن أصحاب المعلقات، قيل إنه لم يقل في الإسلام إلا هذا البيت:

فَالحمدُ لِلّه إذ لَم يأتني أَجَلي
حَتّى لَبستُ مِنَ الإسلامِ سِربالا

وفي هذا يقول شيخنا الشيخ صالح الفرفور:

أتيتَهُم بكتاب الله معجزة
أخجَلتَ قُسًّا وسحبانًا وحسانا
ألقى لبيدُ عصاه حين أعجزه
قولٌ بليغ بآيات لعمرانا
ولم تَجُد بَعدُ في شعر قريحَتُهُ
شتّانَ شعر وآيُ الله شتّانا
ذاكَ البيانُ الذي تبقى عجائبه
رغم الأنوفِ وإن شانوه بُهتانا

أسرة التحرير

تهنئكم بحلول

شهر رمضان الكريم

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية
سارع
باقتناء نسختك من
إدارة الثقافة الإسلامية
الطهارة
الحج والصيام
هدية من
أول إصدار صوتي
منتقى المحاضرات
2011
نحو ثقافة متميزة.. لمجتمع متميز
متوفر
DVD - CD
كاسيت
جوائزنا 30000 دينار
شارك معنا في أكبر مسابقة رمضانية على موقع الإدارة
www.islam.gov.kw/thaqafa 99255322 - 22487310